الجامعة الإسلامية
العالمية اسلام آباد-
باكستان
كلية اللغة العربية

International Islamic University,
Islamabad-Pakistan
Faculty of Arabic

Accession No. IH15506

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY
ISLAMABAD

الرواية التاريخية
عن الأندلس بين الخيال والواقع

دراسة مقارنة بين الأدبين؛ العربي والأردي

رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم الأدبيات

إعداد الطالبة :
غزالة شاهين
رقم التسجيل: 107-FA/PhD/F08

تحت إشراف:
الدكتور إنعام الحق غازي
(حفظه الله)

العام الجامعي : ١٤٣٥هـ-١٤٣٦هـ

الموافق: ٢٠١٤م-٢٠١٥م

International Islamic University
CENTRAL LIBRARY
Islamabad

Ph.D
892.78
غ ز ز
1- أدب عربي - الرواية
2- أدب عربي - مقارنة

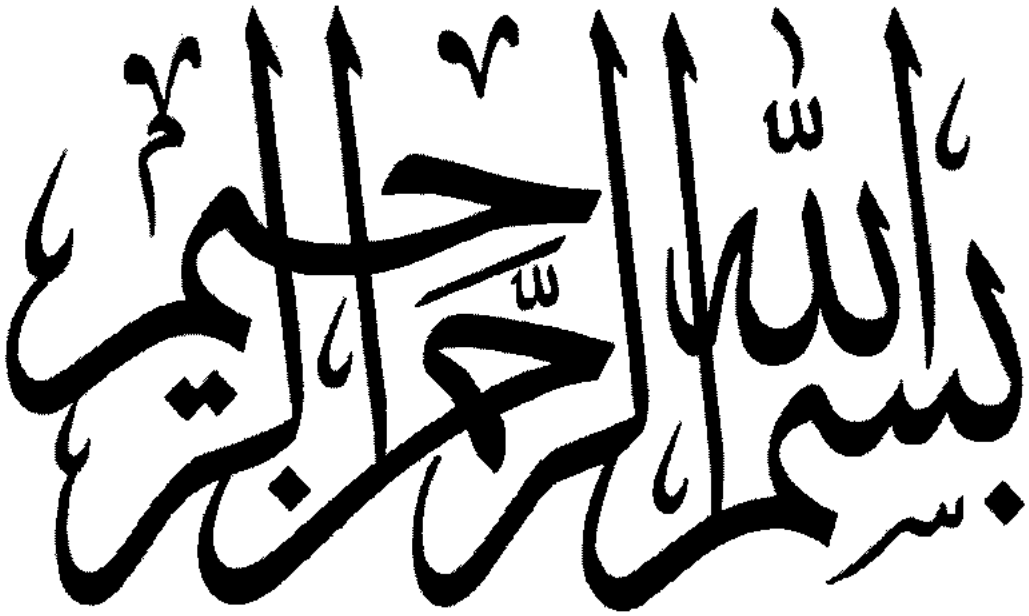

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ○ وَيَسِّرْ لِي
أَمْرِي ○ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ○
يَفْقَهُوا قَوْلِي ○

(سورة طه)

الجامعة الإسلامية العالمية اسلام آباد-باكستان
كلية اللغة العربية

❋❋❋❋❋❋❋

تمت مناقشة الرسالة بعنوان: **"الرواية التاريخية عن الأندلس بين الخيال والواقع (دراسة مقارنة بين الأدبين العربي والأردي)"** المقدَّمة للحصول على درجة الدكتوراه في قسم الأدبيات العربية، كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية اسلام آباد، باكستان، **للباحثة:**

غزالة شاهين

الموافق: ٢٩ أكتوبر ٢٠١٥م **ونالت الباحثة درجة:** « الدكتوراه»

لجنة المناقشة

	الاسم	التوقيع
المشرف	الأستاذ الدكتور إنعام الحق غازي	
المناقش الخارجي	الأستاذ الدكتور نبيل الفولي	
المناقش الخارجي	الأستاذ الدكتور محمود الغزالي	
المناقش الداخلي	الأستاذ الدكتورمحمد علي غوري	

الإهداء

إلى والديّ الكريمين...

إلى زوجي الودود الذي كان

يبعث في نفسي الرغبةَ في عمل

الرسالة، فقوَّى عزيمتي بغيةَ

إكمالها، فلم أفتِرْ في عملي حتى

بلغ منتهاه. إنه خير صديق

صادق الوُدِّ وخير مُعِينٍ مخلص

الوفاء فيه بلا سوى.

كلمة شكر

اللهَ نحمده ونشكره على ما أنعم علينا من العقل والصحة والفراغ، ووفّقنا للخير، وألهمنا إياه، وسدّد خُطانا في سبيل العلم والبحث والتحقيق.

"من لم يشكر الناسَ لم يشكر اللهَ جل وعلا" عملاً بذلك فإنني أتقدم بكلمات الشكر والتقدير من أعماق قلبي إلى **الأستاذ الدكتور إنعام الحق غازي**، الذي أفدت منه طوال عملي ،فأنارت لي نصائحه القيّة وتوجيهاته الحكيمة دروبَ هذه الرسالة.

وكذلك أقدّم جزيل شكري وفائق تقديري لأساتذتي بكلية اللغة العربية والأردية الذين أفادوني بين فينة وأخرى، وكذلك لكل من شاركني في سبيل إتمام هذه الأطروحة المتواضعة وإنجازها.

فأسال اللهَ تعالى أن يجزي الجميعَ خير الجزاء في الدارين.

المقدمة

★★★★★★

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على من أرسله اللهُ بالحق بشيراً ونذيراً، وعلى مَن اتَّبَعَ هُداه واستمسكَ بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله تعالى، وقد نشأ ذلك من تضارب الأهداف وتباين الأغراض وتصارع الرغبات بين الشعوب والمجتمعات ، ثم تربت الأمم في تلك الصراعات، وترعرعت الأجيال الصاعدة في حضنها.

وهذه الصراعات قد بدأت فصلا جديدا فيها منذ أن طلع فجر الإسلام في جزيرة العرب، وأخذت تكافحه قِزنَها، وتحاول إزالتَه والقضاءَ عليه لئلا ينتشر نور الإسلام في العالم، فوقفت له بالمرصاد ثم تعدت إلى بطلان دعوة النبي الأمين صلوات الله وسلامه عليه، وقصارى جهود أصحابه الأتقياء الأبرياء رضوان الله عليهم أجمعين، ومن والاهم وناصرَهم إلى يوم الدين ثم تواصلت مسيرة هذا الصراع حتى امتدت إلى البلاد التي فتحها المسلمون مؤخرا مثل الأندلس... وتاريخ الأندلس حافل بالأمجاد والبطولات، مليئ بضروب الفتن والمنازعات، وكذلك هو موطن صراع بين فئات مختلفة وطبقات متعددة في المجتمع ويحفل تاريخ الأندلس بالصراع بين المسلمين ونصارى الشمال ، كذلك

الصراع بين الأجناس والقبائل المسلمة ، كما وقع كثير من حوادث النزاع والخصومة والمشادّة بين العقائد والمذاهب من جانب، وبين الحياة والموت من جانب آخر.

فاخترت "الرواية" من صنوف الأدب النثري كموضوع للدراسة والبحث في مرحلة الدكتوراه، لأنها تمثّل الحياة اليومية، وترتبط بأوضاع الواقع حيث تعالج مشاكل الناس التي يواجهونها ليل نهار، وكذلك لأنها فن ذو واقع يبحث عن أخطاء ليصححها، ويعالج مشكلات وقضايا تحتاج إلى حل ومعالجة ليفُكَّ أوصالَها بطريقة محكمة.

وللرواية أنماط عديدة تشخِّصُ وجودها من خلالها مثل الرواية الاجتماعية والسياسية والتاريخية والواقعية والتعبيرية وغيرها، إلا أنني اخترت النمط التاريخي من تلك الأنماط الروائية لأسباب تالية:

- منذ صغري كنت راغبة في التاريخ ومصادره ولاسيما تاريخ الأندلس الزاخر بالدروس والعبر.
- حينما كنت في مرحلة الماجستير في اللغة العربية، قرأت عدة روايات تحكي تلك الملامح التاريخية الرائعة مثل روايات جورجي زيدان، ونسيم حجازي ،وعبد الحليم شرر ،وعبد الحميد جودة السحار ،وعنايت الله التمش، فأعجبت بتلك القراءات اليسيرة في التاريخ ،فمال قلبي إلى اختيار موضوع الدكتوراه في هذا الحقل الرائع.

- هناك عديد من الكُتّاب الروائيين الذين ألبسوا التاريخ الإسلامي ثوبا جميلا بقلمهم الفاخر، وبذلوا جهودا جبارة في خدمة تاريخ الإسلام للحفاظ عليه من التشويه والتحريف، ومن الزلل والنقص، إلا أن بعضاً منهم شوّه تاريخ الإسلام العريق مركّزا على الفن الأدبي مثل جورجي زيدان ومن حذا حذوه، ولمثل هذه المجهودات المعيبة من ناحية الصدق والكذب التاريخي، والفاخرة من ناحية الحبك والسبك الفني أصيبت تواريخ أخر مثل تاريخ الأندلس وغيره بظنون لائمة وشكوك ثائرة، فنويت أن أقوم بدراسة مقارنة للرواية الأندلسية من إطار الخيال والواقع لتكون دراسة جادة في مضمارها.
- أثناء قراءاتي المتوالية السابقة في الروايات المختارة، اكتشفت أن هناك توافقا إلى حد كبير بين الأدبين؛ الأدب الروائي العربي والأدب الروائي الأردي فيبدوا للقارئ في مستهل النظر أن هذين الأدبين كأنهما يفوحان من عبير واحد، وشذا عَرْفِهما يفوح من نافورة واحدة، نظرا لذلك اخترت موضوع بحثي دراسة مقارنة بين الأدبين؛ العربي والأردي.
- قام الرواد المعروفون بكتابات أدبية حول حلقات هذا الموضوع ومَشاهده، فاخترت ثلاثة أعمال روائية من كلا الأدبين العربي والأردي وفي اختياري للروائيين اعتمدت على قيمة أعمالهم الروائية :مثل جورجي زيدان، فهو يعدّ رائد الرواية التاريخية في الأدب العربي، ومعروف الأرناؤوط الذي يعدّ رائد

الرواية التاريخية في الأدب السوري، وكذلك عبد الحميد جودة السحّار من أشهر كتاب الرواية التاريخية في مصر. أما نسيم حجازي فيُعَدُّ من أشهر كتّاب الرواية التاريخية في الأدب الأردي، وعبد الحليم شرر أيضا رائد هذا الفن في الأدب الأردي، وعنايت الله التمش من أشهر كتاب الرواية التاريخية في الأدب نفسه.

- فالتاريخ حافل بالعصور المتزامنة كلها نحو صدر الإسلام وعصر الخلفاء الراشدين المهديين والعصر الأموي والعباسي والفاطمي والأندلسي وغيرها ولكل زمانٍ سماتٌ تَهُمُّه، وعصرٍ خصائصُ تَخُصُّه، فما بلغ العصر الأندلسي من الرقي والرفعة والشموخ والنماء، وما شهدت القرون الثمانية من مزايا حكم المسلمين في الأندلس ثم بكاء تلك الأرض الطيبة على اندثار آثار الخير فيها، ورثاءها على غروب تلك الصبيحة البيضاء لم ينله عصر آخر، فتاريخ هذا العصر الزاهر في تاريخ الإسلام والمسلمين كان يحتاج ولا يزال بحاجة إلى دراسات ضخمة ومتفاقمة.

فمن أجل هذا وذاك وضعت نصب عيني هذا الموضوع ليكون لي نصيب في بناء لبناته الأولى.

منهجي للدراسة:

التزمت في هذه الرسالة بما يلي:

١. التحليل والوصف في عرض القضايا التي طرحها الكتّاب في رواياتهم.

٢. الرؤية التاريخية لتلك القضايا ثم الحكم والاستنتاج منها، وإزالة الشبهات حول هذا العصر التي جاءت في بطون الكتب التاريخية والروايات.

٣. الرجوع إلى المصادر الأصلية لتحقيق النص.

٤. سرت في تناول قضايا هذا العصر مسير المقارنة بين الأدبين الروائيين؛ العربي والأردي.

مصادر المعلومات:

١. مكتبة هيئة التعليم العالي. (HEC)

٢. المكتبة المركزية للجامعة الإسلامية اسلام آباد.

٣. مكتبة مجمع البحوث الإسلامية.

٤. مكتبة جامعة العلامة إقبال المفتوحة.

٥. مكتبة جلال بابا آديتوريم ايبت آباد.

٦. المواقع والشبكات.

٧. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٨. هيئة اللغة الوطنية، "مقتدرة قومي زبان".

أهمية الموضوع:

موضوع الرسالة: "الرواية التاريخية بين الخيال والواقع" عبارة عن دراسة مقارنة بين الأدبين؛ العربي والأردي من خلال حكم المسلمين في الأندلس، وتكمن أهمية هذه الدراسة في نقاط تالية:

* الفترة الأندلسية تمتاز من بين العصور كلها بتاريخها السامي حيث علا كَعْبُ الأندلس في حقل العلوم والتجارب العلمية، وأصبحت البلاد مَعِيْنَ خير ونماء فجَرَتْ منها حقول المعرفة والعلم حيث أفاد منها كل العالم وفي الوقت ذاته بلغت الأندلس ذروةَ رخائها في المصادرة والاستيراد اقتصادا وسياسة، فعَلَتْ مينارتها التي استضاء بها العالمُ فسار هَدْيَها نحو التقدُّم والخير، ثم أصيبت تلك الدولة المثيلة بسوء عين، فانهارت دعائمها رويدا رويدا حتى أمضت ذكرى في صفحات بياض التاريخ.

* وتاريخ الأندلس زاخر ومليئ بالوقائع والقِصص المؤلمة، فمن الباحثين الجدد والسابقين ينظرون إليه بعين يملؤها التشكك ولهذا السبب أود أن أختار لي موضوعا يلائم تلك القضايا الأساسية برمتها دون أن يكون ناتجا عن زحزحة المقولات السابقة أو قَلْبِها، بل يكون جهدا مشكورا للراغبين في هذا الميدان. ولذلك سرت في معالجة تلك التقريرات والقضايا على المنهج التحليلي المقارن للوصول إلى نتائج جادة المعنى، رصينة المغزى، ومثمرة الفحوى.

* نشأ الاتجاه المقارن في الدراسات الأدبية في فرنسا لإبراز جوانب هامة تفوت الباحثَ أثناء دراسته، فوقع نظري على اختياره منهج الرسالة لئلا تضيع الكتابة فيه، بل إن تلك الدراسة من إطار المنهج المقارن قد تؤدي القارئ

ولاسيما الباحثَ إلى التفكير والتريث والتمعن والتأني في جوانب أخر يكاد البحث أن يخلو منها عند انحيازه عن هذا المنهج الدراسي.

الأهداف:

- إبراز أهمية مادة التاريخ وضرورة وضعها في المقررات الدراسية كمادة مستقلة.
- توصيل معلومات وافية وقيمة إلى القارئ حيال الحضارة الإسلامية في الأندلس.
- إبانة الفروق بين كتابات الروائيين والمؤرخين، وبعبارة يسيرة كيف يتناول الروائي تلك الأحداث التاريخية في نسيج الرواية بينما تكون تلك الأحداث والوقائع منال المؤرخ، فيتناولها في نسيج آخر يختلف كيانه بأسره من كيان نسيج الروائي.
- دراسة مقارنة بين الكتاب العرب وكتاب الأردية لإبراز أوجه التشابه وأوجه الاختلاف في الأدبين؛ العربي والأردي في هذا الفن النثري المزيج بالواقع وعناصر الأدب الروائي.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من تمهيد وأربعة فصول، كما يلي:

التمهيد:

يحتوي التمهيد على جزئين:

أ. نشأة الرواية التاريخية وتطورها في الأدبين العربي والأردي

ب. أشهر كتّاب الرواية التاريخية في الأدبين

الفصل الأول: عرض للروايات المختارة

المبحث الأول: عرض للروايات العربية

١. فتح الأندلس لجرجي زيدان

٢. طارق بن زياد لمعروف الأرناؤوط

٣. أميرة قرطبة لعبد الحميد جودة السّحّار

المبحث الثاني: عرض للروايات الأردية

١. "یوسف بن تاشفین " لنسیم حجازي

٢. "فتح اندلس " لعبد الحلیم شرر

٣. "دمشق کے قید خانے میں" (في معتقل دمشق) لعنایت الله التمش

الفصل الثاني: **الحدث الروائي والحدث التاريخي في كل من الروايات المختارة**

المبحث الأول: الحدث الروائي والحدث التاريخي في الروايات العربية

المبحث الثاني: الحدث الروائي والحدث التاريخي في الروايات الأردية

الفصل الثالث: **أبعاد الشخصيات وأنواع الصراع والنسيج اللغوي في كل من الروايات المختارة**

المبحث الأول: أبعاد الشخصيات وأنواع الصراع

المبحث الثاني: النسيج اللغوي (السرد والحوار ومدى التناسب بين اللغة والشخصية والمواقف)

الفصل الرابع: **أوجه التشابه والتباين بين الروايات العربية والأردية**

المبحث الأول: أوجه التشابه بين الروايات والروائيين

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف بين الروايات والروائيين

الخاتمة: خاتمة البحث والنتائج

الفهارس: ثبت المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

التمهيد

١: نشأة الرواية التاريخية وتطورها في الأدبين العربي والأردي.

- ◊ المدخل
- ◊ مفهوم الرواية
- ◊ بناء الرواية
- ◊ أنواع الرواية
- ◊ نشأة الرواية التاريخية العربية وتطورها
- ◊ نشأة الرواية التاريخية الأردية وتطورها في شبه القارة الهندية
- ◊ علاقة الرواية التاريخية بالتاريخ

ب: أشهر كتاب الرواية التاريخية في الأدبين.

- ◊ أشهر الروائيين في الأدب العربي
- ◊ أشهر الروائيين في الأدب الأردي

التمهيد

المدخل:

يعيش الإنسان بين العسر واليسر، يتجشم صعابا في مسير الحياة ويقاسي عناء في إدراك مطلبه، فالحياة تتراوح بين السهولة والصعوبة، فلا تتم الحياة إلا بهما، يحيا الإنسان بينهما، ففي اليسر يكون الشكر وفي العسر يكون الصبر، والصراع بين هذين الأمرين أساس مزرعة الأدب أو منبت الحب أو الكره بين إنسان وآخر، فكل إنسان عندما يمر بما لا يحلو له تستعصي الحياة عليه، وعندما يمر بما يروقه فالحياة تستيسر له، فالقلب قد يفرح وقد يحزن، وهذا الفرح والحزن لهما مقادير وموازين تختلف من إنسان لإنسان آخر، وفي إطار اختلاف الطبائع والمَنازع تختلف الإنتاجات الشفوية والكتابية، ومن هنا يظهر أن كل إنسان يختلف عن أخيه في طباعه، وهذا الاختلاف لا يقف إلى هذا الحد بل يتجاوز دوائر النتاج والصنعة، دوائر الأدب والشعر، دوائر الإبداع والابتكار ولاسيما إذا كان الإنسان ليس بعادي بل يعيش في كيانه أديب يريد أن يظهر...

وكل إنسان يستطيع أن يحكي حكاية أو يقص قصة أو يحدّث حادثة، ولكن الأديب يتميز عن غيره بصفته مبتكرا لأنه يقدر على صبغ القصة أو الحكاية أو الحادثة صبغة أدبية، وتصوير الحادثة في أسلوب جذاب، ونسج القصة في صياغة تحرك أوتارَ القلب، لأن الأديب لا ينظر إلى الأشياء كما ينظر إليها الآخرون بل

إنه يرمقها ببصره فيتعمق فيها لكونه مثقفا ومهذبا، حاذقا وفطنا، فيأخذ الأشياء بمحاسنها ثم يصوغها صياغة تعيش حياة رائعة ومما يهمني هنا أن أقول إن الأديب قد يضرب أروع النماذج في الفصاحة والبلاغة.

فالقيمة الأدبية لا تقتصر على ضخامة العمل الأدبي أو القصصي، الحادثة الكبرى أو الصغرى بل إنها تأتي من مادة تصبح ملموسة بعد أن يتناولها الأديب، وتصبح مرموقة بعد أن يعالجها الكاتب.

ومن أروع الأمثلة لذلك الروايات التاريخية الموجودة في شتى لغات العالم فالكاتب يختار فترة معينة ثم يدرس الوقائع والأحداث التي كانت في تلك الفترة فيعرضها دون الخروج على عصرها، كالعصر الأندلسي أو الأموي أو العباسي إلخ فكيف يعبر الكاتب عندما يكتب عن وقائع عصر من عصور سحيقة وعتيقة إنه يتناول الأحداث نفسها التي قد تناولها المؤلفون السابقون أيضا ولكنه يعرضها في أسلوب حصين ورصين، محكم ومنيع، رزين ومتين...

فكثير من الأدباء تأثروا بتاريخ الأندلس الزاهرة التي أنارت الدنيا بعلمها وفيضها فاختاروا موضوعات شتى من الفترة الأندلسية ثم كتبوا روايات عديدة من وجهة نظرهم في أساليب بارعة.

مفهوم الرواية:

والرواية في مجملها: "نص نثري تخيلي سردي واقعي غالبا يدور حول

شخصيات متورطة في حدث مهم، وهي تمثيل للحياة والتجربة واكتساب المعرفة يشكل الحدث والوصف والاكتشاف وهي تتفاعل وتنمو وتحقق وظائفها من خلال شبكة تسمى الشخصية الروائية. فالرواية تصور الشخصيات ووظائفها داخل النص وعلاقاتها فيما بينها، وسعيها إلى غايتها ونجاحها أو إخفاقها في السعي." [1]

وقد عرّف الأدباء الرواية بأساليب عديدة، فمنها ما ذكره أنيس المقدسي، وقال:

"الرواية تكون طويلة وتقوم على حادثة رئيسية يتفرع عنها أو يتصل بها حوادث أخرى وهي مع توجيهها الفكري إلى بطل وبطلين تعرض لنا عدة أشخاص."[2]

تُعْتَبَر الرواية من أهم أنواع الحكاية أو القصة، وتتفاوت حسب طولها وقصرها، فتكتب في صورة النثر، وقد "استخدمت هذه الكلمة لأول مرة في إنجلترا في القرن ١٦م، عندما عرفت فيها القصة الإيطالية، أما الرواية الحديثة يرجع تاريخها إلى القرن ١٨م." [3]

أما الرواية بمفهومها الفني الحديث، فلم يطلع عليه الأدب العربي إلا في القرن التاسع عشر الميلادي وذلك بعد الاتصال بالآداب الغربية.

---

[1] معجم مصطلحات نقد الرواية، عربي، إنكليزي، فرنسي، للدكتور لطيف زيتوني، ص:٩٩، الطبعة الأولى :٢٠٠٢، مكتبة لبنان الناشرون دار النهار للنشر لبنان.

[2] الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، لأنيس المقدسي، ص:٤٥٣، الطبعةالسادسة:١٩٧٧م، دار العلم الملايين بيروت لبنان.

[3] الموسوعة العربية الميسرة والموسعة للدكتور ياسين صلواتي، ص:١٨٤٩/٤، الطبعة الأولى :٢٠٠١م، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان.

ولا ريب فيما يقال إن بذور "الرواية" بل جذورها كانت موجودة "في قصص قديمة مثل: ألف ليلى وليلى وفي حكايات مثل: كليلة ودمنة، وفي مقامات الحريري، وفي بعض كتابات الجاحظ." [1]

بناء الرواية:

تتكون الرواية من العناصر التالية:

اللغة: "تشكل اللغة عنصراً أساسياً في الرواية وكذلك تشكل عنصرا هاما في الأعمال الإنسانية، فلا يمكن تصور الحياة العادية أو الأدبية بدون لغة وليس لأي كاتب وسيلة غير اللغة ليوصل بها أفعال الشخص وأفكارهم وصراعهم، ولغة الرواية تميل إلى البساطة والوضوح والسعة."[2]

منذ أن أشرقت الرواية على خارطة العالَم، أخذت الرواية العربية تكتب بالفصحى القديمة والمعاصرة والعامية حسب مذاق مؤلفها، ثمة روايات عربية سارت مسير أساليب القرآن الكريم، وإنها تشبه لغةَ القرآن الكريم في أساليبها كما نلاحظ تلك المقاربات اللفظية والأسلوبية في روايات نجيب محفوظ.

الشخصية: تعد الشخصية محور الرواية وكأن الرواية تدور حولها، بحيث لو انتزعت منها فاتت الرواية وجودها الأساسي، والشخصة تلعب دورا أساسيا في تحييز بناء الرواية "ولا يكفي الحدث وحده في تأليف الرواية، بل لابدّ من وجود الشخصية التي

---

[1] الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، ص:١١١، الطبعة الثانية :١٩٧١م، دار المعارف مصر.

[2] النقد الأدبي الحديث، للدكتور محمد غنيمي هلال، ص:٥٦٢، الطبعة الثانية، دار النهضة مصر، (ب.ت)

تدور القصة معها أو حولها. فالشخصية هي الكائن الإنساني الّذي يتحرك في سياق الأحداث. وقد تكون الشخصية من الحيوان، فيستخدم عندئذ كرمز يشف عما وراءه من شخصية إنسانية تستهدف من ورائها العبرة والموعظة كما في (كليلة ودمنة) والقصص التعليمية الأخرى."[1]

"فإن الأشخاص يشغلون جزءاً كبيراً من حياتنا إذا نحن قدرنا ألوان التفاعل التي تتم بيننا وبينهم، والتي تثير كثيراً من المشاعر، وألواناً من العطف، وتولد الفكرة إثر الفكرة. والرواية معرض لأشخاص جدد يقابلهم القارئ ليتعرف عليهم ويتفهم دورهم ويحدد موقفهم وطبيعي انه من الصعب أن نجد بين أنفسنا وشخصية من الشخصيات التي لم نعرفها ولم نفهمها نوعا من التعاطف." [2] ولكن بتشخيص الروائي الممتاز نجد مثل هذا التعاطف خلال القراءة.

الزمان والمكان: "ومن عناصر بناء القصة التي يجب العناية بها البيئة التي تدور فيها الاحداث، وتتحرك الشخصيات، ونعني بها البيئة الزمانية والمكانية والجو العام المحيط بها." [3] لم يكن الزمان والمكان يعدّان من عناصر القصة القديمة، لكن منذ أن ظهرت الرواية كفن في الحقل الأدبي أصبح الزمان والمكان من أهم مكونات الرواية أو القصة، ولا يتم وجودهما دون تحديد عنصري الزمان والمكان.

---

[1] القصة والرواية، للدكتورة عزيزة مريدن، ص:٢٧، الطبعة الأولى:١٩٨٠م، دار الفكر بدمشق.
[2] الأدب وفنونه، للدكتور عزالدين إسماعيل، ص:١٩١، الطبعة الخامسة :١٩٧٣م، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي مصر.
[3] المرجع السابق، ص:٣٠.

"يختلف الزمن في السرد عنه في الحكاية ويختلف في الحكاية عنه في الطبيعة فالزمن الطبيعي هو خطي متواصل يسير كعقارب الساعة. وزمن الحكاية هو زمن وقوع الحدث قياسا الى الزمن الطبيعي، الماضي البعيد أو القريب، المحدد أو غير المحدد، وأما زمن السرد فهو زمن القص قياسا الى زمن الحكاية." [1]

لا شك أن الإنسان هو ابن البيئة، يتكون مظهره من خلال احتكاكه المباشر واللامباشر بالبيئة والمجتمع. ويتميز الإنسان بسمات جسدية ونفسية واجتماعية وفردية حيث تؤثر فيه، ولذلك يجب أن يأخذ الكاتب في الاعتبار عنصري الزمان والمكان لدورهما الأساسي في تشخيص كيان شخصية الرواية أو القصة وبناء الأحداث التي تدور حول تلك الشخصية أو الأشخاص التي لها علاقات جلية أو خفية بها.

الفكرة: أثناء القراءة في الرواية تقفز إلى ذهن القارئ أسئلة شتى: لماذا حدث هكذا؟ لماذا لم يحدث كذلك؟ لماذا حدث هنا أو هناك؟ إلخ. هذه الأسئلة في الحقيقة تنبئ عن أسباب الحوادث ودوافعها، إنها تبحث عن جذور تلك الأحداث وتتحدث عن حوافز وقوعها زمانا ومكانا وشخصا وبناء وهلم جرا. كل رواية أو قصة تجعل القارئ أن يفكّرفي أسباب ما يحدث ويتساءل لماذا حدث هكذا؟ هذا النوع من الأسئلة يرتبط بالأسباب التي تفرز نتائج قيمة تترتب عن تلك الأحداث الأولى المتتابعة أو المتقاطعة مع الأحداث الثانوية.

---

[1] معجم مصطلحات نقد الرواية، للدكتور لطيف زيتوني، ص:١٠٠.

"فالفكرة هي الأساس الذي يقوم عليه البناء الفني للقصة لايكون دائما إيجابيا في أثره، فمع أنه يجب أن يقرر بطريقة مباشرة أوغير مباشرة حقيقة عن الحياة أوالسلوك الإنساني فإنه غير محتاج لأن يحل مشكلة." [1]

الحدث: يُعدُّ الحدث أو الحادثة من أهم أبنية الرواية أو القصة و لا يكتمل وجود الرواية دون ربطها بالحادثة، إنها تبين أفعال الشخصيات وأدوارها في الرواية، وليس هنا معيار أو قانون يضبط أو يشكِّل بناء الحادثة بل يملك الكاتب حرية تامة في تكوين صورة الحادثة ولكن يجب عليه أن يعرضها عرضا يليق بها ويقدِّمها في أسلوب بارع جذاب كما يقول الدكتور عز الدين إسماعيل: "الحادثة في العمل الروائي مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على نحو خاص هوما يمكن أن نسميه الإطار(Plot) وبعض الناس يسمونه "الحبكة" بدلاً من الإطار ففي كل رواية يجب ان تحدث أشياء في نظام معين وهذا النظام يميز إطاراً عن آخر." [2]

أنواع الرواية:

الرواية لها أقسام عديدة، منها:

الرواية الاجتماعية:

إن الرواية الاجتماعية عبارة عن رؤية بشرية وإنسانية وجماعية لكونها تعبيرا للمشاعر التي تدور حولها الآمال، تقول الدكتوره عزيزة مريدن:

---

[1] الأدب وفنونه دراسة ونقد، للدكتور عزالدين إسماعيل، ص: ١٩٦.

[2] المرجع السابق، ص:١٨٥.

"يعالج الكاتب في الرواية الاجتماعية جانبا من جوانب المجتمع، كالفضائل الخلقية وبعض أمراض المجتمع وقضايا الزواج غير المتكافئ والبؤس والظلم والجهل وغير ذلك." [1] ويمكن ملاحظة هذا النوع من الرواية في قصص محمود تيمور وتوفيق الحكيم وغيرهما.

الرواية العاطفية:

كان هذا النوع من الرواية يستعمل للتعبير عن مشاعر الطبقة المتوسطة، وبعبارة يسيرة وكانت الرواية العاطفية وسيلة التعبير عند هذه الطبقة، لأنها "كلها تدور حول إثارة عطف القاري على شخصية جديرة الإعجاب لصمودها أمام عقبات الحياة وتمسّكها بالفضيلة والخير برغم اغراءات شتى للانحراف عن الصراط المستقيم." [2] مثل: قصة "الأجنحة المتكسرة" لجبران خليل جبران.

الرواية النفسية:

أمّا الرواية النفسية فإنها تدور حول شخصيات خيالية ووجدانية، يقول الدكتور طاهر مكي:

"الرواية النفسية فتتصل بالتحليل النفسي والخلقي والعواطف والأهواء بخاصة، تدور في أغلب الأحيان حول قضايا تتصل بالمشاعر والأحاسيس." [3]

---

[1] القصة والرواية لعزيزة مريدن. ص ٢٣.

[2] الموسوعة الميسرة والموسعة، للدكتور ياسين صلواتي، ص: ٤|١٨٥١، مؤسسة التاريخ العربي.

[3] الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، للدكتور طاهر أحمد مكي، ص:٥٥٩، دار المعارف القاهرة، ط: ١٩٨٧.

الرواية السياسية:

لم يظهر هذا النوع من الروايات على خارطة الأدب ولاسيما في أوربا "إلا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وكان اهتمام الروائي منصباً بصفة خاصة على الدعوة لأفكار سياسية معينة وتفنيد غيرها." [1]

الرواية العلمية:

تحتوي هذه الرواية على الخيال العلمي أو الفلسفة العلمية؛ فالأحداث التي تدور في محيطها تصب بجملتها في الحياة المستقبلية للإنسان، وهنا تتميز هذه الرواية من الرواية التاريخية لأنها تسير من الماضي إلى الحاضر، فكأنها تكون امتداداً للماضي واستجابة للحاضر.

الرواية التاريخية:

وهي "سرد قصصي يدور حول حوادث تاريخية وقعت بالفعل وفيه محاولة لإحياء فترة تاريخية بأشخاص حقيقيين وخياليين أو بهما معاً، ومن أشهر هذا النوع من الأدب العربي الحديث روايات جرجي زيدان." [2]

ويعرّف جورج لوكاش "الرواية التاريخية" قائلا:

"رواية تاريخية حقيقية، أي رواية تثير الحاضر ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق للذات." [1]

---

١ الموسوعة الميسرة والموسعة، للدكتور ياسين صلواتي، ص: ٤|١٨٥١.

٢ المرجع السابق، ص:٤/١٨٥٠.

فالرواية التاريخية عمل فني تعيد وقائع التاريخ/الماضي بصورة رائعة، حيث لا يمل القارئ من القراءة فيها بل يشعر بارتياح النفس، الرواية التاريخية لا تنقل المادة التاريخية بعينها بل إنها تتخذ لها وجودا من خلال معالجة تلك الأحداث ذاتها، وهذا الوجود قد يتم عندما يصوغها الكاتب من وجهة نظره ورؤيته.

نشأة الرواية التاريخية العربية وتطورها:

نشأت الرواية التاريخية بقواعدها الفنية الخاصة في الأدب الفرنسي. ولكن جذورها الجوهرية تعود إلى والترسكوت الإنجليزي. [٢]

قال جورج لوكاش:

بدأت الرواية التايخية "في اللغة الإنجليزية في مطلع القرن التاسع عشر وذلك زمن انهيار نابليون تقريبا إذ ظهرت رواية سكوت "ويفرلي"عام ١٨١٤م." [٣]

عندما رأى الأدباء المسلمون "إزدهار الروايات التاريخية في الآداب الأخرى وترجمتها إلى لغاتهم فاختاروا ذلك الفن للمحافظة على التاريخ الإسلامي. وفي ظل الاعتداءات الاستعمارية وما صحبها من أطماع مادية وحضارية نشطت (الكتابة

---

[١] الرواية التاريخية، لجورج لوكاش. تحقيق :كاظم جواد ،ص:٨٩، الطبعة الأولى:١٩٧٨م، دارالطباعة والنشر بيروت.

[٢] والتر سكوت الإنجليزي.١٧٧١,١٨٣٢، ولد في ادنبوره، إسكتلندا. كاتب.وهو أكثر الكتاب شعبية في زمانه، وبفضله دخلت الرواية التاريخية في الأدب، كان شاعرا، من أشهر رواية ايفانهو، وقد عرف بفضلها بوالد الرواية التاريخية الحديثة.توفي منطقة ملبروز. (www.coptichistory.org)

[٣] الرواية التاريخية، لجورج لوكاش، ص:١١.

التاريخية) لتقوم بدور كبير وخطير في الدفاع عن الحاضر المستباح بإحياء صورة الماضي المشرق، ليكون ملامح هذه الصورة الناصعة للتاريخ الإسلامي." [1]

قام الجيل الأول من الكتّاب بتقديم التاريخ في صورة قصة أو رواية تشمل حكايات مثالية وحقيقية تشويقا للقراء "وأهم كتاب في هذه المرحلة سليم البستاني وجرجي زيدان وفرح أنطون ويعقوب صروف وأمين ناصرالدين." [2]

وقد نشر سليم البستاني في مجلة الجنان التي أنشأها والده المعلم بطرس البستاني روايات عديدة تاريخية منذ عام ١٨٧٠م.

ثم جاء جورجي زيدان فاكتسب مكانة مرموقة بين الأوساط العلمية والأدبية في اتجاه الرواية التاريخية. وبدأ جورجي زيدان كتابة الروايات التاريخية في أواخر القرن التاسع عشر واستمر في كتابتها إلى عام ١٩١٤م، وكتب حوالي إحدى وعشرين رواية عن الدولة الأموية والعباسية والأيوبية.

ومن معاصريه فرح أنطون الذي كتب "الروايات التاريخية وترجم بعض الروايات الفرنسية، مثل (بول وفرجيني)." [3]

أما الجيل التالي فقد توجّه إلى الماضي وركز مجهودات أقلامه على إحياء

---

١ الصراع بين المذهبية الفكرية والفن في الرواية التاريخية، للدكتورطه وادي، ص:٢٧، العدد:٢٢٩، مجلة الفيصل.

٢ اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، للدكتورسعيد الورقي، ص:٣١، تاريخ الطبع:١٩٨٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية.

٣ القصة والرواية، للدكتورة عزيزة مريدن، ص:٧٦.

الماضي متأثرين بالرواية التاريخية التي تعرفت عليها أوريامن خلال مؤلفات والترسكوت الإنجليزي والالكسندرديماس. [1]

ومن أشهر الكتّاب والروائيين الذين أنتجوا كثيرا من الروايات التاريخية محمد فريد أبوحديد وعلي الجارم ومحمد سعيد العريان وعبد الحميد جودة السحار وعلي أحمد باكثير ونجيب محفوظ وغيرهم. تشمل روايات هؤلاء الكتّاب الكبار التاريخ الإسلامي العربي والتاريخ الفرعوني المصري.

ويقول الدكتور السعيد الورقي عن روايات هذا الجيل:

و"محمد فريد أبوحديد وعلي الجارم ومحمد سعيد العريان هم يسيرون على منهج زيدان وأما بقية الروائيين فهم يخالفون جورجي في عرض المادة التاريخية ويهتمون بالشخصيات أكثر." [2]

تمثل الرواية التاريخية التجارب البشرية جمعاء التي تتكرر وتتردد بين حين وآخر، وإنها لا تقتصر على تسجيل الأحداث فحسب، ويقول الدكتور طه وادي عن الرواية التاريخية:

"التاريخ علم من علوم الإنسانية ويؤرخ به البشرلمراحل نشأتهم وتطورهم

---

[1] إسكندر دياس (١٨٠٤-١٨٧٠م)، اديب فرنسي، مؤلف قصصي ومسرحي من مؤلفاته: الكونت دي مونته كريستو، الفرسان الثلاثة (www.coptichistory.org).

[2] اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، للدكتور السعيد الورقي، ص:٣٢.

السياسي والحضاري عبر العصور، والعناية بالتاريخ ظاهرة طبيعية في مراحل التطور واليقظة." [1]

اتضح لنا من ذلك أن التاريخ يعيد ويكرر أحداث الماضي أمام الجيل الصاعد ليتذكر ويعتبر ويخطط في ضوئها للمستقل الباهر.

وضع الكتّاب نصب أعينهم هدفين هامين عند كتابة الرواية التاريخية؛ الإصلاح والتعليم، التذكير والعبرة، وبذلك تقسمت الرواية التاريخية لديهم على نوعين أساسين، أحدهما الرواية التاريخية التعليمية.

ومن أشهر أنواع الرواية التاريخية التعليمة في الأدب العربي الحديث روايات جورجي زيدان، وبعض روايات نجيب محفوظ، أخذ جورجي زيدان مادتها الأساسية من التاريخ هادفا تذكير الشبان تاريخ آبائهم وتعليمهم.

والنوع الآخر هو الرواية التاريخية القومية: ويقصد الروائي "إلى إحياء الماضي وتمجيده ويكون عرض التاريخ في قالب الروائي خدمة لهدف قومي عن إحساس وطني." [2]

نشأة الرواية التاريخية الأردية وتطورها:

ويتبين من انتشار الأدب الروائي الأردي أن جذوره عميقة رغم حداثة عمره

---

[1] مجلة الفيصل، ص:٢٦، العدد:٢٢٩.

[2] الأدب القصصي والمسرحي في مصر، للدكتور أحمد هيكل، ص:٤٩.

حيث ظهرت البذور الأدبية الفنية الأردية منذ تطور هذه اللغة ونمت وتطورت مع نموها وتطورها.

حينما دخل الاستعمار الإنجليزي في شبه القارة الهندية عام ١٨٠٠م أخذ هذا الأدب ينمو نموا سريعا ولاسيما بعد تأسيس كلية "فورت وليم" برعاية السمو "جون غل كرست" احتضنت الكلية عددا كبيرا من الأدباء البارزين للأدب الأردي و استهدف جون كرست ترجمة الأعمال الأردية إلى اللغة الإنجليزية ليطلع عليها الحكام الإنجليز ويستفيدوا منها، فأوكل هذه المهمة إلى الأدباء الأردويين البارزين في المنطقة الذين كانوا عالقين بهيكل تعليمي للكلية، فالكتاب: "باغ وبهار" (الحدائق والربيع) يُعَدُّ أول كتاب تم تأليفه نتيجة تلك الرغبة والمسئولية.

تطور الأدب الأردي بشكل كبير عام ١٨٥٧م بسبب انتهاء الخلافة العثمانية التي أثرت في نفوس المسلمين، وجعلت الأدباء يقومون بإنتاجات أدبية قيمة رائعة روايةً وقصةً وحكايةً وتمثيلاً مثل: طوطا كهانى (أي حكايات الببغاء).

تنقسم الرواية الأردية إلى قسمين أساسين: القسم الأول هو ما يتعلق بالهند أو شبه القارة الهندية أي قبل ظهور دولة "باكستان" واستقلالها، فالروايات التي ظهرت في تلك الفترة كانت تحمل في طياتها موضوعات الفساد الاجتماعي والاضطرابات الداخلية والخارجية والمعارك العقدية وغيرها ولاسيما ما دارت بين المسلمين والهنادكة. والقسم الثاني من الرواية الأردية هو ما يتعلق بدولة حديثة العهد أي

"باكستان" أو شبه القارة الهندية الباكستانية. فالروايات التي نمت وتطورت في ظل حُكْمِ هذه الدولة غلبت عليها النزعة الدينية والدعوية إلى حد كبير.

يقول بعض النقاد الأرديين إن أول رواية كُتِبَتْ في شبه القارة الهندية بمفهومها الفني هي: "فسانه آزاد" (قصة الحرّ) للكاتب سرشار، ونشرت هذه الرواية للمرة الأولى عام ١٨٧٩م. [١]

والجدير بالذكر هنا اسم رائد الرواية الأردية في شبه القارة الهندية وهو السيد نذير أحمد، [٢] لم تكن الرواية قبل ذلك على وجه مألوف ومعهود كما صارت مؤخرا، وقد ألف عدد روايات وأصبحت رواياته نموذجا للآخرين، ثم جاء عبد الحليم شرر وقام بتأليف قصص وروايات مراعيا جميع سمات الرواية وخصائصها الفنية فيها، إنه استعمل أسلوبا فيه رشاقة وأناقة تجذب القارئ إلى القراءة المتتابعة، كان لعبد الحليم باع طويل في هذا الفن الحديث، ويمكن وصفه بمهندس هذا النوع في الأدب الأردي الإسلامي، يقول الدكتور وقار عظيم:

"إن نذير أحمد وسرشار وشرر هم سلفنا في فن الرواية وتاريخها، هؤلاء الثلاث ابتكروا طريقا جديدا في عالَم الرواية بفضل حسهم الفطن ووعيهم الحاذق، وأشعلوا في هذا المجال الشموع التي أنارت دروب كل من يسير عليها". [٣]

---

[١] اردو ادب کی مختصر تاریخ، للدكتور انور سديد، ص:٢٩٨، ت ط: ١٩٩٨، عزيز بک ڈپو لاهور.

[٢] مولوي نذير احمد (١٨٣٦-١٩١٢) تعلم العربية على يد مولوي نصر الله خان، منح خطاب "شمس العلماء" عين بمكتب تجميع الضرائب عام ١٨٩٧م. من أولى تأليفاته رواية "مرآة العروس" و "بنات النعش" وغيرها. (موسوعة جامع أردو، ص: ١٧١٤)

[٣] داستان سے افسانے تک۔ وقار عظيم۔ص: ٧٧.

تناول بعض الكتّاب في رواياتهم موضوعات اللهو واللعب والغناء وركزوا على أدوار الأمراء والأثرياء وعلاقاتهم الاجتماعية والثقافية بالآخرين مثل أمراؤجان أداء (المغنية).

تناول الروائيون أمثال نسيم حجازي في " خاک اور خون أي (التراب والدم)"، ومحمد أسلم في "رقص إبليس"، ورئيس أحمد جعفري في "بالاكوت" القضايا التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي ظهرت بعد انفصال دولة جمهورية باكستان الإسلامية عن الهند البريطانية على أساس ديني.

علاقة الرواية التاريخية بالتاريخ:

العلاقة بين الأدب والرواية علاقة الكل بالجزء، لأن الأدب كيان يعم جميع الأصناف مثل الرواية والقصة والمسرحية والشعر وما إلى ذلك، والرواية جزء من هذا الكيان حيث يقوم الأديب بمختارات ثم ينسجها على منوال ذوقه ومشربه ومنزعه وثقافته وأدبه.

والرواية التاريخية نوع آخر من صنوف الأدب حيث يقوم الروائي بسرد الأحداث والقصص في أسلوب جميل، وتضم الرواية التاريخية عددا من الأشخاص تختلف انفعالاتها وصفاتها على طراز قصة متسلسلة إلا أن هذا النوع من الرواية يتعرض لأحداث وقعت أو تقع في نطاق تجارب الحياة العادية للناس وبدون مراعاة الحبك الجميل للغة وسبكها وموقعية مقامات اللغة وربطها لا تكون الرواية رواية

تاريخية بل إنها تصبح تاريخا بحتا لا علاقة له بالأدب فالرواية التاريخية فن ينفرد عن التاريخ من هذه الزاوية، لأنها تصور القصة أو القصص، التجربة أو التجارب في صورة جذابة تحث القارئ على القراءة.

الرواية التاريخية تعني مصدرا لدراسة التاريخ، وذلك لأن الروائي يمنحنا مشاهد وتفاصيل ورؤى حية نابضة، لا يتناولها المؤرخ، ثم تستطيع الرواية جذب نظر القراء وانتباهاتهم إليها وإقناعهم لغاية ما حيال موضوع أيا كان ذلك، فللرواية علاقة بالتاريخ، ولكنها ليست بتاريخ، إنها فن من الفنون التي بينها وبين التاريخ علاقة وطيدة؛ فالمؤرخ يتناول الأحداث والأزمان والأمكنة والشخصيات وما إلى ذلك ليلمس بها الواقع فيعرض الصدق، بينما الروائي فيتناول هذه الأشياء جميعها بأسلوب بيّنٍ يلمس لمسات من الجمال والتأثير في النفوس والعقول. المؤرخ والروائي كلاهما يقدمان الحقائق إلا أن الفرق بينهما هو من ناحية كيفية تقديم تلك المعلومات؛ فالمؤرخ يقدمها إلى الذهن من خلال التقرير والروائي يصبغها من خلال التصوير، يقول الدكتور عزّ الدين إسماعيل عن الرواية التاريخية:

"ولا شك أن التاريخ حين يصبح مادة للرواية، يصير ضرباً آخر من ضروب المعرفة الإنسانية، له طبيعته المتميزة ومكوناتها الخاصة." [1]

ويقول الدكتور قاسم عبده قاسم في هذا الصدد:

---

[1] الأدب وفنونه، للدكتور عز الدين إسماعيل، ص:١٩٦.

"وللروايات التاريخية ناحية امتياز على الكتب التاريخية، وذلك أن التاريخ معظمه يدور حول الحوادث البارزة الكبرى. والشخصيات الممتازة المنيفة، أمّا الروايات التاريخية فقد تتناول حياة ما يسمي في عرف الباحثين المعاصرين "الرجل الصغير" والمقصود به الرجل من غمار الشعب، وحياة مثل هذا الرجل الصغير قد يهملها التاريخ الذي لا يكاد يبصره أو يسمع صوته، ولكن الروائي بخياله الصادق وشعوره العاطف يستطع أن يصف لنا حياة هذا الإنسان الصغير بآماله وأحلامه."[1]

يقول عباس حسين:

"لا يجوز لأحد أن يغير الأحداث التاريخية بل يجب عليه أن يعيش الجوّ نفسه (عاصر الأحداث وأدركها) ويقدّم التاريخَ في صورتها الأصلية دون تصرف أو تغيير." [2]

ثمة أسئلة تدور في الذهن مثل:

- هل الحدث التاريخي مصدر أو مرجع للرواية التاريخية؟

للإجابة على هذا السؤال أقول إن الرواية فن والتاريخ علم، فالتعبير عن الحدث التاريخي بأسلوب فصيح وبليغ حيث لا يمل القارئ عندما يقرؤه مع مراعاة قواعد وضوابط أخرى فهي رواية تاريخية، وإذا تجرد الحدث من سمات الفصاحة والبلاغة ومقتضياتهما يعني أنه مجرد حدث تاريخي فهو التاريخ

[1] الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، للدكتور قاسم عبدة قاسم، ص:١٨٧، ت.ط:١٩٧٩، دار المعارف مصر.
[2] ناول کی تاریخ اور تنقید، علی عباس حسین، ص:٣٠٤، دار الطبعة والنشر لاهور. (ب ت)

ومن أجل ذلك يحتاج الكاتب في كثير من الأحايين إلى جلب الخيال أو الصورة الذهنية لينجح بذلك في جذب النظر أو الانتباه، ومن الممكن القول إن الرواية التاريخية تمثّل فنا وتاريخا في آن واحد.

- سؤال آخر يتبادر إلى الذهن وهو كيف يأوي الحدثُ التاريخيُ إلى الحدث الروائيّ، وكيف ينزل فيه؟

سأحاول أن أجيب على هذا السؤال بجملة تفاصيلها عبر طوايا الرسالة، وهنا أوجز الحديث عنه بأن التاريخ يعني الحقائق الماضية المحددة، بينما الروائي قد ينتقل في كتابة الرواية من مرحلة التاريخ إلى مرحلة الأدب، ويلتزم تلك المرحلة في جميع ما يصوغه سواء أن يكون الإبداع من قبل نفسه أو أن يكون مستمَدًا من التاريخ، فلا يمكن للأديب أن يتخلص من هذا اللون من التخيل والابتكار بينما لا يلجأ المؤرخ إليه تماما.

يقول جورج لوكاش:

"يجب أن تكون الرواية أمينة للتاريخ، وبالرغم من بطلها المبتدع وحبكتها المتخيلة". (١)

إذا كان التاريخ مدوناً في كتبه فما الذي يضيفه الروائي إلى التاريخ؟ هل يصبح الروائي مؤرخا عندما يكتب هذا النوع من الروايات؟

يقول محمد كامل حسين:

---

١ الرواية التاريخية، لجورج لوكاش، ص:٢١٥

"الروائي لا يصبح مؤرخاً إلّا إذا تخلى عن خياله القصصي. المؤرخ ليست لديه حساسية مؤقتة لتذوق التاريخ. وإنما هو روائي اكتسب الخيال القصصي للتاريخ بصفة عامة والخيال الإبداعي هو الذي يجعل الروائي أن يتمثل أسلوب حياة تلك المرحلة التي يكتب عنها، وبقوة الخيال يستطيع استحضار الأحاسيس والمشاعر التي ألمت بنفوس أهل تلك العصور الغابرة." [1]

ويقول فيكتور شكلوفكسي:

"التاريخ نوع من الرواية نعيش فيه ونتمنى تحمل البقاء فيه، والرواية نوع من التاريخ التأملي. وتعتبر المعلومات التي ستدخل في كتابتها أعظم وأكثر تنوعاً من حيث المصادر مما في يد المؤرخ." [2]

فالروائي أو الكاتب أو الأديب التاريخي يجب عليه عند صياغته للأحداث أو الأفكار أو التجارب التاريخية أن يحافظ على أبعاد الحدث التاريخي أو المادة الجوهرية فيها، ويمكنه أن يحذف منه أو يبسط فيه حسب الحاجة الفنية ولكن يجب أن يحافظ على المادة الجوهرية للتاريخ أو ألا يتصرف فيها ما يجعل الجيل الصاعد في الشك والوهم، أو ما يخفي الحقيقة عند القراءة فيها، ويمكن الأديب أن يختار حدثا بارزا من الأحداث التاريخية ثم ينسجها نسجا جميلا أو يختار وقائع غير معروفة ثم يلمح إليها تلميحا أو تمثيلا.

---

[1] الرواية التاريخية الفكرية، لمحمد كامل حسين، ص:١١٢، مجلة الحرس الوطني، العدد:١٢٢، ت ط: أكتوبر:١٩٩٢، مملكة السعودية.

[2] رواية الرواية التاريخية تسلية الماضي: لفيكتور شكلوفكسي، ص:٩٦، مجلة النقد الأدبي فصول، العدد:١٢، ت.ط:١٩٩٣، مصر.

(ب)
أشهر كتاب الرواية التاريخية في الأدبين

أشهر الروائيين في الأدب العربي:

لا شك في أن أقدم لون أدبي من الرواية هو الرواية التعليمية التي كان من أوائل روادها رفاعة رافع الطهطاوي [1] وعلي مبارك [2]. إنهما قد وضعا نصب عينيهما هدف تعليم المواطنين وإصلاح خُلُقِهم من كتابة أعمالهما الروائية.

أماّ الفريق الأول من كتّاب الرواية التاريخية:

سليم البستاني، وجورجي زيدان، ويعقوب صروف، وأمين ناصر الدين وغيرهم، إنهم كتبوا الرواية التاريخية أيضا من أجل التعليم.

سليم البستاني: (١٨٤٨-١٨٨٤م)

سليم بن بطرس بن يونس بن عبد الله بن كرم، باحث "من الكتاب" من أهل عبية (بلبنان) جعل ترجماناً في دار الاعتماد الأميركية ببيروت، وساعد أباه في إنشاء جريدة "الجنان" ثم "الجنة" وكتب بحوثاً كثيرة في "دائرة المعارف "ومن آثاره "تاريخ فرنسا الحديث وألف روايات، منها "الإسكندر وقيس وليلى"، و"الهيام في جنان

---

[1] رفاعة رافع الطهطاوي.١٨٠١،١٨٧٣، من قادة النهضة العلمية في مصر في عهد محمد علي باشا. ولد بمدينة طهطا إحدى محافظة سوهاج بصعيد مصر، المنجد الأعلام ،٣٥٨/٥.

[2] لم أعثر على ترجمته.

الشام "و"زنوبيا وانتخب عضواً في بلدة بيروت وفى المجمع العلمي الشرقي وتوفي في بوارج (من قرى لبنان). [1]

ويعقوب صروف :(١٨٥٤-١٩٤٨م)

كتب يعقوب صروف القصة الأولى بعنوان: "فتاة مصر" ثم "أمير لبنان" ولد صروف في لبنان سنة ١٨٥٤م، والتحق بالجامعة الأميركية في كلية السورية الإنجليزية وحصل على درجة بكالوريوس ثم تخرج فيها سنة ١٨٧٠م، ثم اشتغل بالمهنة التعليمية فترة طويلة وتنقّل أثناء ذلك بين المدن والقرى؛ بين صيدا وطرابلس وبيروت، والتحق كمعلم بالجامعة الأميركية ألف يعقوب كتبا مدرسية عديدة، وكان يعلم الرياضيات والكيمياء ونحو ذلك إلى جانب اللغة والبيان، وقد كان صاحب أسلوب في الكتابة، فكان يكره السجع والزخرفة اللفظية، ويحب ما قلّ ودلّ. [2]

وأمين ناصرالدين :(١٩٠٣م)

ناصر الدين شاعر، لغوي، صحافي ولد وتوفي كفرمتي بلبنان، اشتغل بالصحافة في عنفوان شبابه، فأنشأ جريدة "الصفا"، ومن آثاره: معجم في الإنسان، وما يحصنه معجم في الكون أرضا وسماء، ودقائق العربية، ثلاثة دواوين شعرية، ورواية غادة بصري. [3]

---

[1] الأعلام قاموس تراجم، لخير الدين الزركلي، ص:١١٦/٣، دار الملايين بيروت لبنان. (ب ت)

[2] القصة في الأدب العربي الحديث، للدكتور يوسف نجم. ص:١٢٤.

[3] معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ص:١٤/٣، مكتبة المثنى بيروت لبنان. (ب ت)

جورجي زيدان :(١٩١٤-١٨٦١ م)

كان والد جورجي زيدان أمياً، لم يتعلم ولم يتثقف، كان يعيش حياةَ ضَنْكٍ، ففتح مطعما صغيرا للمعيشة يعيش به ويعول الأسرةَ، وكان يأتي إلى مطعمه طائفة من رجال الأدب واللغة، ومن طلاب الكلية الأمريكية، وُلِدَ جورجي زيدان في ١٤ ديسمبر ١٨٦١م في أسرة فقيرة، فلم تكن في فمه ملعقةٌ مِنْ ذَهَبٍ حينما وُلِدَ، ولما بلغ هذا الصبي الخامسة من عمره أرسله أبوه إلى المدرسة ليتعلم من الرياضيات والحساب شيئا ثم يساعده في شؤون حسابات المطعم.

وبعد سنوات ترك جورجي زيدان المدرسة وأخذ يساعد والده في أمور المطعم، ولكن والدته كانت تكره أن يعمل جورجي في المطعم، فقالت لزوجه أنها لا تحب ذلك، فاختار له أبوه عمل صناعة الأحذية، وكان جورجي حينئذ في الثانية عشرة من عمره.

كان جورجي زيدان يقرأ بنفسه ويطالع الكتب والمجلات حتى تثقف ثقافة عالية ولاسيما ثقافة الأدب والعلوم فتهذّب بها وتأدّب، تعلّم وتدرّب حتى حَظِيَ برزق وافر من تلك الثقافة الأدبية، فاشتهر بين الأصحاب والأدباء وبدأ يشارك الاحتفالات والمهرجانات العلمية والثقافية ولاسيما احتفالات الكلية الأمريكية ومن ثم أصبح معروفا بين متخرجي هذه الكلية وأدباء بيروت ورجال الصحافة، فكلما شارك في حفلة من حفلات التخرج دخلها مسروا وخرج منها حزينا، لأنه كان يتمتم في قلبه:

ليتني تعلمت قبل هذا. صمم جورجي زيدان سنة ١٨٨١م على أن يترك العملَ، ويلتحق بمدرسة الطب في الكلية الأمريكية.

وفي سنة ١٨٨٣م هاجر جورجي زيدان إلى مصر، "والتحق هناك بمدرسة الطب، ولكن خلال دراسته كان يبحث عن عمل ولكنه لم يجده وأخيرا اشتغل محررا في صحيفة "الزمان" التي كان يملكها ويديرها علكسان صرافيان، وكانت جريدة "الزمان" جريدة يومية واحدة في القاهرة بعد قضاء الاحتلال الإنجليزي على صحافة ذاك العهد". (١)

وفي سنة ١٨٨٥م سافر جورجي إلى بيروت، وتعلم هناك اللغتين؛ اللغة العبرية واللغة السريالية، ونتيجة لذلك ألف كتابا سماه بـ: "الفلسفة اللغوية"، وفي سنة ١٨٨٦م ذهب جورجي زيدان إلى أوربا فشاهد هناك المتحف البريطاني والمكتبات العديدة الراقية ومجامع العلم والبحث والتحقيق.

اشتغل جورجي زيدان بعد استقالته سنة ١٨٨٨م بالكتابة والتأليف، فصدر له كتاب اسمه: "تاريخ مصر الحديث"، وفي سنة ١٨٩١م أنشأ جورجي زيدان مطبعة التأليف، وبعد مرور من الزمن سماها بمطبعة هلال.

---

[1] أعلام العرب جرجي زيدان، لمحمد عبد الغني حسن، ص:١٠، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. (ب ت) وأنظر كذلك: جرجي زيدان، لأحمد حسين الطماوي ت ط: ١٩٩٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب. وأنظر كذلك: العصامي الموهوب جرجي زيدان، لطاهر الطناحي، العدد:١٢٠، ت ط:١٩٨٨، مجلة تاريخ العرب، بيروت لبنان.

وفي سنة ١٨٩٢م أصدر جورجي زيدان مجلة هلال، وقد صدرت له عدة تأليفات وروايات تاريخية أثناء عمله في "الهلال" كمحرر. توفي جورجي زيدان عام ١٩١٤م وبذلك يصبح عمره ثلاثا وخمسين سنة.

أعماله الأدبية:

ألف جورجي زيدان مؤلفات عديدة في شتى المجالات نحو اللغة والأدب والفلسفة وعجائب الخلق والمجلات... وهنا نقف وقفة متأنية عند بعض رواياته التاريخية، وهي إحدى وعشرون رواية:

١. المملوك الشارد	٢. أسير المتمهدي	٣. استبداد المماليك
٤. أرما نوسة المصرية	٥. فتاة غسان	٦. عذراء قريش
٧. ١٧رمضان	٨. غادة كربلاء	٩. الحجاج بن يوسف
١٠. فتح الأندلس	١١. عبد الرحمن الناصر	١٢. أبو مسلم الخراساني
١٣. العباسة أخت الرشيد	١٤. الأمين والمأمون	١٥. عروس فرغانة
١٦. أحمد بن طولون	١٧. الانقلاب العثماني	١٨. فتاة القيروان
١٩. صلاح الدين	٢٠. شجرة الدر	٢١. شارل عبد الرحمن

- **كتب التاريخ:**

١. تاريخ التمدن الإسلامي	٢. تاريخ مصر الحديث	٣. العرب قبل الإسلام
٤. التاريخ العام منذ الخليقة	٥. تاريخ اليونان والرومان	٦. أنساب العرب القدماء
٧. طبقات الأمم أو السلائل البشرية	٨. تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها	٩. تاريخ إنكلترا منذ نشأتها إلى هذه الأيام

- **كتب التراجم والسير:**

١. تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر الميلادي.

٢. بناة النهضة العربية.

٣. رحلة جورجي زيدان إلى أورباة عام ١٩١٤م.

- **كتب الجغرافية:**

١. عجائب الخلق.

٢. مختصر جغرافية مصر.

- **كتب اللغة العربية وتاريخ آدابها:**

١. الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية.

٢. تاريخ اللغة العربية باعتبارها كائناً حياً نامياً خاضع الناموس الارتقاء.

٣. تاريخ آداب اللغة العربية.

٤. الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية.

٥. علم الفراسة الحديث وموضوع الاستدلال على أخلاق الناس.

٦. مختارات جورجي في فلسفة الاجتماع والعمران.

أمّا الفريق الثاني من الكتّاب فإنه يتمثل في كتّاب الرواية التاريخية الذين استفادوا من تجارب غيرهم من المؤلفين ثم قاموا بتطوير هذا الفن مستعينين بسابقيهم.

وقد نهض هذا الفريق نهوضا قويا في إضاءات التيارات القومية ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى التي أثّرت في العالم العربي حيث انتهت الخلافة وبدأت

دعوات القومية تنتشر، فقام هذا الفريق بإحياء الماضي متأثرين بالرواية التاريخية التي تعرفت عليها أوربا في الفترة الرومانسية في مؤلفات والتر سكوت وغير ذلك.

ومن أبرز الكتّاب في هذا الفريق محمد فريد أبو حديد، وعلى الجارم، ومحمد سعيد العريان، وعبد الحميد جودة السّحّار، وعلى أحمد باكثير، ونجيب محفوظ...

محمد فريد أبو حديد :(١٨٩٣م)

يُعَدُّ "محمد فريد أبو حديد في طليعة كتّاب الرواية التاريخية على المستوي الفني. وقد ولد عام ١٨٩٣م بدمنهور، إحدى مدن الوجه البحري في مصر في قرية "السين"، وتخرج في مدرسة المعلمين العليا "كلية التربية" عام ١٩١٤م واشتغل بالتدريس وعمل محمد فريد في وظائف متعددة وشارك في الكفاح الوطني ضد المستعمر الإنجليزي. وأسس مع آخرين لجنة التأليف والترجمة والنشر وعين في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٨٣٦م."[١]

ويقول عنه محمد عبد المنعم الخفاجي:

"محمد فريد أبو حديد، الذي يتميز على جرجي زيدان بتحليله الدقيق للبطولة في واقع حي، ويتخذ من القصة وسيلة لإحياء الفكر." [٢]

---

[١] مجلة الفيصل. تجربة محمد فريد أبو حديد في الرواية التاريخية، ص:٥٩، العدد:١٨٣، السعودية:١٩٩٢

[٢] الأدب العربي الحديث ومدارسه. لمحمد عبد المنعم الخفاجي، ص:٤٤٥/٢، دارا الطباعة المحمدية بالأزهر القاهرة (ب.ت) ١٩٠٨م.

ومن مسرحياته التاريخية: ابنة الملوك، مقتل سيدنا عثمان، خسرو وشيرين، كذلك كتب خمس روايات تاريخية: المهلهل سيد ربيعة، والملك الضليل، والوعاء المرمري، وزنوبيا ملكة تدمر، وأبو الفوارس عنترة ابن شداد.

علي الجارم: (١٨٨١-١٩٤٩م)

ولد الكاتب علي الجارم في رشيد بحيرة، وكان من أسرة متدينة، وتَعَلَّمَ في الأزهر، ثم دار العلوم القاهرة، وكذلك انتُخِبَ عضواً في بعثة لدراسة علم التربية وعلم النفس، فدرس في جامعة "لوتنجهام" بإنجلترا، ثم عاد إلى مصر سنة ١٩١٢م وانشغل بالتدريس، كان علي الجارم من أبرز أعضاء مجمع اللغة العربية بمصر، وقد ترك آثاراً أدبية عديدة، منها: ديوان الشعر في أربعة أجزاء، والروايات التاريخية والكتب المدرسية، والتربوية... [1]

محمد سعيد العريان: (١٩٠٥-١٩٧٤م)

جعل محمد سعيد العريان الرواية التاريخية مجالا أرحب وأفضل للتعبير عن مشاعره وآماله وطموحاته تجاه وطنه. وهو أديب من كبار الأدباء في مصر. ولد محمد سعيد العريان في قرية "محلة حسن" بمحافظة الغربية، وتخرج في دار العلوم القاهرة ١٩٣٠م، ثم انضم إلى هيئة التدريس وبعد مدة انتقل إلى سلك الإدارة، حتى وصل إلى منصب مدير مكتب وزير المعارف في عهد العشماوي باشا وطه حسين، وكانت لمحمد سعيد العريان نشاطات أدبية وصحفية، "فنشر عددا من المجلات

[1] الأعلام قاموس تراجم ،١٠٨٥/٣.

والصحف، منها: الرسالة، والثقافة، والكاتب المصري، وكان من أساتذة هذا الأديب الألمعي الرافعيُ فكتب فيه كتابا سماه: "حياة الرافعي"." [1]

وله أربع روايات تاريخية، وهي:

١. قطر الندي ---- ١٩٤٥

٢. على باب زويلة ---- ١٩٤٦

٣. شجرة الدر ---- ١٩٤٧

٤. بنت فلسطين ---- ١٩٤٨

نجيب محفوظ : (١٩١٢م)

وُلِدَ هذا الكاتب النبيل في "حي الجمالية" المجاور لحي الحسين في القاهرة عام ١٩١٢م، كان أبوه من طبقة التجار، وتلقى "نجيب" تعليمه في المدرستين الابتدائية والثانوية. ثم دخل في قسم الفلسفة بجامعة القاهرة بعد أن أكمل تعليمه الإبتدائي والثانوي في المدرسة، يقول نجيب محفوظ عن نفسه: "لقد بدأت حياتي بكتابة المقال.... ثم اهتديت إلى وسيلتي التعبير المفضلة وهي القصة والرواية". [2]

كتب نجيب محفوظ عدة روايات واقعية وتاريخية، منها: "عبث الأقدار، ورادوبيس، وكفاح طيبة، وزقاق المدق، والقاهرة الجديدة، وبداية ونهاية، واللص والكلاب، وقصر الشوق. "[3]

---

[1] الفيصل: مجلة شهرية، العدد:١٨١، ص:٦٩، ت ط: رجب :١٩٩٢، السعودية.

[2] الأعلام قاموس تراجم، ص:٦ /٣٢٩.

[3] القصة والرواية، للدكتورة عزيزة مريدن، ص: ٧٩.

عبد الحميد جودة السَحّار: (١٩١٣-١٩٧٤م)

ولد عبد الحميد في عام ١٩١٣م بالقاهرة، وقد اشتهر بقصصه ورواياته التاريخية الإسلامية.

وبدأ حياته الأدبية بكتابة القصة في مجلتين "الرسالة" التي كان يصدرها أحمد حسن زيات، ومجلة "الثقافة" التي كان يصدرها الأستاذ أحمد أمين وكتب عبد الحميد جودة السَحّار عددا من المجموعات القصصية والروايات التي تناولت جوانب عديدة للمجتمع إلا أنه ركز كثيرا على التاريخ الإسلامي، وسار مساراته في نسج شبكة رواياته.

كتب عبد الحميد جودة السحار الرواية التاريخية الأولى بعنوان: "أحمس بطل الاستقلال" ثم "أميرة قرطبة"، وكانت له عضوية في عدة لجان للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.

نشأ عبد الحميد جودة السحار في عصر التطور والتقدم حيث كان التأثير الثقافي يتنقل بين المدن والبلاد، فبدأت اللغة الإنجليزية تدرَّس في المدارس الابتدائية والثانوية، فتأثرت انفعالات عبد الحميد جودة السحار حتى أثرت في كتاباته، ولاسيما وقد تأثر بالفكر الأوربي أو الغزو الفكري الأوربي الذي قفز إلى السينما، ثمة كثير من الأفلام التي صُنِعَت على رواياته توفي عبد الحميد جودة السحار في الثاني والعشرين من يناير عام ١٩٧٤م.

أعماله الأدبية:

➢ **رواياته:**

١. أحمس بطل الاستقلال	٢. أبا ذر الغفاري
٣. في قافلة الزمان	٤. أميرة قرطبة
٥. المسيح عيسى بن مريم	٦. الشارع الجديد
٧. قلعة الأبطال	٨. الحصاد
٩. النصف الآخر	١٠. السهول

➢ من الروايات التي حُوِّلَتْ إلى أفلام سينمائية:

١. الله أكبر	٢. بلال مؤذن الرسول
٣. الحفيد	٤. فجر الإسلام
٥. شياطين الجو	٦. نور الإسلام
٧. درب المهابل	٨. أم العروسة
٩. عمالقة البحار	١٠. ميداني مدير عام

➢ ومن أدب الأطفال والصبيان مثل:

١. قصص الأنبياء	٢. العرب في أوربا.
٣. قصص الخلفاء الراشدين	

وكذلك كتب عبد الحميد جودة السحار الأناشيد للقوات الجوية والبحرية. [١]

وهناك دول عربية أخرى ظهر فيها عدد من الكتّاب المعروفين في الرواية التاريخية مثلا عبد المسيح الأنطاكي [١] وعبد الحميد محمد الزهراوي [٢] ومعروف الأرناؤوط الذين ظهروا في سوريا.

---

١ الأعلام قاموس تراجم. لخير الدين الزركلي، ص:٢٨٥/٣. وأنظر كذلك: صورة المرأة في الرواية المعاصرة، للدكتور طه وادي، ص :١٤٥، ط: الثانية ،١٩٨٠، دار المعارف مصر.

ويقول الدكتور سعيد الورقي:

"وكان هدف جورجي زيدان ومن سار على منهجه أمثال عبد المسيح الأنطاكي وعبد الحميد محمد الزهراوي، ومعروف الأرناؤوط في سوريا إلى أن يكونوا معلمي تاريخ، يهتمون في دراستهم بالتاريخ باعتباره أحداثاً تدور داخل إطار حضاري." (٣)

معروف الأرناؤوط : (١٨٩٢-١٩٤٨م)

عرف لبنان منذ منتصف القرن التاسع عشر نهضة ثقافية ومعرفية متميزة بحكم انفتاحه على العالم واهتمام الغرب بنشر لغاته وثقافاته فيه، ومن ثم بدأ الأدب ينتشر في أرجاء سوريا بجميع أنواعه، وفي ذاك الجو الأدبي تربّى رائد الرواية التاريخية في سوريا الأديب المعروف "معروف الأرناؤوط" ألباني الأصل، أبرز روّاد النثر الحديث، غادر جده حسن آغا المولى يوسف إلى بيروت في منتصف القرن التاسع عشر أيام الدولة العثمانية بسبب نزعاته القومية، فتولى أمن مدينة بيروت، ونجح في عمله حتى نال رضا الدولة العلية بعد نفيه، فعُيّنَ مرافقاً عسكرياً للمتصرف خليل باشا، ثم تزوّج بسيدة لبنانية هي مريم التي أنجبت ولدين؛ أحدهما: أحمد الأرناؤوط والد معروف الأرناؤوط، ثم تزوّج أحمد الأرناؤوط بامرأة دمشقية فاضلة

---

١ عبد المسيح الأنطاكي شاعر وصحافي، سوري أصل يوناني. ولد في حلب وتعلم فيها، اتصل بعبد الرحمن الكواكبي وتتلمذ على يديه. هاجر إلى مصر، وساح في العالم العربي. أصدر مجلة " الشنور" في حلب، ثم " العمران" في مصر، ومدح بعض الأمراء العرب ونظم قصيدة طويلة في سيرة الإمام علي " القصيدة العلوية المباركة "، سماها "ملحمة"وبكيبيديا الموسوعة الحرة

٢ عبد الحميد بن محمد شاكر بن إبراهيم الزهراوي (١٨٥٥-١٩١٦) من زعماء النهضة السياسية في سورية. وأحد شهداء العرب في ديوان (عالية) عندما نشبت الحرب العالمية الأولى قبض عليه ونفذ به الحكم شنقا في دمشق. الموسوعة العربية العالمية، ص:٥٩٦

٣ اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، للدكتور سعيد الورقي، ص:٣٢، الهيئة المصرية للكتاب الإسكندرية.

كانت تعتز بدينها وتفتخر به، فأثر بشكل كبير في غرس حب الإسلام والدين في نفس ولدها معروف الأرناؤوط تحدث الكاتب عن أمه قائلا:

"يوم كانت أمي تجلس إليّ في ليالي الشتاء لتقصي عليّ أروع ما عرفته عن حياة سيد قريش وصحبه وكانت تلك القصص البذرة التي أنشئت وأبدعت فيما بعد روائع روايات التاريخية." [1]

في البداية دخل معروف الأرناؤوط في إحدى مدارس بيروت، ثم دخل في المدرسة العثمانية التي كان يديرها الشيخ أحمد عباس الأزهري الذي كان حريصاً على تعليم اللغات الأجنبية، فبرزت مواهب معروف الأرناؤوط منذ الطفولة فمارس الخطابة والكتابة ونظم الشعر.

وبدأ معروف كتابة المقالات والقصائد، وترجم قصصا كثيرة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية الفصحى، وفي ذاك الوقت كانت سورية ولبنان بلدا واحدا، فقرأ السوريون مقالات معروف الأرناؤوط وقصصه بكل شَوْقٍ ووَلَهٍ، تلك القصص كانت تنشر في صحف بيروت الموالية لحكومة إستانبول.

وكان أول عمل أدبي له عن أبي العلاء المعري بعنوان: "فردوس المعرّي"، وهي رحلة خيالية استوحاها الكاتب من رسالة الغفران.

وفي عام ١٩١٤م بدأت الحرب العالمية الأولى وذهب معروف الأرناؤوط لقضاء مدة معهودة في الجيش العثماني على ضفاف البوسفور في إستانبول للخدمة

[1] قدماء ومعاصرون، للدكتور ساي الدهان، ص:٢٥٥، تاريخ الطبعة:١٩٦١م، دار المعارف مصر.

الإلزامية حسب لوائح الدولة فتعرّف على بعض الأدباء هناك، ولكن الدولة العثمانية انهزمت في تلك الحرب، فهرب معروف من الخدمة في الجيش عام ١٩١٦، يقول:

"ولقد خرجت من الحرب وأنا أحمل في قلبي كثيرا من الهمّ وكثيراً من الشعر، فأمّا الهمّ الذي حملته فقد سرب إلى نفس من انكسار هذه الأمة التي أحببتها، ومن إخفاقها في جني ثمار كدحها وجدّها..." (١)

ثم وصل معروف الأرناؤوط إلى حوران، وبدأ يعمل صحفيا ثم أسس مع قاسم عثمان جريدة "الاستقلال العربي" ثم مجلة "العلم العربي" ثم أصدر جريدة بعنوان: "فتى العرب"، واتصل بها حتى آخر حياته استقر معروف الأرناؤوط في دمشق، تزوج هناك ورُزِق ثلاثة أولاد، وفي عام ١٩٤٨م أصابه مرض واشتد ذلك حتى مات بسببه.

أعماله الأدبية:

الروايات التاريخية:

١. سيد قريش	١٩٢٩
٢. عمر بن خطاب	١٩٣٦
٣. طارق بن زياد	١٩٤١
٤. فاطمة البتول	١٩٤٧

١ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، لعبد اللطيف آرناؤوط، ص:٣٠٩، رمضان ١٤١٢هـ، العدد:٦٣.

ترجم الكاتب معروف روايات عديدة مثل: "عذاب الضمير لجاك دارسي، تقريع ضمير الملوك لأدولف دانري، لادام أو كاميليا لإسكندر ديماس الصغير، وترجم كذلك مسرحيات عديدة مثل: عمرو بن العاص، والرجوع إلى أدرنه لروجيه لاهونت، في طرابلس الغرب، ولينجر لتيودور بوتريل، عواطف الإخاء، والصقلي الشريف لألفريد دي موسيه، ديانات لأدولف دانري، الطفلان الشريدان لبيير دي كورسيل، وألّف عددا من الكتب نحو: فردوس المصري -١٩١٥، نصارى العرب في الشام والعراق، وتاريخ الأدب في القرن التاسع عشر، والابتسامات والدموع.

ولذلك أصبحت مصر ثم لبنان منارتي الأدب العربي سواء أ كان ذلك شعرا أم نثرا من أجل هؤلاء الروائيين المعروفين، وانتشر الأدب بجملة أنواعه وبخاصة الأدب الروائي في أنحاء العالم العربي.

أشهر الروائيين في الأدب الأردي:

بدأ الأدب الأردي ينتشر في شبه القارة الهندية بعد عام ١٨٠٠م حينما أنشأ الإنجليز كلية "فورت وليم" برعاية "جون غل كرست"، فترجمت الكتب الأردية إلى لغات أخرى.

وأول رواية في الأدب الأردي كتبها السيد دبتي نذير أحمد باسم "مرآة العروس" قبل سنة ١٨٥٧م، وإن لم تكن عناصر الرواية توجد فيها كاملة، وأما أول رواية أردية بمفهومها الفني في الأدب الأردي هي: فسانة آزاد أي قصة الحر للكاتب سرشار ١٨٧٩م.

"وبعضهم يرون أن أول رواية فنية كتبت في الأدب الأردي هي "ملك العزيز وورجينا"، وقد كتبها عبد الحليم شرر سنة ١٨٨٨م". [١]

وقبل انقسام الهند وانفصال باكستان منها كانت الروايات الأردية تتناول عموما الفساد الاجتماعي والاضطراب والتشتت والصراع بين المسلمين والهنادكة، وبعض الكتّاب ركزوا على وصف أماكن اللهو حيث كان الأمراء والأغنياء والأثرياء يلهون، وبعضهم ركزوا على المغنيات مثل رواية "أمراؤ جان ادا"، ثم ظهرت بعد انفصال باكستان من الهند روايات تاريخية، وبخاصة روايات تاريخية إسلامية.

[١] داستان سے افسانے تک۔ وقار عظیم۔ص ٥٧.

عبد الحليم شرر: (١٨٦٠-١٩٤٦م)

اسمه عبد الحليم شرر بن حكيم تفضل حسين ولد عبد الحليم في مدينة لكنو بالهند عام ١٨٦٠م، وكان والده حكيما وعالما باللغتين؛ العربية والفارسية وكذلك كان يعرف أبوه الرياضيات، انتقلت أسرة عبد الحليم شرر من العراق إلى الهند، ثمة كبار من العلماء الذين كانوا من الأسرة نفسها مثل والد جده مولوي نظام الدين الذي كان معلماً للإنجليز مستر مارتن، إنه جاء من دهلي إلى لكهنؤ بأهله ليستقر هنا ويدرس مستر مارتن وفي ذلك الوقت كان معه ابنان؛ أحمد ومحمد، وكان والده تفضل حسين ابنَ مولوي محمد، ويقول عن ذلك عبد الرحيم شرر:

"هنا في قصر مارتن ولد ابن مولوي محمد وسُمِّيَ بـ عبد الرحيم. وسَمَّتْه أمه تفضل حسين وأصبح معروفاً بهذا الاسم وهذا كان والدي". [1]

وكان جده عاملا عند ملك أوده، وبعد الانهيار انتقل إلى كلكتا، فانتقل والد عبد الحليم شرر إلى كلكتا أيضاً أما عبد الحليم شرر فإنه انتقل إلى كلكتا مع والدته في ١٨٦٩م والتحق هناك بالدراسة الابتدائية في ميتا برج، وتعلم العربية والفارسية والفلسفة والفيزياء والطب بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية.

كان عبد الحليم شرر يكتب تعليقات في صحيفة أوده، وعندما تقاعد جده مولوي قمر الدين فأحَلَّ حفيدَه عبدَ الحليم شرر محلَّه، وهناك بدأ شرر يميل إلى مرافقة الأمراء في ميتا برج، وكان لا يعجب والده، ومن أجل ذلك ذهب به والده إلى

---

[1] عبد الحليم شرر بحيثيت ناول نگار، للدكتور على احمد فاطمى، ص: ١٠٨، انجمن ترقى اردو پاكستان.

لكهنؤ... وتزوج عبد الحليم شرر بابنة خالته عام ١٨٧٦م، وبعد الزواج بعام انتقل الكاتب شرر إلى دهلي لدراسة علم الحديث، ثم عاد إلى لكهنؤ عام ١٨٨٠م، ونظم بعض الأناشيد، فمنها مثلا: شب وصل أي ليلة اللقاء، وشب غم أي ليلة الحزن، والإسلام والزمن، فبالرغم من كونه شاعرا مجيدا إنه لم ينل شهرة كشاعر بل اشتُهِرَ بروايته وعُرِفَ بها.

ويمكن أن تقسم حياة عبد الحليم شرر الأدبية إلى خمس مراحل:

المرحلة الأولى:

تبدأ هذه المرحلة من بداية حياته العملية إلى عام ١٨٨٤م حيث أكمل فيها عبد الحليم شرر دراسته، وبدأ كتابة التعليقات لصحيفة أوده، ويمكن أن تسمى تلك المرحلة بالمرحلة التدريبية.

المرحلة الثانية:

وتبدأ هذه المرحلة الثانية من حياته بتأليف الرواية ونشر دلكداز ١٨٨٥م إلى ١٨٩٦م، وقضى فترة من هذه المرحلة في لكهنؤ وفترة في حيدر آباد، وزار أوربا أيضا، وكتب روايته التاريخية الأولى بعنوان: "ملك العزيز وورجينا" وروايات أخرى مثل: "قيس ولبنى" و"فلورندا".

المرحلة الثالثة:

تبدأ هذه المرحلة من ١٨٩٧م وتمتد إلى ١٩٠٧م، عكف عبد الحليم شرر في هذه المرحلة على التاريخ، ولاسيما بعد أن عاد من إنجلترا، ثم ذهب إلى

حيدر آباد وكتب هناك روايته "أيام العرب" فتحدث فيها عن الظروف الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، وفى عام ١٨٨٩م ألّف الكاتب رواية أخرى بعنوان: "فردوس برين"، وهذه الرواية قد نالت على دعاية كبرى بين الأوساط العلمية، حتى تعبتر من أحسن رواياته.

المرحلة الرابعة:

تتراوح هذه المرحلة ما بين ١٩٠٨م و١٩١٤م، أصبح عبد الحليم شرر في تلك المرحلة مدير التعليم في حيدر آباد، وكان يصدر "دلكداز" من حيدر آباد، ثم قام بتأليف روايتين أخريين: "زواج آغا صادق"، هذه رواية اجتماعية، و"ماه ملك" هذه رواية تاريخية.

المرحلة الخامسة:

هذه المرحلة تعتبر المرحلة النهائية من حياته، إنها تبدأ من ١٩١٥م وتمتد إلى ١٩٢٦م، قام الكاتب فيها بكتابة البحوث والمؤلفات التاريخية، وأصدر كذلك في تلك المرحلة مجلة الفيروز، وكتب رواية "الفانسو".

إنه كتب أيضا فيها بعض المسرحيات، ومن أهم تلك المسرحيات "شاهد وفا"، وقام بمراجعة بعض المؤلفات السياسية... توفي مولانا عبد الحليم شرر في ديسمبر ١٩٢٦م بعد أن قضى مدة طويلة (حوالي خمسين عاما) من حياته الذهبية في خدمة الأدب، وبخاصة التاريخ الإسلامي.

أعماله الأدبية:

روايات تاريخية	
١. ملك العزيز وورجينا	٢. حسن انجلينا
٣. منصور موهنا	٤. قيس ولبنى
٥. يوسف ونجمة	٦. زيد وحلاوة
٧. أيام عرب	٨. فردوس برين
٩. مقدس نازنين	١٠.شوقين ملكة
١١.فتح اندلس	١٢.ماه ملك
١٣.فلبانا	١٤.زوال بغداد
١٥.رومة الكبرى	١٦.الفانسو
١٧.فاتح مفتوح	١٨.جوياے حق
١٩.عزيزه مصر	٢٠.شهزاده حبش

نسيم حجازي: (١٩١٤م-١٩٩٥م)

"ولد نسيم حجازي في ١٩ من مايو عام ١٩١٤م بقرية سوجان بور وقعت في منطقة غورداس بور قريبة من مدينة معروفة في الهند "دهاريوال"، بعد أن ولد الكاتب فسماه أبوه بـ "محمد شريف" ثم اختار المؤلف لنفسه اسم "نسيم حجازي" مؤخرا حينما دخل ميدان الأدب والقلم، فاشتُهِرَ به بين الأوساط حتى ظُنَّ أنه اسم حقيقي له، نشأ الكاتب في أسرة متوسطة كانت تسكن على ضفة بحر "ستلج" في قرية "سوجان بور"." (١)

١ نسيم حجازي كتابيات، للدكتور تصدق حسين راجا، ص:٥، ت ط: ١٩٨٧، مقتدرة قومي زبان. وأنظر كذلك: ونسيم حجازي ايك مطالعة، للدكتور تصدق حسين راجا، ص:٢٦، ت ط: ١٩٨٧، قومي كتب خانه لاهور.

درس الكاتب أولا في المدرسة الابتدائية التي كانت في قرية "كهندا" ثم التحق بالمدرسة التبشيرية في مدينة "دهاريوال".

لما توفيت والدته انقطع عن التعليم طوال عامين، ولكنه لم يترك مطالعة الكتب الأدبية والروايات والقصص لرغبته الشديدة فيها، وبعد سنتين التحق ثانيا بالمدرسة فأكمل دراسته الثانوية ثم التحق بالكلية الإسلامية في لاهور سنة ١٩٣٢م، وقد وجد الكاتب في تلك الفترة جوا علميا وأدبيا، فاغتنمه، وانتهزه، واستفاد منه ثم تزوج ببنت مولانا غياث الدين في أكتوبر ١٩٣٧م.

حياته الأدبية والعلمية:

بدأ الكاتب حياته الأدبية إبان الشباب، وقد ألّف بعض القصص القصيرة خلال دراسته في الكلية الإسلامية بلاهور، ومن أشهر القصص في تلك الفترة قصة "شودر"... سافر الكاتب بعد أن أتم دراسته في لاهور إلى كراتشي، والتحق هناك بهيئة الجريد اليومية "الحياة"، وقضى ثلاث سنوات ثم دعاه مير جعفر جمالي حاكم إقليم بلوشستان ليتعلم اللغة الإنجليزية منه.

وجد الكاتب فرصة ثمينة لكتابة الرواية في أثناء استقراره في بلوشستان، فكتب أربع روايات ثم انتقل من بلوشستان إلى راولبندي، وبنى هناك بيتا ثم التحق ثانيا بالجريدة "تعمير" الصادرة يوميا في راولبندي، والجريدة الأخرى "كوهستان".

حينما بلغ الكاتب في الخمسين من عمره فترك العمل في تلك الجرائد والمؤسسات، وبدأ يركز على كتابة المقالات والروايات.

أصيب نسيم حجازي في آخر حياته بمرض السكر، ومات في مارس سنة ١٩٩٥م، ودُفِنَ في مقبرة إسلام آباد بعد أن تَرَكَ لنا عدداً كبيراً من الروايات التي اتخذت مادَّتَها من تاريخ المسلمين في الشرق والغرب.

أعماله الأدبية:

روايات تاريخية	
١. حكاية مجاهد (داستان مجاهد)	٢. المعركة الأخيرة (آخری معرکه)
٣. انسان اور ديوتا	٤. معظم علی
٥. محمد بن قاسم	٦. وتحطم سيف آخر (اور تلوار ٹوٹ گئی)
٧. الصخرة الأخيرة (آخری چٹان)	٨. قيصر وقصری
٩. شاهين	١٠. قافلة حجاز
١١. التراب والدم (خاک اور خون)	١٢. راحل في ظلام الليل (اندھیری رات کے مسافر)
١٣. يوسف بن تاشفين	١٤. الكنيسة والنار (کلیسا اور آگ)
وروايات أخرى.	
١. سو سال بعد	٢. سفيد جزيرة
٣. ثقافت کی تلاش	٤. پورس کے ہاتھی.

عنايت الله التمش:

ولد الكاتب سنة ١٩٢٠م في منطقة جوجر خان، وكان اسم والده بابو نيك عالم، عاش عنايت الله التمش في إنجلترا والهند وباكستان.

إنه درس في المدرسة الابتدائية ثم التحق بكلية جوردن - راولبندي، وعمل فترة في الجيش البريطاني، وفترة في المخابرات السرية، وبعد إن تم إنشاء دولة باكستان انتقل إليها ثم التحق بالقوات الجوية فيها.

بدأ عنايت الله التمش رحلته العلمية بكتابة القصص في جرائد مختلفة أثناء عمله في الجيش الهندي، حينما ترك العمل في الجيش الباكستاني قام بإصدار مجلة "الحكاية"، هذه المجلة لا تزال تصدر... ترجم الكاتب بعض الروايات الإنجليزية إلى اللغة الأردية أيضا.

وكتب الكاتب عدة مقالات في موضوعات شتى، وقد فاز تأليفه "من بدر إلى باتابور" بالجائزة الوطنية.

أما رواياته التاريخية فقد نالت فضلا كبيرا بين جميع الأوساط، فمنها مثلا:

- قصة خونة الإيمان (داستان ايمان فروشوں کی).
- ولد محطم الأصنام (اور بت شکن پیدا ہوا).
- في سجن دمشق (دمشق کے قید خانے میں).
- أفعي الأندلس (اندلس کی ناگن).
- السيف المسلول (تلوار بے نیام)، وغيرها.

فصدر للكاتب عنايت الله التمش أكثر من مائة كتاب في شتى مجالات الأدب وميادينه، إنه توفي عام ١٩٩٩م. [1]

[1] انسائيكلو پيڈيا پاكستانيكا، لسيد قاسم محمود، ص: ٦٩٢.

رئيس أحمد جعفري:

سيد رئيس أحمد جعفري بن سيد ناظر حسين جعفري أديب وشاعر وصحافي وروائي، ولد رئيس أحمد جعفري في لكهيم بور الهند في ٢٣ من مارس سنة ١٩١٤م.

حينما أنشئت باكستان فغادر الهند وهاجر إلى باكستان، ومن آثاره: روايات تاريخية وغيرها. [١]

صادق سردهنوي:

كان محمد صادق حسين سردهنوي روائيا وصحافيا، وُلِدَ هذا الأديب والصحافي في ١٥ من إبريل سنة ١٩٦٣م، إنه أنشأ جريدة أسبوعية بعنوان: هفت روزه ليل ونهار، وقد كتب روايات تاريخية أكثر من ثلاثين، فمنها مثلا: فتاة عربية (عربى دوشيزه)، وفتوح الشام، وفتح الأندلس، ومعركة كربلاء، وغير ذلك. [٢]

---

[١] شبكة انترنت: http://www.bio-bibliography.com/authors/view/2263

[٢] شبكة انترنت: http://www.bio-bibliography.com/authors/view/2263

الفصل الأول:

عرض للروايات المختارة

المبحث الأول: عرض للروايات العربية

- ◊ فتح الأندلس لجرجي زيدان
- ◊ طارق بن زياد لمعروف الأرناؤوط
- ◊ أميرة قرطبة لعبد الحميد جودة السحّار

المبحث الثاني: عرض للروايات الأردية

- ◊ "يوسف بن تاشفين " لنسيم حجازي
- ◊ "فتح اندلس " لعبد الحليم شرر
- ◊ "دمشق کے قید خانے میں (في معتقل دمشق) لعنايت الله التمش

المبحث الأول
عرض للروايات العربية

١. فتح الأندلس لجورجي زيدان
****

يتحدث الروائي أولا عن الأندلس [١] والقوط وطليطلة [٢]. ثم يذكر فلورندا وهي خطيبة الفونس بن غيطشة الذي كان أبوه ملكا على القوط، وكان الفونس ولى عهد للملك من بعده، ولكن رودرك اختلس المُلْك بعد وفاة غيطشة، ثم أخذ معظم رجال الدين من الرومان واليهود يعارضونه معارضة شديدة وحاولوا عزله عن عرشه أو قتله عن بِكْرِه.

أما فلورندا فقد بعثها أبوها إلى بلاط المَلِك رودرك في طليطلة على عادة النبلاء وحكام الولاة حيث كانوا يرسلون أبناءهم وبناتهم إلى البلاط الملكي ليتربوا في كنفه ويتعلموا آداب القصر. استمال قلب رودرك إلى الفتاة فلورندا، فأعجب بها

---

١ الأندلسandalucia وقد عرفت الأندلس في أقدم عصورها باسم "أيبريا"، ثم عرف شبه الجزيرة بعد ذلك باسم إسبانيا ولما جاء المسلمون بعد ذلك أطلقوا عليها اسم الأندلس. (الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، للدكتور أحمد هيكل، ص:١، دار المعارف بمصر، ت ط:١٩٨٦م) وانظر كذلك (اسم عرف به جنوب إسبانيا بعد أن احتلها الفاندال فأخذ عنهم اسمه :واندلوسيا ،ثم أطلقه العرب على شبه جزيرة ايبيريا عامة بعد أن دخلوها ،استقلت الأندلس عن العباسيين وكوّنت إمارة قرطبة في عهد الخليفة الأموي عبدالرحمن الأول ٧٥٢،تلاشت الإمارة فعقبها دويلات حكمها ملوك الطوائف ١٠٣١،ومن بعدهم المرابطون ثم الموحدون ،والاندلس اليوم ولاية في إسبانيا الجنوبية تتألف من ثمانية أقضية ،فيها جبال سييرا نيفادا ،منطقة زراعية. ويلاحظ،في أيامنا الحالية ،اهتمام كبير يبديه الإسبان بالكشف عن التراث العربي والإقبال على تدريسه ،ونشر الأبحاث والمجلات والكتب عنه،فإن من يزور المكتبات الإسبانية في سائر أنحاء أسبانيا ،لا في الأندلس فحسب،يدهش لوفرة الكتب المنشورة ،المخصصة لتاريخ الحضارة العربية ،فهي تشمل بسائر العلوم والفنون.(الموسوعة التاريخية الجغرافية ،لمسعود الخوند ،ص :٢٩٦/١ ،ت ط:١٩٩٤،داروادالنهضة للطباعة والنشر والتوزيع .بيروت .لبنان))

٢ طليطلة Toledo : تقع في منعطف نهرا لتاجه على بعد خمسة وسبعين كيلومترا من مدريد. (الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال. لعبد الله عنان، ص:٨٠، مكتبة الخانجي بالقاهرة.) (ب ت) وانظر كذلك (مدينة في أواسط أسبانيا قرب مدريد ،استردها الفونس آثار عربية فخمة ،ويزورها سنويا ٣ملايين سائح للتعرف إلى عمارتها التي تحا فظ على تميزها و يعيش سكان طليطلة حاليا على ما ورثوه عن العرب من صناعات يدوية هي في الأساس صناعات دمشقية .(الموسوعة التاريخية الجغرافية ،لمسعود الخوند ،ص :٣٠١/١))

إعجابا شديدا لحسنها وجمالها ونضارتها، فلم يصبر حتى شُغِفَ بها حبا وولوعا، وما استطاع رودرك التحاشي من الوقوع في انتهاك شرفها وكرامتها فقام بمحاولات عديدة لأن تضطر فلورندا إلى ترك خطيبها الفونس ولكنه فشل في جميع محاولاته، استمد الفونس من عمه أوباس لإنقاذ فلورندا من مخالب رودرك والقضاء على بغيته الخبيثة، فاز أوباس في ذلك فأخذ فلورندا معه وتركها عند خالته في الدير.

حينما عاد أوباس بعد ترك فلورندا في الدير قبضه الملك ثانيا، وقدَّمه للمحاكمة أمام مجمع الكنيسة بتهمة التحريض على الثورة ضد الملك، فأخذ أوباس يواجه الملك بالتعريض بما قد حدث في بلاطه وحكمه من جريمة انتهاك عرض الفتاة العفيفة التي آواها في قصره.

فكّر مستشارا رودرك في إنهاء مجلس المحاكمة كيلا يبوح أوباس أمام الجمهور بما قد مضى من تفاصيل الظلم، وأُمِرَ بإلقاء أوباس في السجن حتى يأتي حكم نهائي تجاهه.

أما الفونس فعزم الملك على إبعاده عن طليطلة، وبعث إليه الرسالة مختومة بأمره أن يتوجه إلى مدينة استجة [1] بين قرطبة [1] وإشبيلية [2] على رأس فرقة من

---

[1] Ecijaاسم لكورة بالأندلس متصلة بأعمال رية بين القبلة والمغرب من قرطبة، وهي كورة قديمة واسعة، وهو على نهر غرناطة بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ وأعمالها متصلة بأعمال قرطبة. ينسب أليها محمد بن ليث الإستجي محدث. (معجم البلدان لعمر رضا كحالة، ص: ١٧٤/١، مكتبة المثنى بيروت. (ب.ت)) وانظر كذلك (ومدينة إستجة على نهر غرناطة المسمى شنيل، قاعدة إقليم إشبيلية الغربي في إسبانيا نحو ٥٥٠٠ن ،يتعاطى سكانها تربية الثيران للصراع، ما من شك في ان أسوار استجة الحالية ترجع الى عهد الموحدين. كان القصر قائما في الزاوية الجنوبية الشرقية من الأسوار وكانت يحيط به سور مزدوج درس مع الزمن. كان القصر مركز السلطة السياسية والادارية في المدينة وبقي الأمر كذلك بعد سقوطها في سنة ١٢٤٠. (الموسوعة التاريخية الجغرافية ،لمسعود الخوند ،ص :٢٩٥/١))

الجيش، وينتظر في قلعته حتى يأتيه الأمر. رافقه يعقوب كخادم ومستشار في هذه الرحلة.

وفي أثناء تلك الرحلة لاحظ الفونس ما كان يعانيه عامة الشعب من الظلم والاضطهاد على أيدي رجال الملك رودرك. وشعر بأن يهود استجة لعلهم في أهبة الاستعداد للهجوم على رودرك لخلعه من العرش، وفي سبيل تحقيق مبتغاهم إنهم يجتمعون بين فينة وأخرى متآمرين ضد ظلم رودرك وبغيه وعدوانه للإنسانية ويخططون للثورة عليه.

يقابل الفونس في أحد الاجتماعات تاجرا يُدْعَى سليمان اليهودي الذي جاء من سبتة، كان يريد أن يبلغ هؤلاء المكافحين ظلم رودرك والمعارضين طغيانه والثائرين ضده أن العرب (أبناء إسماعيل عليه السلام) قد فتحوا العالم وامتد سلطانهم إلى العراق والشام وفارس وخراسان ومصر حتى منتهى مطاف حدود الشمال الأفريقي. إنهم كانوا يعاملون الشعوب بالتسامح والرفق واللين والحب والوداد

---

[1] Cordova مدينة أندلسية إسبانية، ترجع إلى العصر الروماني تقع على سفح جبال قرطبة الجنوبي، على منحني الضفة الشمالية لنهر الوادي الكبير، اشتهرت أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا حيث كانت عاصمة الدولة الأموية هناك، (آثار البلاد وأخبار العباد: القزويني ،لزكريا بن محمد بن محمود القزويني ،ص: ٢٣٦/١، دارصادر بيروت (ب.ت)) وانظر كذلك (مدينة في إسبانيا على الوادي الكبير ،مركز الإقليم وكرسي أسقفي ،صناعة الجلود والمصنوعا ت ،أسسها الفينقيون ثم احتلها الرومان ،استولى عليها العرب فأصبحت عاصمة الدولة الأموية في الأندلس ،أهم آثارها العربية :قصرالحمراء.(الموسوعة التاريخية الجغرافية ،لمسعود الخوند ،ص :٣١٠/١))

[2] Seville إشبيلية مدينة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها تسمى حمص أيضا، وبها قاعدة ملك الا ندلس وسريره. وبها كان بنوعباد. واشبيلية قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف. وينسب إليها خلق كثير من أهل العلم، ومنهم: عبد الله بن عمر الخطاب. (معجم البلدان لياقوت الحموي: ص:١٩٥/١.) وانظر كذلك (مدينة في الأندلس ،شهيرة بقصرها ،فتحها العرب ٧١٢وانتزعها منهم فرديناند٣ سنة ١٢٤٨ ،صناعة نسيج بها يكنى بوحنا الإشبيلي ،كانت إشبيلية مركزا تجاريا مزدهرا حتى إن مؤرخا عربيا قال "إذا طلبت حليب العصفور في إشبيلية فإنك لواجده "من حيث الأهمية ،بعد القديس بطرس في روما ،والقديس بولس في لندن ،وهي تضم رفات كريستوف كولومبس .(الموسوعة التاريخية الجغرافية ،لمسعود الخوند ،ص :٢٩٦/١))

ويساعدوا اليهوديين ويحرروهم من رق المسيحيين. بهر بذلك قلوب اليهود واستمالوا بكل شوق ورغبة ولهف إلى نصرة العرب في فتح إسبانيا.

كان سليمان يروي لهؤلاء اليهود أخبار غضب يوليان من رودرك وإرادة ثأره منه من أجل اغتصاب ابنته، وذكر لهم أن يوليان اشتعل نارا منذ تلك اللحظة، وأصبح مع المسلمين في حربهم ضد هذا العدو الجائر والطاغي، وأخذ يحرضهم على الإغارة على إسبانيا.

حينما وصل خبر الانتهاك والاغتصاب إلى الفونس فاشتد غضبه على رودرك ونوى أن ينتقم منه سوء الانتقام وسوء العذاب.

اتجه طارق بن زياد مع حبيشه البحري بمعونة يوليان وأنصاره إلى إسبانيا، فرُحِّبَ ترحيبا حارا واستُقْبِلَ استقبالا سارا من أهل البلاد لاطلاعهم على مزايا المسلمين وعدلهم وإنصافهم واحترامهم للعهود والوثائق، ففي تلك الرحلة إلى إسبانيا كان بدر – وهو قوطي الأصل – من رفقاء طارق، فجعله طارق بن زياد بمثابة أخيه الشقيق وذراعه اليمنى.

وصل جيش طارق بن زياد إلى شريش [1] وفي أثناء ذلك كانت فلورندا تسمع أخبار الحرب في الدير من خادمين مخلصين، وكان أحدُ الخادمين رسولَ الفتاة إلى

---

[1] Jerez مدينة كبيرة من كورة شذونة وهي قاعدة الكورة واليوم يسمونها شرش. (معجم البلدان لياقوت الحموي.ص:٣٤٠/٣)وانظر كذلك (مدينة في إسبانيا ،هي اليوم خيريث الفرونتيرة (مقاطعة قادس) كانت في العهد الإسلامي إحدى مدن مقاطعة بطليوس بالقرب من إشبيلية ،احتلها بنوعباد ١٢٣٣ ثم بنونصر انجبت عددا من الأدباء والفقهاء الشهيرين.(الموسوعة التاريخية الجغرافية ،لمسعود الخوند ،ص :٣٠٦/١))

أبيها في سبته [1]، وهو الذي أخبر أباها مقدَّما أن ابنته فلورندا قد وقع في فخ رودرك ثم تمكنت من الهروب... وهذا الخادم نفسه الذي جاء بنبأ عظيم إلى الدير بأن أباها قد عزم على إدخال العرب في الأندلس لقهر ظلم هؤلاء المغتصبين.

وفي تلك الحالة حينما كان المسلمون يكادون أن يفتحوا بلاد العالم كله، ولاسيما زال الانشقاق من صفوفهم وصفوف أصحابهم ضد الظلم والقهر والعدوان انحاز أوباس إلى طريق آخر، ألا وهو طريق الحفاظ على الديانة المسيحية، كتب أوباس الرسالة إلى ابن أخيه الفونس ودعاه فيها إلى التخلي عن يوليان وأصدقائه وزملائه من المسلمين، ونصحه بالانضمام إلى صفوف رودرك والدفاع عنه ضد المسلمين ومن صحبهم في ذلك معلِّلاً أن المسلمين سوف يمحون دولة القوط من بكْرِها ويزيلون قواعدها ويسقطون أركانها وينبشون جذورها حتى تزول الديانة المسيحية من أسبانيا وتموت برمتها.

التقى جيش رودرك وطارق في وادي لبته، ففي تلك اللحظة رأى الفونس نفسه بين لهبي النار، فعمه أوباس كان من أنصار عدوه السابق رودرك، ويوليان والد فلورندا كان من حلفاء طارق بن زياد، فاستمال قلب الفونس إلى مناصرة العرب

---

[1] Ceuta وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها، أجود مرسى على البحر، وهي على برّ البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة. (معجم البلدان لياقوت الحموي، ص:١٨٢/٣.) وانظر أيضا (سبتة هي احدى مدن إسبانيا تقع على القارة الإفريقية مقابل لمضيق جبل طارق، تحدها من الشمال والجنوب والشرق البحر الأبيض المتوسط ،يتألف سكانها من المسيحيين والمسلمين، مع وجود أقلية يهودية وهندوسية .وقد أصبحت المنطقة منذ عام ١٩٩٥ تتمتع بصيغة الحكم الذاتي داخل إسبانيا بقرار البرلمان الإسباني عام ١٩٩٥ في أقصى طرف المدينة تمتد شبه جزيرة ألينة، وتضم أراضيها جزيرة سانتاكا)) ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

لكونه حريصا على عشيقته وحبيبته، ولا يمكن له الحصول عليها دون مكافحة رودرك وزوال ملكه.

بقي الفونس في اضطراب تجاه مناصرة أحد الفريقين، فاستقر نفسه في ساعة على متابعة عمه والانضمام إلى صفوف رودرك من أجل حمية دينية، ففي أثناء لحظات خوضه تلك المعركة القاسية استسلم الفونس رسالة من فلورندا تدعوه إلى مناصرة والدها، وتحثه على قتال رودرك، أثرت تلك الرسالة في نفس الفونس فانضم مباشرة إلى صفوف المسلمين، دارت رحى الحرب ساعتئذ، وقد وصلت فلورندا إلى ميدان الحرب أثناء المعركة لتبعث في نفوس المحاربين حمية وغيرة وقوة ضد رودرك وجيشه، بدأت النار تلتهب جنود رودرك رويدا رويدا حتى انتهت الحرب بهزيمته الشمطاء، مات رودرك غريقا في النهر، ووقعت فلورندا أسيرة في يد بدر صاحب طارق بن زياد، أعجب بدر بحسنها فطالب بأن تكون ملكا له، ولكن التاجر اليهودي سليمان أخذ ينشر خبرا بأن بدرا هو ابن يوليان، وقد سرقه وكان طفلا ثم حمله إلى بلاد البربر وباعه لأحد كهنتهم فسلمه هذا الكاهن لزياد والد طارق، فرباه زياد مع أبنائه الآخرين حتى كبر، فمن هذه الناحية إنه (بدر) صار أخا لفلورندا فلم تحل له أبدا، أعجب الجميع بهذه القصة، وانتهت الرواية بفتح طارق بن زياد وزواج الفونس من فلورندا. [1]

١ اقتبست هذاالملخص من مقدمة المقال "روايات تاريخ الإسلام فتح الأندلس لجرجي زيدان،تقديم ودراسة للدكتور محمود على مكي ،تصدر من مؤسسة دارالهلال ،١٩٨٤، وذكرت هنا بتصرف، (صفحات المقدمة غير مرقمة)

٢. طارق بن زياد لمعروف الأرناؤوط
****

كتب معروف الأرناؤوط روايته التاريخية الاجتماعية الثانية بعنوان: طارق بن زياد" سنة ١٩٤١، وقسّمَ أحداث الرواية إلى نوعين: النوع الأول ما تدور فيه الأحداث حول شخصية عقبة بن نافع [١] وقدوم الساحرة (دامية) البربرية لزيارته، وهي ابنة أمير قبائل جرجورة البربرية، وكانت دامية تجيد السحر، وتتنبأ بالغيب، جاءت دامية ذات يوم إلى عقبة بن نافع مستغيثة به أن ينقذ قومَها البربرَ من حُكْمِ كسيلا [٢] وسلطته، لأن والد دامية قد لاقى حَتْفَه على يد كسيلا الذي اعتصم بالجبال وراح يشن غاراته على كل عاص أو متآمر، كانت دامية جميلة إلا أنها لم تستطع أن تؤثر في نفس عقبة، لأنه نذر نفسه لنشر رسالة الإسلام والعروبة في أقطار البلاد وأرجائها فما استطاعت أن تجذب فؤاده إليها. وكان والد دامية قد أنبأها قبل وفاته أن في الأندلس حصناً "فيه تابوتٌ مليءٌ باللآلئ والجواهر" وفي داخل التابوت جلود أو رقوق مصبوغة صُنِعَتْ فيها صورُ فرسان، وقد جاء في أحد الرقوق أنه متى فُتِحَ هذا التابوتُ دَخَلَ القومُ – الذين صورهم فيه – الأنْدَلُسَ فذهب ملك من فيها إلى أيديهم.

---

[١] غزا عقبة بن نافع من القيروان فسار حتى أتى السوس الأقصى وغنم وسلم، ورد فلقيه كسيلا وكان نصرانيا، فالتقيا، فاستشهد في الوقعة عقبة بن نافع وأبو مهاجر دينار مولى الأنصار، وعامة أصحابها، ثم كسيلا الكلب، فسار لحرية زهير بن قيس البلوى خليفة عقبة على القيروان، فقتل في الوقعة كسيلا، وهزم جنوده وقتلت منهم مقتله كبيرة. (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي. حوادث ووفيات.ص:١٧/٥، المكتبة التوفيقية القاهرة. مصر.)

[٢] فهو كسيلا الأوربي البربري البرنسي، أكبر رؤساء البربر وزعيم بربر كان كسيلا متوسط الطول كثيف اللحية، محبا للغدر والخيانة. وصل زهير بن قيس والجيش الإسلامي باب القيروان سنة ٦٩هـ ثم التقى الطرفان. واقتتلوا قتالا شديدا، وهزم كسيلا وحلفاؤه وقتلوا قتلا ذريعا. (موقف كسيلا من الفتح الإسلامي للمغرب، لمحمد بن ناصر أحمد الملحم، ص: ١٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.)

لما قصَّ والد دامية عليها قصة الحصن والتابوت، فقالت له: قُضِيَ الأمرُ يا سيدي العزيز، نزل العرب بشواطئ إسبانيا ولا يعودون الآن، بينما والد دامية كان يخاف العرب في زوال ملكه وعرشه، إلا وقد صادفه موته على يد كسيلا، فاستشاطت دامية غضبا ولم يبق أمامها أي خيار سوى الثأر من قاتل أبيها، فلم تر أحدا يقدر على كسيلا إلا عقبة بن نافع فلجأت إليه مستغيثة.

استمع عقبة إلى قصة دامية فوعدها بالقضاء على كسيلا قاتل أبيها، فسرها هذا الوعد فاطمأنت ثم جاء بريد عقبة من دمشق حاملا رسالة موت أمه فأصابه حزن شديد لأنها كانت أحب إليه من جميع سواها.

وظلت قصة التابوت تؤرق عقبة وتحثه على ركوب البحر وبلوغ ذلك الحصن في سبتة فندب عشرة من رجاله بينهم طارق بن زياد [1] وطريف [2] ومغيث الرومي [3] ليجتازوا المضيق إلى جبل طارق.

أما طريف فكان حارسه بربرياً من صنهاجة، فتمكن طارق بن زياد من إقناعه وإرضائه على فتح الباب فتح لهم الحارس ذلك حتى تسللوا إلى حجرة يوليان صاحبه

---

[1] طارق بن زياد الليثي بالولاء. فاتح الأندلس. أصله من البربر. أسلم على يد موسى بن نصير فكان من أشد رجاله ولما تم لموسى فتح طنجة، ولى عليها طارقا. (الأعلام لخير الدين الزركلي، ص: ٢١٧/٣.)

[2] قال الرازي: هو أبو زرعة طريف بن مالك المعافري، الاسم طبق الكنية. بعث موسى رجلا من مواليه من البرابرة اسمه طريف يكنى أبا زرعة في أربع أربعمائة رجل معهم مائة فرس ساريهم في أربعة مراكب، فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الأندلس المعروفة بالخضراء التي هي اليوم جزيرة طريف لنزوله بها. (نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، للشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني، ص: ٢٤٥/١، ت ط:١٩٩٥، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.)

[3] مغيث الرومي. قال المقري: ليس برومي على الحقيقة، وتصحيح نسبه أنه مغيث بن حارث ابن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني، سبي من الروم بالمشرق وهو صغير، فأدبه عبد الملك بن المروان مع ولده الوليد. ونشأ مغيث بدمشق فأصبح بالعربية وقال الشعر وتدرب على ركوب الخيل وخوض المعارك. (الأعلام. ص: ٢٧٦/٧.)

وأيقظوه من نومه عند رآهم يوليان أخذ يرتعش خوفا ورعبا فقتلوه مع رجاله. أما دامية فجاءت إلى عقبة لتستنجد منه ثأرها ولكنها لم تجده فالتقت هناك مغيثا الرومي قائدا من قادة عقبة سألته دامية عن نسبه فأعلمها أنه عربي من أم بيزنطية ثم أرشدها إلى مكان عقبة قرب البحر.

ذهبت دامية إلى عقبة مباشرة وقصت عليه كل ما عانت من كسيلا غير أن الحديثها لم ينته بينهما حتى جاء الخبر أن الجنود قد ألقوا القبض على كسيلا وأصحابه، سجنه عقبة عتابا مع أنه قد عفا عنه للمرة الأولى وترفّق به، لأن الرفق بالجاني عتاب ولكن كسيلا قد نقض العهد وثار على عقبة ثانيا.

فرحت دامية فرحة حينما رأت قاتل أبيها وعدوها ذليلا بين يديها، إلا أنها كانت تخاف عفو الأمير عقبة لأنه كان رحيم القلب شفيق الفؤاد لما شاهدت أن عقبة قام بجزاء كسيلا تأديبا له اطمأن قلبها فشكرته على ذلك.

قرر عقبة أن يرمي بالسفن والزوارق الى البحر لفتح الأندلس فتوجه إلى معسكره في القيروان وأخذ معه كسيلا مقيّدا ومكبلا إلا أن عقبة رغب في الاستفادة من خبرة كسيلا فلاطفه في الطريق وطلب منه أن يرافقه في فتح الأندلس، اغتنم كسيلا فرصة ذهبية لنقض العهد ثالثا وطريقا أنسب للهروب من ظلمات السجن والذل، عهد كسيلا إلى عقبة أن يساعده في فتح الأندلس بعد أن يحشد قواته، غدر به كسيلا ونقض عهده وأخلف وعده لأن عقبة حينما سمح له أن يجمع قوته فذهب كسيلا إلى الجبال واعتصم بها متخفيا.

كانت المعركة شديدة بين عقبة وكسيلا، لأن ميدان المعركة لم تكن إلا ساحات ملتوية كالأودية الرملية وكان البرد قارصا، لما نزل الليل اجتمع رجال الأمير عقبة في وسط الوادي، انتهز ذلك كسيلا فهاجم هجوما عنيفا على عقبة وجيشه كالجراد إلا أنه لم يظفر به فعاد إلى الجبال وفي اليوم الثاني التحم الجيشان في معركة دامية، فقتلت عشرة رجال من قادة عقبة واحدا تلو الآخر وفي أثناء المعركة دبَّر كسيلا مكيدة خبيثة فرجع وأصحابه إلى فلج الجبل مرصادا لعقبة وأصحابه لأنهم ما كانوا خبراء بطرقات جبلية، حينما تعقب عقبة وأصحابه كسيلا وجيشه ودخلوا وراءهم الجبال وقعوا في مخالب العدو، ولم ينج أحد منهم، مات عقبة بن نافع هكذا بعيدا عن وطنه دمشق وبذلك ينتهي شطر من الرواية بموت بطل القسم الأول؛ الأمير عقبة بن نافع ختاما مأساويا.

وفي القسم الثاني من الرواية انتقل الكاتب إلى بلاد الأندلس الراقية وبدأ الرواية بذكر قصر (فال كلارا) المشرف على طليطلة حيث تعيش فلورندا ابنة يوليان مع عمها أسقف أشبيلية.

ومن قبل إن والد فلورندا قد أرسلها إلى الأندلس عند خالها الملك هيتزا لتمارس حياة البلاد وتطلع على مزاياها ولكنها لم تسلم هناك من أذى رودرك فأرسلها أبوها ثانيا إلى قصر فال كلارا حيث يعيش عمها الأسقف مع حاشية صغيرة تتألف من مربية وعبد وخولي ماهر جيء به من طنجة، وقيل إنه كان بيزنطي الأصل، عاش بين العرب في أفريقيا، وصقلت هناك لغته وأتقن الزراعة وهذا الخولي كان

مغيثا الرومي قائد عقبة الذي تسلل إلى الأندلس بصفة خولي ليمهد للعرب فتح الأندلس. ومن ثم نشأت علاقة الحب والود والتقدير بين فلورندا ومغيث الرومي، فقد أعجبت الفتاة الناضرة بثقافة مغيث لأنه كان ذا ثقافات متنوعة وكان يحسن اليونانية والعربية، عندما سألته فلورندا عن نسبه: أجاب بأن أباه الحارث بن جبلة بن الأيهم عاش القسطنطينية فترة من حياته [1] ولاسيما بعد ارتداده عن الإسلام، لأن هرقليوس قيصر الروم زوَّجَه بابنته ليبقى في القسطنطينية لكنه آثر العودة إلى بلد عربي موطن آبائه وأجداده، وكان حارث يراسل معاوية سراً ليعود إلى ديار الغساسنة في الشام، فرضي بذلك معاوية ووعده بأن يمنحه عشرين قرية من قرى الغساسنة في الغوطة وأطراف دمشق، مات حارث هنا واستطاع ثعلبة أحد أعوان الحارث أن يفر بوريثه الصغير ابنه مغيث الرومي إلى بلاد العرب، فأنزله ديار الغساسنة في الغوطة[2]، وكان جده قيصر قد حشد له المؤدبين فحذق اليونانية والرومية، وبرع في

[1] ويقال القسطنطينة. كانت رومية دار ملك الروم وكان بها منهم تسعة عشر ملكا، بينها وبين بلاد المسلمين البحر الملامح والحكايات عن عظمها وحسنها كثيرة. (معجم البلدان لياقوت الحموي، ص:١٩٥/٤.) وانظر كذلك (دارملك الروم ،بينها وبين بلاد المسلمين البحر الملح ،بناها قسطنطين بن سويروس له ثلاثمائة باب من حديد ،فيه كنيسة الملك وجميع حيطان الكنيسة بالذهب والفضة ومن عجائب الدنيا منارة قسطنطينية ،وبها قبر أبو أيوب الأنصاري، آثار البلاد واخبار العباد :للقزويني ،ص:٦٠٦) وانظركذلك (مدينة جزائرية عريقة في شرق الجزائر فوق مرتفعات صخرية يصل ارتفاعها إلى كيلومتر فوق سطح البحر ،وهي عاصمة ولاية بنفس الاسم وتشتهر بصناعة الجلود،وفي المدينة قلعة ضخمة عالية ،وقد سقطت المدينة تحت الاحتلال وخاصة في عهد الجنرال لاكوست ويعيش في المدينة حاليا ٢مليون نسمة يعملون في عدد وافر من مجالات العمل الاقتصادي (موسوعة ألف مدينة إسلامية ،لعبد الحكيم العفيفي ،ص:٣٧٢،دارالطبع والنشر والتوزيع ،ت ط:٢٠٠٠م،بيروت ،لبنان))

[2] هي الكورة التي منها دمشق، استدارتها ثمانية عشر ميلاً يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ولا سيما من شمالها فان جبالها عالية جداً، ومياهها خارجة من تلك الجبال وتمد في الغوطة. (معجم البلدان لياقوت الحموي، ص:٢١٩/٤.) وانظر كذلك :(الكورة التي قصبتها دمشق ،وهي كثيرة المياه نضرة الأشجار ،استدارتها ثمانية عشر ميلا،كلها بساتين وقصور ،تحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ،وهي أنزه بلاد الله وأحسنها ،قال الخوارزمي :جنان الدنيا أربع :غوطة دمشق وصغد سمرقند وشعب بوان وجزيرة الأبلة وقد رأيتها كلها فأحسنها غوطة دمشق.(آثار البلاد واخبار العباد للقزويني ،ص:٢٣٢))

العلوم والزراعة ثمت عُرِفَ باسم مغيث الرومي لما وصل مغيث إلى دياره أعلن إسلامه ثم التحق بالجيوش الإسلامية وأصبح أحد قادة عقبة بن نافع.

ذات يوم كان مغيث الرومي في القصر فوجد الرسالة التي كتبت فيها عن الذهاب إلى أفريقيا وكان هذا تمهيداً للفتح وكانت رحلة هذا الفتح تحت قيادة والي أفريقيا الجديد موسى بن نصير الذي خلف عقبة بن نافع حيث أخذ يجهز السفن والمراكب والأشرعة ليوجهها بقيادة طارق بن زياد إلى الأندلس ثم ذكر مغيث عن رحيله أمام فلورندا فأصبحت حزينة ويائسة، أكدها مغيث أنه سيعود عما قريب ثم ودَّعها وكان يشعر بحلاوة بأسه وشدته وشجاعته وقوته وضبط زمام نفسه، فلم يقف العشق والحب في طريق طموحاته. كان مغيث جنديا شجاعا جمع في ذاته فضائل الفروسية والألمعية، فقال لها مغيث إنني سأعود إليك مع الربيع، وسنعيش معاً في قصر بلنسية، [1] وعند إبانته عما يدور في خلده أمام فلورندا كان قلبه ملتاعا لوطنه دمشق، وكاد أن ينفجر حبا وعشقا. [2]

---

١ بلنسية: Valencia ، هي عاصمة مقاطعة فالنسيا في شرق إسبانيا على البحر المتوسط ومن أكبر مدن البلاد،مرفاعلى مصب الوادي الكبير ،مركز صناعي وتجاري ،بعد فتح طارق بن زياد وبقيت بيد العرب ١٠٥٨م،وأصبحت من عواصم الحضارة الإسلامية ثم حكمها ملوك قشتالة إلى أن استردها المُلثمون وأخيرا استولى عليها خيمة الأول ملك أراغون ١٢٣٨م ،وبلنسية واقعة على خليج بلنسية الممتد بين برشلونة في الشمال وراس نارفي الجنوب.(الموسوعة التاريخية الجغرافية ،لمسعود الخوند ،ص :٣٠٤/١))

٢ قدمت هذا الملخص استفادة من رواية طارق بن زياد لمعروف الأرناؤوط ، ط: الثانية مطبعة فتى العرب. دمشق (ب ت)

أبي عامر عندما رآهم ضاحكين على حديثه: هل يمكنكم أن تتمنوا أعلى فأعلى، أفضل فأفضل، ينبغي لكل واحد منكم إذا أراد أن ينال خيرا في الحياة أن يخطط له، ويضبط أوقاته، ولا يتحرك دون مسير الخطة، عندما فعل ذلك نجح فيما يستهدفه، فقال أحدٌ منهم: لعله يريد أن يكون حاكم قرطبة وقال الثاني: أتمنى أن أكون قاضياً بينما الثالث فقال: إنني أتمنى أن يطاف بي في قرطبة كلها على حمار ووجهي منحاز إلى الذنب وأنا مطلي بالعسل ليجتمع الذباب والنحل وقال الرابع: أحب أن أكون خازن نساء قصر الزهراء.

مضت الأيام وعَلِمَ أردون بن أذفونش بموت الناصر فأضرم ذاك الخبر نارَ حقده عزم أردون للهجوم على المسلمين فأخذ يُعِدُّ جيشه سراً حينما بلغ الحَكَمَ أمرُه فبعث قائدَه غالب لاستئصال الثورة علم أردون ذلك فترك جميع ما قام به وصالح المسلمين لبقائه وبقاء رعيته.

أما المستنصر بالله فكان يحب العلم والعلماء وكان يقضي معظم وقته في خزانة الكتب الزاخرة وكان حاجبه [1] المصحفي [2] بربرياً.

---

[1] يقول المقري: وأما قاعدة الوزراء بالأندلس فإنها كانت في مدة بني أمية مشتركة في جماعة بعينهم صاحب الدولة للإعانة والمشاورة بحضهم بالمجالسة، ويختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير، فيسميه بالحاجب، (نفح الطيب، ص: ١٠٢/١)

[2] جعفر بن عثمان بن نصر، أبو الحسن الحاجب المعروف بالمصحفي: وزير، أديب، أندلسي، من كبار الكتاب، وله شعر كثير جيد، أصله من بربر بلنسية، وتوفى عليه المنصور بن أبي عامر بخدمته لصبح فاعتقله وضيق عليه، فستعطفه جعفر بمنظومه ومنثوره، فلم يرق له، وصادره في ماله حتى لم يترك له ولا لأبنائه ما يسدون به أرماقهم، ثم قتله وبعث بجسده إلى أهله. ا (الأعلام لخير الدين الزركلي. ص:١٢٥/٢، وكذلك، نفخ ا لطيب: ص: ٢٨١/١.)

قابل الحَكَمُ ذات يوم جارية اسمها صبيحة فشُغِفَ بها قلبُه وعَشِقَها حتى تزوجها أنجبت الجارية للحَكَمِ ولدين؛ أحدهما: عبد الرحمن والآخر: هشام جعل الحَكَمُ صبيحة أميرة قرطبة من أجل هذين الولدين الكريمين.

ذات مرة دخلت أميرة قرطبة على الخليفة وكان غارقاً في مطالعته أجلس الخليفة إياها إلى جواره طلبت صبيحة من الخليفة كاتبا فأعلِنَ أن القصر في حاجة ماسة إلى كاتب مجيد دخل القصرَ كثيرٌ من الكُتّاب ليختار الخليفةُ من بينهم كاتبا أنسب وأمثل للأميرة ويفضي إليه المسئولية كان محمد بن أبي عامر أحد هؤلاء المرشحين فدخل القصرَ أيضا كان يثق في نفسه ومع ذلك قد بدا القلق على وجهه وما استطاع إخفاءه خشية أن يضيع هذه الفرصة التي انتظرها طويلا إذا لم ينل حظه مضى الوقت رويدا رويدا حتى حان وقت دخوله فأذن له بالدخول على الخليفة فكل من رأى ابن أبي عامر تأثر به ومن تحدثه ابن أبي عامر أثر به فاختاره الخليفة كاتبا لأميرة قرطبة سيدة البلاد.

وكانت صبيحة والمصحفي وابن أبي عامر يجتمعون كل يوم في غرفة الأميرة يتدارس المصحفي وصبيحة شئونَ الملك بينما ينتظر محمد بن أبي عامر أوامر الأميرة صبيحة ليحررها إلى العمال والقواد والقضاة وكان يلاعب مع ولديها عبد الرحمن وهشام مضت مدة طويلة حتى حصل محمد بن أبي عامر على مكانة مرموقة وملموسة في القصر.

أعْجِبَتْ أميرةُ قرطبةَ بحب محمد بن أبي عامر فعَيَّنَتْه وكيلا لولي العهد فكبار من قواد الدولة كانوا مشغولين بانتصارات ومنازعات وحروب أرسلهم الخليفة إليها ذات يوم وصل البريد إلى الحكم فتلقاه بكل ترحاب حينما فتح البريد وقرأ ما فيه من الرسالة فاحمر وجهه كان أحد قواده الذي بعثه إلى المغرب لتأديب الحسن بن كنون الإدريسي [1] قد قُتِلَ غَضِبَ الخليفةُ وصَمَّمَ أن يبعث إليهم غالب الناصري والمصحفي كان لا يحب غالباً الناصري ولاسيما بعد ذهابه إلى المغرب بدأت نار العداوة والحقد بين المصحفي وابن أبي عامر لأن المصحفي يخاف ابنَ أبي عامر بأنه يرقى سلم المجد سريعا إلا أن ابن أبي عامر حينما شعر وأحس بأن طريق التقدم والنهوض محفوف بأخطار جسيمة فخطط تخطيطا مناسبا وقدم للأميرة هدايا جليلة تمهيدا لخطته.

دبّر المصحفيُ مكيدةً ضد ابن أبي عامر وذكر للخليفة بأن كاتبَ الأميرة ابن أبي عامر ليس بأمين فيما عُهِدَ إليه منْ أموال هائلة وثروات ضخمة فطلب الخليفة ابن أبي عامر وسأله عن التهمة التي وُجِّهَتْ إليه وقال له إنني أريد حساب أموال الدولة التي تحت أيديكم انصرف محمد بن أبي عامر وكان يتفكر في الحل المناسب للخروج من هذه الكارثة والأزمة، دبّر ابن أبي عامر ليقطع بذلك دابر تلك المكيدة ضده فاستعار المال من صديقه ليوم واحد ووضعه في الخزانة لسد فراغات الحساب

[1] الحسن بن القاسم كنون الإدريسي، آخر أمراء الدولة الإدريسية الثانية في الريف المغربي، وبعض أطراف فاس. ولي بعد أخيه أحمد سنة ٣٤٨هـ، وعندما عاد بلكين إلى أفريقيا وجه الحكم جيشا لقتال الحسن. فقاتله الحسن، وقتل قائده. فغضب المستنصر وجرد جيشا آخر لإخضاعه فاستسلم الحسن بعد وقائع وسيق إلى المستنصر، فأكرمه وأسكنه قرطبة. (الأعلام، ص: ٢١٠/٢.)

وفي اليوم التالي عندما عُرِضَت سجلات الحساب جميعها على الخليفة اطمأن قلبه وعرف أمانة ابن أبي عامر فشل المصحفي فيما دبّره ولكنه لم يتوقف عن ذلك بل رمى ابنَ أبي عامر بتهمة الحب الحرام وجعل الحديثَ عنه شائعةً بين العامة والخاصة ولعل المصحفي قد نال من ابن أبي عامر حينما أُخرِجَ من القصر وأُرسِلَ إلى مراكش لرقابة غالب الناصري.

بعد أن ذهب ابن أبي عامر أخذت أميرة قرطبة صبيحة تشعر بقلق وخوف واضطراب وصار ابنها عبد الرحمن مريضا حتى اشتد مرضه فمات.

ازدادت علاقة الصداقة بين غالب ومحمد بن أبي عامر حتى يعتمد كلٌّ منهما على الآخر اعتمادا كليا وهذه الثقة بينهما جعلت ابنة غالب أسماء أن تعشق ابن أبي عامر فغرقت في حبه، عاد ابن أبي عامر بعد فترة قصيرة إلى القصر منصوراً، استحضره الحَكَمُ بعد استشارته مع أميرة قرطبة فسُرَّت الأميرةُ بقدومه، ورجع غالبٌ أيضاً إلي قرطبة فعودة هذين القائدين أشعلت نار الحقد في قلب المصحفي مرة أخرى، كانت الأيام تمضى بهدوء ذات ليلة أصيب الخليفة الحَكَمُ بالفالج فلزم الفراشَ حينما طال الزمن ولم يشف الحكم من المرض برز أخوه مغيرة مدعيا لحق الخلافة وتوليها لأن ابن الحَكَم هشام كان في اثنتي عشرة من عمره.

عندما مات الحَكَمُ قدَّمَت صبيحةُ الصحيفةَ التي دفَعَتْها للناس لتأخذ منهم عهد مبايعة الخلافة على يد ولدها هشام بلغ الخبر إلى الناس فجاءوا زرافات ووُحدانا للتوقيع على رق الدستور ففي لحظة مبايعة الناس على خليفتهم الجديد هشام بن

الحكم قُتِلَ المغيرةُ في بيته بدأت الحرب الداخلي بين محمد بن أبي عامر والمصحفي وغلب محمد بن أبي عامر على مكر المصحفي ونجح في هذه الحرب لذكائه وحنكته ودهائه وألقى المصحفيَّ في السجن حيث مات مؤخرا.

تزوّج محمد بن أبي عامر مع ابنة غالبٍ أسماءَ وفاز في معارك كبرى مع الإفرنج وأصبح معروفاً بين الناس ولكن من أجل زواجه مع أسماء بدأت صبيحة تكرهه بينما الشعب فأحبه حبا جما ولقبه بالمنصور فمضى الوقت وكَبُرَ ولدُ محمد بن أبي عامر وأصبح شابا ضليعا حينما مات محمد بن أبي عامر حَزِنَ الشعبُ وقالت أميرة قرطبة عنه:

ويل للأندلس من بعدك يا منصور![1]

[1] قدمت هذا الملخص استفادة من رواية أميرة قرطبة لعبد الحميد جودة السحار، مكتبة مصر، (ب ت).

الفصل الأول : المبحث الثاني
عرض للروايات الأردية

١. فتح الأندلس - لعبد الحليم شرر
****

تبدأ الرواية بحادث لقاء عيسى بن مزاحم [١] مع القائد العسكري الإسلامي والإفريقي موسى بن نصير [٢] للتباحث حول الإغارة المشتركة على سبتة.

وسبتة كان مدينة قديمة عند الساحل وحاكمها يوليان الذي كان معروفاً بشجاعته وموسى بن نصير اعتمد على طنجة [٣] بعد فتح شمال إفريقيا وأغار على حكومة يوليان مرتين لكنه فشل فيهما.

ذات يوم بلغ الضابط المسيحي إلى سبتة ليخبر يوليان عن إرسال خليفة المسلمين تعزيزات عسكرية جديدة من الشام للهجوم على سبتة وقائد هذه القوات عيسى بن مزاحم وذكر الضابط أيضا أن موسى بن نصير تقدم بقواته إلى المنطقة لينضم إلى معسكر، بقي يوليان مطمئنا ولم يتغير من ملامح وجهه شيء إنه هزم

---

[١] عيسى بن مزاحم (المتوفي :٣٦٧هـ) فالمصادر العربية الإسلامية تجمع كلها على أن العرب أحسنوا معاملة إيفا وسيزبوت ابني وتيزا وعمها أوباس. وتوفي إيفا أكبر الأخوين بعد ذلك بأعوام عن ابنة تدعى ساره وولدين صغيرين، فاغتصب ميراثها فسافرت مع أخويها إلى دمشق، وشكت عمها إلى الخليفة هشام بن عبدا لملك، فأنصفها وقضى بها برد ميراث أبيها، وتزوجت سارة في دمشق من سيد عربي عيسى بن مزاحم. (دولة الإسلام في الأندلس، لمحمد عبدا لله عنان، ص: ٦١/١، مكتبة الخانجي، القاهرة. (ت ب))

[٢] هو موسى بن نصير اللخمي، أو البكري، العربي بالولاء، المولد زمن عمر بن الخطاب سنة ١٩هـ، والمتوفي سنة ٩٧هـ، وقيل ٩٩هـ، فاتح بلاد الأندلس. (موسى بن نصير الفاتح الذي لم تهزم له راية. ليحي شامي، ص: ٩، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، دار الفكر العربي بيروت لبنان.)

[٣] مدينة في الإقليم الرابع بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من البر الأعظم وبلاد البربر، (معجم البلدان: لياقوت الحموي، ص: ٤٣/٤.) وانظر كذلك (هي مدينة مغربية تقع في شمال المملكة المغربية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وفق نتائج الإحصاء العام لسنة ٢٠٠٤. تميز طنجة بكونها نقطة التقاء بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي من جهة، وبين القارة الأوروبية والأفريقية من جهة أخرى. طنجة هي عاصمة جهة طنجة تطوان الحسيمة وهي من أهم المدن في المغرب. مدينة طنجة هي أحد أهم مراكز التجارة والصناعة في شمال أفريقيا كما تعد المدينة قطبا اقتصاديا لكثرة مقار الشركات والبنوك(الموسوعة التاريخية الجغرافية ،لمسعود الخوند ،ص :٣٠٧/١)).

المسلمين مرتين من قبل والآن فيما رأى أنه سوف يهزمهم مرة ثالثة أرسل يوليان ابنته فلورندا إلى قصر طليطلة لأنه سمع أن عيسى بن مزاحم أراد الهجوم عليه بسبب ابنته لأن شهرة جمالها فاقت العالَمَ كله، اعتذرت فلورندا عن مغادرة الوطن بسبب سوء نية رودرك ولكن يوليان وعدها بأن رودرك لن يتجاسر ويجرؤ على أن ينظر إليها نظرة سوء فضلا عن أن يمسها لكونها حفيدة الملك إسبانيا السابق رضيت فلورندا للذهاب إلى طليطلة واصطحبتها ابنة خالها مريم أيضاً.

وبعد أيام قليلة جاء الجيش الإسلامي فحاصر سبتة من ثلاث جهات برية انهزَمَ يوليان في هذه المعركة.

عندما وصلت فلورندا إلى طليطلة استقبلها رودرك وحاول التقرب إليها رويدا رويدا كانت مريم ابنة خالها معها إلا أنها قد هربت خوفا وفزعا من رودرك ورجاله أما فلورندا فقد وقعت أسيرةً في أيدي هؤلاء الأُسُد عند بوابة المدينة ولم تتمكن من إنقاذ نفسها من أظافرهم ارتضت فلورندا حينئذ ببقائها مع رودرك وساومته على ذلك فأرسل رودرك خادمها إلى والدها بخبر المصير.

عندما وصل خادم فلورندا إلى جبل طارق تمت محاصرة سبتة من أربع جهات قرأ يوليان تلك الرسالة فأصبح حزينا وأرسل من فوره رسالة إلى موسى بن نصير للصلح والهجوم المشترك على إسبانيا فكتب موسى رسالة إلى أمير المؤمنين وليد بن عبد الملك إلى دمشق لأخذ موافقته للهجوم على إسبانيا.

وفي أثناء تحركاته السرية كتب يوليان رسالةً إلى رودرك أن أم فلورندا صارت مريضة بينما وصلت مريم بعد أن نجت من الأعداء إلى سبتة.

وعيسى بن مزاحم قد سمع من قبل عن جمال فلورندا كان مولعاً لرؤيتها وعندما رأى في القصر بنتا جميلة ظن أنها فلورندا فبدأ الحب بينهما حتى تقوّت علاقة الحب والود ولكن من سوء حظ حينما وصلت فلورندا إلى القصر ساعتئذ عرف عيسى بن مزاحم أنه يعشق فتاة اسمها مريم هي ابنة خال فلورندا وليست فلورندا ذاتها.

ففي نفس اليوم وصل خطاب الخليفة الذي كان يشتمل على فحوى موافقته على إرسال بعض السفن مع قوات إلى ساحل إسبانيا وفي مساء اليوم نفسه التقى يوليان بموسى بن نصير وأعلمه بحب عيسى بن مزاحم لفلورندا فنصحه بأن يتزوج ابنتها بدلا من مريم ولكن موسى بن نصير أجّل أخذ القرار النهائي حيال الموضوع لوقت آخر.

ثم جاء طارق بن زياد على ساحل إسبانيا وأحرق السفن كلها وأمّا مريم فهربت من بيتها ولقيت بعيسى بن مزاحم في المعسكر وأخبرته عن إصرار يوليان على زواجه من فلورندا لتعرضها إلى الاغتصاب من قِبَلِ رودرك فرفض عيسى الزواج بها واتجه إلى جيش طارق بن زياد وكانت قوات رودرك وطارق مقيمة على ساحل النهر في المنطقة التي كانت قريبة من جبل طارق.

وفى المنام بشّر الرسولُ الله صلى الله عليه وسلّم طارقاً بالانتصار وكان الجيش المسيحي في جانب آخر من النهر نزل عيسى وطارق بقواته واحتدمت المعركة واختلط الحابل بالنابل وكان عدد قوات رودرك مئة ألف ومع ذلك إنهم هزموا هزيمة نكراء.

دخلت مريم المعركةَ في زيّ الرجال وقتلت داندولو الذي كان مع فلورندا ضد المسلمين.

ثم جاء الملك بيدرو والد مريم فعرض عيسى عليه رغبته في الزواج مع مريم وفي النهاية تمت الأمور كلها.

وخلال هذه الحوادث مات الخليفة وليد بن عبد الملك وجاء مكانه سلمان بن عبد الملك [1]. وأمر موسى بن نصير وطارق بن زياد بالعودة من إسبانيا وقتيبة بن مسلم [2] من كاشغر [3] ومحمد بن القاسم من السند، ذهب عيسى ومريم إلى

---

[1] سليمان بن عبد الملك بن مروان، (٥٤_٩٩هـ) أبو أيوب، الخليفة الأموي. ولد في دمشق، وولى الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦هـ، وكان عاقلا فصيحا طموحا إلى الفتح، جهز جيشا كبيرا وسيره في السفن بقيادة أخيه، وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان، ومدة خلافته سنتان وثمانية أشهر إلا أياما. (الأعلام، لخيرا لدين الزركلي، ص: ١٣٠/٣.

[2] قتيبة بن مسلم بن عمرو بن ربيعة الباهلي، الأمير أبو حفص، أحد الأبطال والشجعان، وهو الذي فتح خوارزم وبخارى وسمرقند، وكانوا قد نقضوا وارتدوا، ثم إنه افتتح فرغانة وبلاد الترك في سنة خمس وتسعين وعاش ثماني وأربعين سنة. (سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ص :٤١٠/٤، الطبعة السابعة :١٩٩٠م، مؤسسة الرسالة بيروت.)

[3] وهي مدينة وقرى ويسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي، وهي في وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون. ينسب إليها من المتأخرين أبو المعالي الكاشغري. (معجم البلدان، ص: ٤٣٠/٤.) وانظر كذلك(وقد اجتاحت تركستان الشرقية القوات الصينية الشيوعية سنة ١٩٤٩،واحتلتها، فأطلق عليها الصينيون اسم (سينكيانج) وهي كلمة صينية تعني: المستعمرة الجديدة، وتبعهم بهذه التسمية الأوروبيون وبعض المصادر العربية الحديثة، إلا أن أهل تركستان الشرقية المسلمون يحبون أن تسمى بلادهم باسمها القديم: تركستان الشرقية، ولا يحبون تسميتها بالاسم الصيني الجديد.وقد لعبت تركستان الشرقية دوراً تاريخياً مهماً في التجارة العالمية. وكان طريق الحرير المشهور يمر بها، وهو الطريق الذي كان يربط بين الصين، أبعد بلاد العالم القديم، والدولة البيزنطية.)ويكيبيديا الموسوعة الحرة

طليطلة ومن هناك إلى بارشلونا ثم إلى الجزائر [1] ثم إلى الإسكندرية ثم إلى الفسطاط [2]

وتوجها إلى غزة [3] وعسقلان [4] ونابلس وطبرية [5] ثم إلى دمشق وذكر أحوال الحرب أمام الخليفة.

ثم عادا إلى إسبانيا وتبين فيما بعد أن عيسى هو ابن سلوقس أخ بيدرو وفى الطفولة اختطفه كاهنٌ وباعه فوصل هذا الغلام إلى دمشق بين العبيد فأسلم هناك وتعلم القرآن الكريم.

---

١ Algiers جمع الجزيرة، اسم علم لمدينة على ضفة البحر بين أفريقيا والمغرب، مدينة جليلة قديمة البنيان، وينسب إليها جماعة، منهم: أبوبكر محمد بن محمد ابن الفرج الجزائري المصري. (معجم البلدان، لياقوت الحموي، ص :٢-٢١٢) وانظر كذلك (هي عاصمة جمهورية الجزائر وأهم موانئها ،وكانت على دوام حقب التاريخ جيدة التحصين لأنها مدينة تجارية هامة ،والمدينة فيها ميناء تجاري هام يصدر منه الكثير من المنتجات الجزائرية ،مثل الزيتون والفاكهة والحبوب والحديد ،وهي أكبر مركز تجاري في البلاد ،وفيها مقرالحكومة والجامعة والمحطة المركزية للسكك الحديدية علاوة على مصانع للنسيج.(موسوعة ألف مدينة إسلامية ،لعبد الحكيم العفيفي ،ص:١٨٨))

٢ هذه القرية من مصر، فتحها عمرو بن العاص في عهد عمر بن الخطاب. (معجم البلدان، لياقوت الحموي، ص: ٤/٢٦٤.) وانظر كذلك (هي المدينة المشهورة بمصر ،بناها عمر بن العاص ،وبناه الجامع في سنة إحدى وعشرين وأمر صلاح الدين ببناء سور على الفسطاط والقاهرة، (آثار البلاد واخبار العباد ،للقزويني،ص:٢٣٧))

٣ Gazaفي الإقليم الثالث مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان. (معجم البلدان، لياقوت الحموي، ص: ٤/٢٠٢.) وانظر كذلك (مدينة فلسطينية عريقة بالغة القدم على مسافة ٨٠كم جنوب يافا على مرتفع حافة الصحراء وتطل على البحر المتوسط ،وكانت عاصمة الجزء الجنوبي من فلسطين ،وكان فيها أثناء الحرب العالمية الأولى مطار جوي، وفي العصر الحديث استقلت المدينة قوات محمد على باشا عام ١٨٣٢م ،بينما كانت متوجهة للشام لتوحيد مصر والشام ،وفي عام ١٩٨٧م شهدت المدينة التي كانت قد احتلت قبل ذلك بعشرين عاما بداية الانتفاضة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي.(موسوعة ألف مدينة إسلامية ،لعبد الحكيم العفيفي ،ص:٣٤٩)

٤ وهي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام وكذلك يقال لدمشق أيضا. (معجم البلدان، لياقوت الحموي، ص: ٤/١١٢.) وانظر كذلك (مدينة فلسطينية عريقة ومن أهم المدن التاريخية ،تقع شمال شرق غزة ،ويبلغ عدد سكان المدينة الان حوالي ٣٥ ألف نسمة ،وبها مشهد رأس الحسين ،وهو مشهد عظيم مبني بأعمدة الرخام ،وفيه ضريح الرأس والناس يتبركون به،وهو مقصود من جميع النواحي وله نذر كثير.(موسوعة ألف مدينة إسلامية ،لعبد الحكيم العفيفي ،ص:٣٣٩))

٥ وطبرية الإقليم الثالث وفتحت على يد شرحبيل بن حسنة في سنة ١٣صلحا على انصاف منازلهم وكنائسهم، وهي معروفة ببحيرة طبرية وهي من اعمال أردن، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام. معجم البلدان، لياقوت الحموي، ص: ٤/١٧. وانظر أيضا(مدينة فلسطينية عريقة على ساحل الغربي لبحر الجليل،وقد اشتهرت المدينة على العهد الإسلامي بصناعة الحصر الجيدة ،وكان فيها العديد من القصور والحمامات ،والان فالمدينة يعمل سكانها بنشاط في المجالات التجارية والسياسية .(موسوعة ألف مدينة إسلامية ،لعبد الحكيم العفيفي ،ص:٣٢٦))

وفي النهاية أسلمت مريم أيضاً في مكة المكرمة وسافرت إلى طليطلة وهناك سألت مريم أباها عن سلوقس فأخبرها بيدرو أن سلوقس كان أكبر إخوته وولي عهد ملك غيطشة أخبرته مريم بأن عيسى هو ابن أخيه ثم سافر عيسى ومريم إلى قرطبة.[1]

[1] قدمت هذا الملخص استفادة من رواية فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ت ط: ١٩٩١م، مكتبة القريش لاهور.

٢. في سجن دمشق - لعناية الله التمش

****

كانت قاعة بيت الله الحرام وفناؤه مليئا بالملبين من المواطنين والوافدين؛ لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك...

كان ثمة أناس جالسون على الأرض جاؤوا متسوّلين إلى مكة في أيام الحج، جاء إليهم شيخ كبير مقيدا بأغلال وجلس معهم إنه كان في ثمانين من عمره.عندما سأل الحجاج ذلك الطاعنَ في السن سبب تقيّده فأجابه بعد صمت طويل: ذنبي فقط مات وليد بن عبد الملك [١] وتولى مكانه أخوه سليمان بن عبد الملك.

ذات يوم جاء الرجلان من أفريقيا وعرفا هذا العجوز المتسول كان هو موسى بن نصير الذي فتح الأندلس ولكن سليمان بن عبد الملك أهانه فطلب منه أن يدفع الغرام مائتي ألف دينار/درهم ذهبي ولكنه ما استطاع ذلك فجعله بين المتسولين ليدفع ما فرضه عليه بعد استجماعه من جيوب الناظرين إليه والمارين عليه.كان موسى بن نصير يذكر ذكريات أيام الخلافة جالسا على الأرض ولم يكن عمر الخلافة إلا ثلاث أو أربع سنوات... كان طارق بن زياد من القادة البارزين الذين سجلت أسماؤهم في صفحات التاريخ مثل خالد بن وليد [٢] ومحمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم... وقد قامت دولة إسلامية على يد طارق بن زياد وبقيت تلك الدولة على

---

١ الوليد بن عبد الملك بن مروان، من خلفاء الدولة الأموية في الشام، ولد سنة ٤٨هـ أول من أحدث المستشفيات في الإسلام، بنى مسجد المدينة بناء جديداً، وصفح الكعبة، بنى المسجد الأقصى، ومسجد الجامع الأموي، مات في دمشق سنة ٩٦هـ. (الأعلام، ص: ١٢١/٨)

٢ خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، سيف الله الفاتح الكبير، الصحابي، كان من أشراف قريش في الجاهلية، وأسلم قبل فتح مكة. ومات بحمص (في سورية) وقيل بالمدينة. (الأعلام، لي خير الدين الزركلي. ص: ٣٠٠/٢.)

خارطة العالم زهاء ثمانية قرون. كانت بلاد الأندلس يحكمها ملك ظالم اسمه "لذريق" كرهه الناس وفكروا في خلعه من الحكم وثاروا عليه باستعانة حُكْمِ المسلمين الذي كان يحكم الشمال الإفريقي بعد أن سمعوا كثيراً عن العدل.

تبدأ القصة بقدوم يوليان إلى طارق بن زياد وعَرْضِه عليه مساعَدَتَه في الإنقاذ والتخلص من "لذريق" حاكم الأندلس، رَحَّبَ طارق بن زياد بهذا الطلب لكونه فرصة مواتية لمواصلة الفتح والجهاد أثناء الحديث سأل طارق بن زياد سبب هذا الانتقام، أجابه يوليان: إنه من أجل ابنتين له إحداهما: فلورندا والأخرى: ميري فأرسل يوليان ابنته فلورندا إلى قصر "لذريق" لتعلم آداب الأمراء والسادة طريقة معاشهم آناء الليل وأطراف النهار جريا على نحو سادة عصره وكانت فلورندا بارعةً الجمال فلم يقع بصر "لذريق" عليها إلا وقد هجم هجوما شنيعا على عفافها ولكن فلورندا كانت تحب هنري أحد رجال قصر "لذريق" في ذلك الوقت فأخبرته...

لما سمع طارق بن زياد هذه الأحوال فكَتَبَ رسالةً إلى موسى بن نصير مستأذنا إياه في فتح الأندلس فقال له موسى أن ينتظر حتى يأتيهم الإذن من خليفة المسلمين الوليد بن عبد الملك حينما عرف الخليفة عن تلك الأوضاع السيئة في الأندلس فأذن لهم ذلك إلا أنه قد طلب منهم أن يقوموا بحملة استطلاعية ليكتشفوا بها أحوال الأندلس قبل دخولهم البحر استجاب طارق لأمر الخليفة فأرسل أسطولا صغيرا إلى الأندلس بقيادة القائد طريف بن مالك وقد عبر هذا الجيش الصغير البحر المتوسط كمقدمة للفتح الأكبر، كان يحتوي هذا الجيش على خمسمائة من خير جنود

المسلمين لاستكشاف الأمر ومعرفة أحوال الأندلس، تحركت تلك الحملة في شهر رمضان سنة ٩١هـ.

ثم قام طارق بن زياد بالاستعداد لفتح بلاد الأندلس بعد مرور بضعة شهور على حملة طريف خرج طارق بقيادة سبعة آلاف جندي معظمهم كانوا بربرا وعبر مضيق البحر المتوسط لاقاهم الكونت يوليان بأسطوله. أقام طارق بن زياد هناك عدة أيام ولاحظ تلك المنطقة بكل دقة ووعي ثم جهز خطة مناسبة في ضياء أحوال جغرافية للمنطقة احتل طارق المنطقة التي كانت تحت سيطرة تدمير أحد قادة لذريق، لما علم لذريق أن المسلمين هزموا قائده واحتلوا المنطقة بكاملها وكان مشغولا ساعتئذ بمحاربة بعض الثائرين عليه في الشمال، ترك القتال وأسرع إلى طليطلة عاصمة الأندلس وجمع جيشا هائلا بلغ عدده مائة ألف جندي ثم سار إلى الجنوب للقاء المسلمين واثقا كل الثقة في النصر عليه. ولما عَلِمَ طارق عددَ جيش لذريق أرسل الرسالة إلى موسى وأخبره بالأمر وطلب منه الاستعانة فبعث إليه موسى خمسة آلاف جندي وبانضمام هذا الكَمِّ الهائل إلى الجيش الإسلامي بلغ عدد المقاتلين المسلمين إلى اثني عشر ألف. وعند ما وصل جيش لذريق احتدمت المعركة بين الفريقين في رمضان عام ٩٢هـ بالقرب من شذونة [1] وظلّت تلك المعركة مستمرة طوال ثمانية أيام أبرز المسلمون في هذه المعركة قوة ملأت قلوبَ العدو رعبا وخوفا

---

١ Sidonia مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس، ينسب مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس، ينسب إليها: ابن الفرج بن كنانة الشذوني قاضي. (معجم البلدان، لياقوت الحموي، ص: ٣٢٩/٣) وانظر أيضا (بلدة في جنوب غربي إسبانيا في إقليم وادي آش ،كانت على أيام المسلمين قاعدة ولاية إقليم إشبيلية. (الموسوعة التاريخية الجغرافية ،لمسعود الخوند ،ص :٣٠٥/١))

وجعلتهم هاربين من ساحة المعركة رغم أنهم كانوا أكثر عددا من المسلمين وذلك بسبب الإيمان القويم بالله تعالى والإخلاص لوجهه الكريم والرغبة في الجهاد والشهادة في سبيله انتهت المعركة بانتصار المسلمين فيها والهزيمة النكراء للعدو، غرق لذريق في الماء.

وجد هنري حصان لذريق إيلياء وسيفا محلى بالجواهر والأحذية المتناثرة على شاطئ البحر حمل هنري تلك الأحذية وذهب بها إلى فلورندا بدلا من رأسه لكونه غريقا في الماء ولم يتمكن أحد من العثور على جثته.

بعد هذا النصر العظيم تعقّب طارق بن زياد الجيش المنهزم وفتح البلاد الكبيرة مثل قرطبة وغرناطة ومالقة [1] فدخلها وأحسن إلى سكانها وترك لهم الكنائس ثم أرسل الخطاب إلى موسى بن نصير وذكر فيها كل ما جرى في المنطقة من الحروب والفتوحات، وطالبه المعونة لإنشاء دولة إسلامية عظمى.

لما قرأ موسى بن نصير ذاك الخطاب فسار بنفسه إلى الأندلس مع الجيش والتقى بطارق بن زياد في طليطلة ومن سوء حظ طارق بن زياد أنه قد أصيب بحقد موسى بن نصير بسبب مقدامه وشجاعته وجرأته ونفوذه أهانه موسى بن نصير ووبخه ثم عزله فألقاه في السجن ثم لم يطلق سراحه إلا بعد تدخل الجيش البربر.

---

١ Malaga مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم، منهم: عزيز بن محمد اللخمي المالقي. (معجم البلدان لياقوت الحموي، ص: ٤٣/٥) وانظر كذلك (هي مدينة إسبانية قديمة واقعة في جنوب البلاد وهي عاصمة مقاطعة مالقة في منطقة أندلوسيا. تطل على البحر المتوسط وتقع وسط منطقة كوستا دل سول وهي أهم ميناء إسباني بعد برشلونة. تحيط بها الجبال، ويوجد حولها نهري غوادالمدينة وغواداهورس، مناخها اللطيف المعتدل يجذب إليها السواح بشكل كبير. ولد في هذه المدينة الرسام الإسباني بابلو بيكاسو. اشتهرت مالاغا باسم مالقة أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا.(ويكيبيديا الموسوعة الحرة))

بعد مدة قليلة رجع القائدان ثانية إلى ميدان القتال والجهاد ففتحا سرقسطة وطركونة وبرشلونة وغيرها من المدن، مضى القائدان نحو فتح البلاد إلا وقد وصل إليها الخطاب من الخليفة الوليد بن عبد الملك حيث أمرهما فيه الوقوف عن التقدم والعودة إلى دمشق لإبلاغ أهل دمشق عما قاما به ذانك القائدان قد نظما شئون البلاد بطريقة منتظمة حيث قررا إشبيلية عاصمة جديدة للأندلس بسبب قربها من البحر.

غادر هذان القائدان الأندلس وواصلا السير إلى دمشق ولما وصلا طبريا في فلسطين طلب منهما سليمان بن عبد الملك ألا يزورا الخليفة الوليد بن عبد الملك بسبب فراشه وطلب منهما أن ينتظرا حتى احتضاره ولكنهما تابعا السير ودخلا مع الغنائم في دمشق.

ولعل ذلك أغضب سليمان على موسى بن نصير وطارق بن زياد لأنه كان يريد المال والغنائم لنفسه وعندما تولى سليمان الخلافة عزل موسى وأولاده وقتل ابنه عبد العزيز الذي تولى حكم الأندلس بعد مغادرة أبيه إنه كان صاحب صوم وقيام. أما طارق بن زياد فلم ينل حقا ذا شأن بل إنه عاش فقيرا ومات فقيرا فكتب اسمه بحروف ذهبية على صفحات التاريخ.[1]

[1] قدمت هذا الملخص استفادة من رواية دمشق كے قيد خانے ميں، عنايت الله التمش، ت ط،٢٠٠٩م، مكتبة داستان لاهور.

٣. يوسف بن تاشفين - لنسيم حجازي
****

تدور أحداث الرواية حول انحطاط الأندلس وانقضاضها في عصر الملوك والطوائف حيث أوشك المسلمون أن يموتوا برمتهم اسما وشعارا ودينا بيد الفانسو السادس، عندما دخل يوسف بن تاشفين الأندلس ارتاح المسلمون وأخذت الأخطار تتناقص، تدور الرواية حول أحداث أربعة قرون.

تبدأ الرواية بذكر أبناء عبد المنعم الذين ذهبوا مع خادمهم إلى مدينة الزهراء. ثم بدأت مشاجرتهم مع بعض الأطفال فيها وكان من بينهم زياد وإدريس وبعد تحالف وهدنة أصبح ابن عبد الجبار صديقاً لهم وعندما عادوا إلى البيت قابلوا بخالتهم التي جاءت من غرناطة [١] زوجة تاجر كبير وكان عبد المنعم أيضا تاجراً كبيراً فجاء إلى مدينة الأندلس لرقيها ونموها ورخائها لأن في عصر عبد الرحمن الأول [٢] كانت حالة الأندلس مثل الحديقة الخضراء ولكن الآن في عصر الطوائف انتشرت التجارة في أرجاء الأندلس كلها انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة ثم أصيبت بحروب ومنازعات وخصومات، فالقوي كان يحكم الضعيف والأمراء كانوا يتنافسون في

---

[١] Granada غرناطة مدينة من أشهر مدن الأندلس تقع في الجنوب الشرقي على نهر (شنيل) أحد فروع نهر الوادي الكبير. كانت اخر معاقل المسلمين في إسبانيا وقد خسروها في عهد ملوك بني الأحمر سنة ١٤٩٢م. فيها قصر الحمراء المشهور وجنة العريف. (الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، ص: ١٧٦/٣، دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة). (ب ت)

[٢] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي. أبو المطرف. عرف بالداخل. ودخل الأندلس وهو في العشرين من عمره وأن يؤسس دولة أموية فيها بعد بني الرصافة في ظاهر قرطبة. وأسس جامع قرطبة العظيم، وتوفي في قرطبة ودفن بقصرها وعمره ٥٩سنة ومدة خلافته ٣٤سنة. (الأعلام للزركلي، ص: ١١٤/٤، وكذلك: الكامل لابن الأثير، ص: ٤٩٨/٥، وكذلك: نفح الطيب للمقري، ص: ٣٠٦/١، وكذلك: تاريخ ابن خلدون، ص: ٢٦٢/٤، انتشارات ناصر خسرو، قم بايران.)

مجالس الأدب والطرب ويحبون الشعراء والكتّاب والمغنيين أكثر من العلماء ويفضلون اللهو والطرب على العلم والفكرة.

كان المعتمد [1] أحد ملوك الطوائف إلا أن حكومة الطوائف وممالكهم أخذت تنقرض رويدا رويدا بسبب منازعاتهم وحروبهم فيما بينهم واعتماد بعضهم على دعم الممالك المسيحية ضد بعضهم الآخر.

وأمراء المسيحيين مثل فرديند والفانسو السادس كانوا يستغلون تلك المنازعات الداخلية بين المسلمين من الملوك والطوائف لإدراكهم أنها سوف تقضي على حكومة المسلمين في هذه المنطقة وتبيدهم أخيرا وكان حاكم إشبيلية معتضدا حينذاك الوقت وبعد وفاته أصبح ابنه المعتمد بالله حاكما إنه كان شاعرا ويحب صداقة الشعراء والمغنين.

قابلت الرميكية إحدى خادمات قصر رميك في الطريق المعتمد فأصبحت عشيقتها منذ تلك اللحظة، استولت تلك الخادمة بسبب نضارتها وحسنها وملاحتها على حواس المعتمد وحياته ومعاشه، كان المعتمد يريد أن يحتل على قرطبة مع أمير طليطلة ولكن المأمون (أمير قسطلة) سبقه بمشاركة الفانسو فلم يرض المسلمون بذلك وخرجوا متظاهرين ضده، كان عبد المنعم قائد جيش قرطبة في ذاك الوقت وخلال هذه الحرب الشنيعة هجم المعتمد أيضا على قرطبة وانهزم جيش

[1] المعتمد بن عباد (٤٣١-٤٨٨هـ) صاحب اشبيلية وقرطبة. أبرز أمراء الطوائف في الأندلس، أديب، شاعر، ناشر، ولد في الأندلس وولى اشبيلية وقرطبة. واتسع سلطانه إلى أن بلغ مدينة مرسية، كان أكثر ملوك عصره عناية بالأدب والأدباء. (المعتمد بن عباد في المغرب، مجلة دعوة الحق. العدد: ٦٠، مجلة شهرية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.)

قرطبة ودخل القواد في السجن وكان من بينهم عبد الملك وعبد المنعم أيضاً وقبل الذهاب إلى السجن أرسل عبد المنعم أسرته إلى غرناطة وبقي ألماس خادمه في البيت واشترت زوجة عبد المنعم بيتا في غرناطة وكان معها أبناؤها؛ سعد وأحمد وحسن، اشتهر أولاد عبد المنعم في غرناطة بفروسيتهم.

ثم بدأت الثورة ضد معتمد في قرطبة تحت قيادة ابن عكاشة فقتل أحد أولاد معتمد حينما سمع سعد هذا الخبر أراد أن يدخل في قرطبة ولكنه ما استطاع ذلك، اتجه سعد إلى بيت إدريس لأنه كان في إشبيلية وأرسل أسرته إلى قرطبة مع ألماس.

وفي السجن حينما عرض على عبد المنعم أن يبايع المأمون أنكر ذلك فذهبوا به إلى طليطلة ثم شاع بين الناس أنه قد قُتِلَ.

بدأ سعد بمشاورة قاضي أبي جعفر التدريس في المدرسة بينما هجم معتمد مرة أخرى على قرطبة وقبض عليها وقتل ابن عكاشة ومن هناك سافر سعد وأحمد وحسن وإلياس إلى إشبيلية واستقر إدريس في دار المغر وماتت أمه ولم تبق سوى أخته ميمونة.

أراد سعد أن يقابل معتمد ولكنه لم يصل إليه فكتب قصيدة في مدح رميكية وأرسلها إليها فدعته رميكية في القصر وخطب خطابا قاطعا مكان القصيدة أمام الملك ثم فر منه إلى أخته ميمونة وقد أصيب سعد بجروح ضئيلة فدعت ميمونة الطبيب ليداويه ثم اتجها معا إلى غرناطة.

ضعفت الأندلس قوة وقيادة ودفاعا وسياسة في تلك الأيام بسبب الملوك الطوائف عندما شعروا بأنهم محفوفون بأخطار جسيمة وأن الدولة تكاد أن تسقط برمتها استعانوا يوسف بن تاشفين وكان من تلك الجماعة التي قضت بالاستنفار منه قاضي أبو جعفر وأبو الوليد وسعد وفي هذا الصدد كتب المعتمد بن عباد ملك إشبيلية خطاب الإعانة لهؤلاء وأرسل سعدا في حينه إلى المغرب.

كان المرابطون من قبيلة متونة من برابرة [1] الذين كانوا يسكنون في إفريقيا. وكان أميرهم يوسف بن تاشفين الذي فتح فاس وطنجة وسبتة ثم أسس بنيان مراكش وأقام قواعدها فجعلها دارا له فعظمت هيبته في أعين الناس وذاع صيته بين جميع الحلقات.

عندها وصل سعد إلى المغرب فقابل رجلا جريحا على شاطئ الجزائر فذهب به إلى يوسف بن تاشفين وكان ذاك الرجل سير بن أبي بكر... ذكر سعد أحوال الأندلس أمام يوسف ين تاشفين وسأله الإعانة ضد المسيحيين... وفي أثناء وجوده في المغرب كتب إليه ميمونة رسالة وأخبرته فيها أن ابن عمار قد قُتِلَ بيد المعتمد بينما المسلمون فلا يحبون الملك الجديد يحيى بل إنهم يريدون المرابطين فينتظرونهم.

---

[1] البربر: قبائل شمال غربي افريقيا في منطقة الصحراء الكبرى، وعدد أفراد هذه القبائل ١٥ ألفاً نسمة، يتبع الكثير منهم التقاليد الإسلامية العربية، يعيشون في قرى صغيرة تقع غالباً في منطقة جبلية وعرة. وهم أول من سكن الساحل الغربي للبحر الأبيض المتوسط في افريقيا ومرجع وجودهم في هذه المنطقة إلى نحو عام ٣٠٠٠ق م، أو قبل ذلك. (صبح أعشى في صناعة الأنشاء، لشهاب الدين أحمد بن على القلقشندي، ص: ٥٠/١، ت ط :١٣٣٦هـ، دار الكتب المصرية.)

سافر أحمد بن عبد المنعم إلى طليطلة مع رسالة كتبها أبو جعفر ليعقوب وذهب مع أسرة يعقوب إلى غرناطة وفى الطريق تطلع على ثورة أهل طليطلة ذهب أحمد إلى القلعة ليساعد السجناء فوجد هناك عبد المنعم وزوج أحمد مع طاهرة ابنة يعقوب فانتقل هؤلاء الجميع إلى غرناطة بعد انتهاء المعركة.

وكان حسن في جيش المرية [1] وفي الطريق قابل أحمد وعبد المنعم وذكر أن سعدا قد جاء قبل شهرين والآن يريد يوسف بن تاشفين أن يدخل الأندلس للمعركة ضد المسيحيين وكتب المعتمد وجماعة من العلماء إليه فلبى يوسف طلبهم وأعلمهم بأنه سيدخل الأندلس قريبا من طريق الجزيرة الخضراء فاتجهوا إلى إشبيلية وكان سعد وميمونة معهم كتب يوسف رسالة إلى الفانسو ولكنه لم يقبل وبدأت المعركة في ميدان زلاقة انهزم جيش المسيحيين انهزاما سيئا دخل يوسف بن تاشفين المسجد بعد الفتح وألقى خطبة رائعة مؤثرة.

قال عبد المنعم ليوسف أن يبقى بينهم وألا يتركهم رهين أيادي ملوك الطوائف بعد المسيحيين ثم بدأت الحرب مرة أخرى في حصن اللقيط واستشهد عبد المنعم وإلياس وحسن وإدريس بسبب غدر طوائف الملوك عاد يوسف إلى إفريقيا وجعل نائبه

---

١ Almeriaمدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس كانت لها دار صناعة الأندلس وكان فيها ديوانها. ويضع فيها ثياب الحرير الموشاه بالذهب ذات الصنائع الغريبة. (معجم البلدان: لياقوت الحموي، ص: ٩٦/٤.) وانظر كذلك (مرفا في إسبانيا على البحر المتوسط ،قاعدة إقليم المرية ،قديما من مدن مملكة غرناطة ،عظم شأنها على أيام عبدالرحمن الأول ،احتلها فرديناندالخامس الأرغوني ١٤٨٩ ،مركزصناعي. (الموسوعة التاريخية الجغرافية ،لمسعود الخوند ،ص :٢٩٦/١)) وانظر أيضا (خلال الحرب الاهلية الإسبانية تعرضت المدينة للقصف من قبل البحرية الألمانية.وكانت المرية وملاجا آخر المدن إلى الاستسلام لقوات فرانسيسكو فرانكو. في النصف الثاني من القرن العشرين، شهدت المرية نمواً اقتصادي بسبب السياحة والزراعة الكثيفة. (ويكيبيديا الموسوعة الحرة))

سير بن أبي بكر لبناء المملكة الإسلامية، أرسل معتمد وأسرته مع خادمته رميكية إلى المغرب وعاد أحمد وألماس وأسرهم إلى قرطبة فعيَّنَ سير بن أبي بكر سعد حاكم قرطبة وأحمد حاكم المرية وبدأ المسلمون حياتهم الجديدة تحت رأية الأمن والسلام.[1]

[1] قدمت هذا الملخص استفادة من رواية يوسف بن تاشفين، نسيم حجازي، ت ط: ٢٠٠٥، مكتبة جهانگير لاهور.

الفصل الثاني:

الحدث الروائي والحدث التاريخي في الروايات المختارة

المبحث الأول:

- ◊ الحدث الروائي والحدث التاريخي في الروايات العربية

المبحث الثاني:

- ◊ الحدث الروائي والحدث التاريخي في الروايات الأردية

الفصل الثاني: المبحث الاول
الحدث الروائي والحدث التاريخي في الروايات العربية

لا غرو أن اللغة العربية من اللغات التي لم تتغير ولم تتبدل من أجل قوة بيانها وعمدة أسلوبها، صارت اللغة العربية من أفصح اللغات بسبب رشاقتها وأناقتها، فلم تمض لغة دون أن انهارت أخيرا إلا العربية، فلم تقف في وجهها أية لغة أخرى في العالم، هذه اللغة تظل تزدهر نحو الرقي والعلا لسيادتها الكاملة في تنميق الأسلوب وتحلية البيان، ولكونه لغة غنية راقية من جميع وجوه الكفاءة والأداء، ثبتت دعائم هذه اللغة حيث انتشرت على أوسع نطاق بين سكان تلك البلاد، ولعله في ذلك إقبال أهل شبه الجزيرة أنفسهم على اللغة العربية نظرا لكونها لغة الحضارة الغالبة، ولسان الممتازين ذوي السلطان مدت عليهم الفصاحة رُواقها، وشدت بهم البلاغة نِطاقها، فلم تؤثر فيها العنصرية والمزج والعجمة في بواكيرها ثم أخذت اللغة العربية تتأثر بتلك العناصر فنشأت منها لغة مزدوجة من العنصرين؛ العربي وغير العربي (العامي) من أجل مداخلات شعبية وعامية وسياسية وحركية واجتماعية... ومن ثَمَّ فقدت هذه اللغة المباركة مجدها ولاسيما الفصحى منها حيث أصابها الوهن والضعف واستولت عليها العامية، وفي تلك الحالة أدركها رواد النهضة في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، وكان كثير منهم من سوريا ولبنان، ونشأ بعضهم في مصر.

والفرق بينهما أن حكومة مصر كانت متقدمة، فلما توفي محمد علي حدث ركود للحركة العلمية بمصر، واستمر هذا الركود حتى عهد الخديوي إسماعيل، في حين أن الحركة العلمية في مناطق الشام لم تتوقف بل إنها بقيت مستمرة.

مضت حياة العرب بالانقلابات والتقلبات والمواقف الشديدة والظروف العصيبة مذ ظهور الإسلام مرورا بالعصور المتعاقبة حتى العصر الراهن، فيمكن كل واحد أن يشاهد كيف تطورت تلك الحياة، وما الحوادث التي واجهها العرب، وكيف عاش العرب تلك الظروف الصعبة؟ ففي عهد الخلفاء الراشدين انبسطت الدولة الإسلامية شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، خرج العرب من حظيرتهم أي الجزيرة فاتحين تلك البلاد والمدن والبلاطات، فسرعان ما امتد سلطانهم إلى أن انقضى هذا العهد الذهبي حينما جلس بعض الأمويين على العرش، وأصبحوا صاحب الزعامة، وأخذوا مفاتيح الحكم، مع أن الدولة الإسلامية قد بلغت أوج عظمتها وذروة علوها للقوة السياسية الفعالة، والنفوذ الجمعي الفاعل، كان الملك واسعا، فامتدت سيادتهم إلى الهند شرقا وإلى الأندلس غربا، أمضت اللغة العربية تتغلب على سائر اللغات الأعجمية في البلدان المفتوحة، فلما تحول هذا الملك إلى العباسيين تسرب إلى اللغة العربية كثير من التغيرات والتحولات التي جعلت اللغة العربية مزيجة بلغات أخر نحو تركية وفارسية وتركية وإسبانية وغيرها، ومن ثَمَّ نشأت من بين هذا الازدواج اللغوي لغة أخرى، ألا إنها كانت تسمى عامية، إنها ليست عربية ولا تركية ولا فارسية ولا إسبانية.

والسبب الرئيس في ذلك:

"أنها كانت ترعاها المدارس التبشيرية والدول الاستعمارية، فاستطاعت أن تزود مصر بعدد من أرباب الأقلام والفنون الأدبية في عهد إسماعيل وفي الحرب العالمية الأولى، فأصبحت مصر بعدها صاحبة الزعامة في البلاد العربي." [1]

"عاد المثقفون العرب في العصر الحديث يهتمون بذكر أحداث فتح الأندلس لتوجيه الأمة إلى التراث العريق، ولتكون أشعة أولى لأن تهتدي الأمة إلى سواء السبيل، وليبعثوا شعاع الأمل في فؤاد الأمة لتقوم وتنهض للأهداف السامية ولترقى للعُلا دون حرج وبأس، ولتتذكر الأمة ماضيها المجيد، وقد بدأ هذا الاهتمام منذ أواخر عهد الخديوي إسماعيل حينما أقبل المثقفون المصريون على نشر أمهات كتب التراث."[2]

فلتاريخ الأندلس حظ كبير في تسويغ الفكرة وتصويرها في قلوب الباحثين، فكل من تصدى لهذا التاريخ العريق للمسلمين في الأندلس تعرض للتراث أيضا، فلا يمكن للكاتب أو الروائي أن يجتاز خطوة دون عنايته بطرفي هذا التاريخ الرفيع، ولعل المصادر التاريخية تحظى بجميع التفاصيل حيال الأندلس المفقودة، فكل ما جاء في تلك المصادر عنها إنه مما استوحاه المؤلفون والكتّاب في كتاباتهم عن الأندلس خلال أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ثم ظهر ويظل يظهر تأثير هذه المادة على المؤلفات الروائية والمسرحية التي استوردها الكتّاب المصريون المبعوثون إلى بلاد أوربية أو ما وصلت منها إلى الخزانة العربية عن طريق الترجمة.

---

[1] الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة الأدبية الحديثة، لأنيس المقدسي، ص: ٥١٦، الطبعة الثانية :١٩٧٨م، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.

[2] مقال ،روايات تاريخ الإسلام فتح الأندلس لجرجي زيدان ،تقديم للدكتور محمود مكي ،بتصرف.

منذ أن دخل المسلمون في الأندلس تحت قيادة طارق بن زياد سنة ٩٢هـ أصبح هذا الفتح حديث الكبار والصغار، وجعله المؤلفون والكتّاب والمؤرخون والمحققون موضع عنايتهم وموضوع أعمالهم، وصارت هذه الحادثة الكبرى خيالا رائعا يصوغ كل كاتب منه صورة تحلو له فيجعلها أسطورة لا يمل السامع عند الإصغاء إلى القصاص، ولا يمل القارئ من القراءة في الصفحات، سواء أن تكون تلك الأسطورة في اللغة العربية أو في غيرها، وقد علق على ذلك مؤلف أندلسي قديم "لسان الدين بن الخطيب" قائلا:

"وحديث الفتح، وما منّ الله به على الإسلام من المنح، وأخبار ما أفاء الله من الخير، على موسى بن نصير، وكتب من جهاد، لطارق بن زياد، مملوك قصاص وأوراق وحديث أفول وإشراق، وإرعاد وإبراق، وعظم امتشاش وآلة معلقة في دكان قشّاش". (١)

جورجي زيدان من أوائل الكتّاب والروائيين الذين اتجهوا إلى مزج الكتابة القصصية باللونين؛ الأدب والتاريخ، فكما أنه يعتد رائدا للأدب كذلك يعتبر رائدا في التاريخ، ولاسيما التاريخ الإسلامي حيث كشف النقابَ عنه بأسلوبه الجذاب في شتى رواياته، مع صنعته اللامعة في مواطن تاريخ العصر الجاهلي وما تلته من الأدوار والأطوار.

---

١ نفح الطيب للمقري، ص: ٢٢/١.

وسيقتصر الحديث ههنا على روايته السامية: **"فتح الأندلس"**، تناول المؤلف فيها عنوانا فرعيا: "طارق بن زياد"، ويقول فيه:

"رواية تاريخية تتضمن تاريخ إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي، ووصف أحوالها وفتحها على يد طارق بن زياد ومقتل رودريك ملك القوط." [1]

تتكون هذه الرواية من واحد وثمانين فصلاً، لم يركز المؤلف فيها على مجرد سرد الأحداث التاريخية بل إنه جمع بين مواطن التاريخ ومواقف الخيال والابتداع. ومن أهم أدوار الرواية:

رودريك :ملك القوط

الفونس : خطيب فلورندا وابن غيطشة [2] ملك الإسبان.

فلورندا : خطيبة ألفونس وابنة الكونت يوليان حاكم سبتة.

الكونت يوليان : حاكم سبتة ووالد فلورندا.

طارق بن زياد : والي طنجة وقائد الجيوش الإسلامية.

الأب مرتين : أحد أتباع الملك رودريك.

أوباس : عم ألفونس.

---

[1] مقدمة الرواية: فتح الأندلس لجورجي زيدان. ت ط:١٩٦٦، دار الطباعة بيروت لبنان.

[2] هذا الاسم عند العرب، أما عند الافرنج فيسمونه Witiza.

سليمان : من أتباع الكونت يوليان.

وضع جورجي زيدان عنوانا للرواية: "فتح الأندلس" مما يوحي بالوقائع والأحداث التي لها علاقة وصلة بالأندلس وتاريخها، ولا يظهر طارق بن زياد في مبدأ الرواية بل إنه يأتي بعد مائتي صفحة منها تقريبا.

لم يذكر جورجي زيدان الأحداث التي تتعلق بالفتح الإسلامي، أو تتحدث عن حياة طارق بن زياد، بل تدور روايته من أولها حتى مائتي صفحة حول أحداث الحب والود والعشق بين فلورندا وألفونس، مثل:

"أما فلورندا فقد اندهشت حين رأت ألفونس قادماً، وظهرت البغتة في عينيها، وأسرعت دقات قلبها، وارتعدت ركبتاها، وأرادت أن تقف لتلقاه، فلم تستطع من شدة التأثر وامتقع لونها. [أما حبيبها وعشيقها الفونس]. وقرأ في عينيها من تلك النظرة ما لو كتب على ورق لملأ عدة صفحات، وقال: بنغمة المحب الولهان: السلام يا فلورندا السلام.... ومضت فترة وهما يتخاطبان بالنظرات، ولهما من قراءة الأفكار ما يغنيهما عن اللفظ. وكانت العجوز تشاغل عنهما بقطف بعض الأزهار، والتواري بين الأغصان، رفقاً بعواطفهما وإغضاءً عما قد يبدو منها في مثل هذه الحال، وظل ألفونس ساكتاً وقد عوّل على الصبر حتى تكون فلورندا البادئة بالكلام، فقضيا برهة واليد باليد،

والعين على العين، والقلبان يتسارعان كأنهما يتفاهمان بالخفقان. وقد غشى الأعين ماء لامع هو من أسمى علامات الهيام". [1]

ويقول جورجي في مكان آخر:

"إني أسير هواك، وإني حي، برضاك ميّت بجفاك." [2]

يؤكد جورجي زيدان أنه حقق زمان الأحداث ومواعيدها ومكانها معتمدا على المصادر الموثقة في الباب، ولكن دعواه قد يداخله شك، لأنه يقول في قصة غرامية لفلورندا مثلا أن رودرك فشل في الظفر بفلورندا بطلة الرواية، وما استطاع أن يضر شرفها وعفتها وكرامتها، بينما المصادر التاريخية فإنها تتحدث عن اغتصاب لذريق لفلورندا:

"وكان يليان ينقم على لذريق ملك القوط لعهده بالأندلس فعلةً فعلها زعموا كان بابنته الناشئة في داره على عادتهم في بنات بطارقتهم، فغضب لذلك، وأجاز إلى لذريق، وأخذ ابنته منه، ثم لحق بطارق فكشف للعرب عورة القوط ودلّهم على عورة فيهم أمكنت طارقاً فيها الفرصة فانتهزها لوقته، وأجاز البحر سنة اثنتين وتسعين من الهجرة بإذن أميره موسى بن نصير". [3]

---

[1] رواية فتح الأندلس لجورجي زيدان، ص: ١٧.

[2] المرجع السابق، ص:١٩.

[3] نفح الطيب للمقري، ص: ٢٢٢/١.

فأنا كباحثة لم أتبين السبب الملائم لهذا التعارض التاريخي في القصة، ومع ذلك كان من الحريّ أن يذكر المؤلف اعتداء لذريق على البطلة الباسمة فلورندا، ومنه يسير نحو مأساوية القصة لتتم عناصرها لفظا ومعنى ودلالة، ولتكون أكثر ملاءمة وارتباطا بالموضوع والواقع،([1]) وليتمع القارئ من القراءة فيها، لم يقم جورجي زيدان باستثارة أحاسيس الشفقة والعطف وإيجاب السخط على الجاني، فالرواية وإن كانت من أروع النماذج ولكنها لا تخلو من التحفظ.

تتمثل الرواية أيضا وعاء صُبَّتْ فيها من المعلومات الجغرافية والتاريخية بما أنها تتعلق بنبلاء الأندلس وحكم القوط والرومان، ولعل القارئ يرى أثناء قراءته في صفحات الرواية أنها مليئة بالوقائع السياسية والاجتماعية والدينية والعسكرية، فكأن صاحب الرواية يبدو أمام القارئ كناقل المعلومات كما أنها هي هي من شاشة إلى شاشة ثم يقوم بعرضها عليها، فالبناء الفني للرواية تأثر بهذا الحشد من المعلومات مما تجعل الرواية من دون درجة مستواها.

يقول جورجي زيدان في الصفحة السابعة:

"ثم سطا القوط على مملكة الرومان الغربية قبل سطو العرب على المملكة الشرقية ببضعة قرون، وأنشأوا الممالك في فرنسا وألمانيا وانجلترا وغيرها...."[2]

[1] ذكر نفس الفكر الدكتور محمود علي مكي في مقاله فتح الاندلس لجرجي زيدان ،وكتبت هنا بتصرف.

[2] رواية فتح الأندلس لجورجي زيدان، ص: ٧.

كلمة "سطا" من السطو أي: القهر والبطش.... وقد ثبت تاريخيا أن السطو والبطش والهدم وأشباهها من صفات الغزو القوطي وغزو الهون والبرابرة حتى سميت غزواتهم وحروبهم ومنازعاتهم القومية والقبلية بـ "البربرية"، وسموا بأنفسهم بـ "البرابرة".

"أما العرب المسلمون فليس من الأمانة التاريخية أن نستعمل كلمة "سطو" لفتوحاتهم، وبخاصة هنا في اسبانية، فشهادة المؤرخ والمفكر الاسباني في الفتح العربي الإسلامي لإسبانية تبعد كلمة "سطو" عن هذا الفتح الحضاري والإنساني حيث يقول: إن الفتح العربي لإسبانية جلب إليها كل خير. فكلمة "سطو" بحق الفتح العربي الإسلامي للأندلس، كلمة لا تحمل أمانة تاريخية، وفي طياتها دسّ رخيص ومقارنة خاطئة." (١)

دخل المسلمون الدول الغربية لنشر الدعوة الإسلامية عند جمهور المؤرخين ولكن جورجي زيدان قد خالفهم قائلا إن المسلمين لم يدخلوا أرض الأندلس لنشر الإسلام بل إن ما دفعهم إلى الدخول فيها هو معاناة حاكم سبتة يوليان من انتهاك شرف ابنتها وفخرها فلورندا، حينما هام الملك القوطي بفلورندا الجميلة هُياما وشُغِفَ حُبًّا بها، فلم يستطع أن يحبس النفسَ عنها فمسّها سوءا، وهذا الذي هيَّجَ غضبَ يوليان وأشعله ناراً، فأراد أن ينتقم من الملك القوطي، وخطط لذلك وطلب المساعدة من المسلمين لتحقيق بغيته، ففي ما بدا لي من خلال قراءة هذه القصة في مصادرها أنها

---

١ جورجي زيدان في الميزان، لشوقي أبي خليل، ص: ١١٧، ط: الثانية ١٩٨٢م، دار الفكر بدمشق.

مهما صحيحة في مجملها ولكنها لا تصلح أبدا أن تكون تفسيرا صحيحا أو ملائما لفتح الأندلس، لأن المسلمين قد شمّروا لذاك الفتح وتهيأوا له بكل جِدٍّ واهتمام، وكِدٍّ واجتهاد ولاسيما بعد أن استولوا على الشمال الإفريقي كله.

يظهر كذلك من قراءة الرواية أن الروائي في بعض المواقف قد جاد إلى الروح الإسلامية في تناول تلك القضايا مثلاً يقول:

"وكان طارق بن زياد في أثناء المعركة يجول على جواده ويحرّض المسلمين على الثبات ويكافح ويجالد ويقاتل، لا يبالي بقلّة رجاله بالنسبة إلى رجال القوط..." [1]

وقد يحيد الروائي عن الروح الإسلامية فيميل إلى آراء وأفكار لا تتلاءم مع الروح الإسلامية، ومن ثم تفقد الرواية التأثير والقوة مثل حديثه عن محاكمة المسيح عليه السلام وصلبه، يقول في ذلك:

"المسيح قبل الصلب من أجل الحق وفي الثانية يقرر أن دم المسيح سفك على الصليب." [2]

بينما القرآن الحكيم فإنه رفض وطرد هذه العقيدة الباطلة قائلا:

(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞) [3]

---

[1] رواية فتح الأندلس لجورجي زيدان، ص: ٢٩٩.

[2] رواية فتح الأندلس لجورجي زيدان، ص: ٢٩٩.

[3] سورة النساء، الآية: ١٥٧.

ومما أغرب جورجي زيدان في روايته هو أنه جعل ألفونس بطل الوقائع والأحداث عند سردها مع أن الرواية تحمل عنوانا تاريخيا، ألا وهو: "فتح الأندلس"، مما يوحي بميله إلى إعداد هذه الشخصيات غير الإسلامية من زمرة الأبطال الحقيقيين الإسلاميين، وهذا الأمر معارض تماما لروح الرواية الإسلامية، وفي ذلك تشويه وجه الحقيقة وإخفاءها وطمسها أيضا.

اعتمد جورجي زيدان في معظم مواقف الرواية على دور الراهبين والقساوسة في الأديرة والكنائس، وجعل لهؤلاء دور المرشد والهادي، دور المصلح والواعظ، دور التوجيه والاحترام والرأي القويم والسديد، إنه يقول:

"ففي صباح الخامس والعشرين من ديسمبر سنة ٧١١ للميلاد، كان أهل طليطلة مشتغلين بالاحتفال بعيد الميلاد، والناس يتقاطرون إلى الكنائس والأديرة وهم يهنّئون بعضهم بعضا. وأكثر الكنائس ازدحاماً في ذلك اليوم الكنيسة الكبرى...."[1]

وذكر في موضع آخر:

"نحن الآن على مذهب هذه الكنسية أيضاً. جاء أسلافنا القوط منذ بضعة قرون، وكانت هذه البلاد في حوزة الرومان فأخذوا الملك من أيدهم بالقوّة وتسلّطوا عليها. ولا يخفي عليك أن مذهب أسلافنا الذي جاءوا به إلى البلاد ليس الكاثوليكية مذهب كنيسة رومية، بل هو المذهب الآريوسي نسبة إلى آريوس الشهير. وكان ذلك

---

[1] رواية فتح الأندلس لجورجي زيدان، ص: ١٠.

مذهب معظم قبائل القوط قبل خروجهم على المملكة الرومانية، ففتحنا هذه البلاد وقضينا فيها نحو مائتي سنة ونحن على مذهب آريوس... وأهل البلاد على مذهب كنيسة رومية...." [1]

ويقول أيضا بشأن ما حققته العرب ولم يستطع القوط تحقيق ذلك:

"وشأن العرب والقوط في فتح مملكة الرومان متشابه جاءها القوط من الشمال، وجاءها العرب من الجنوب، وكلا هما أهل بادية وخشونة فاكتسحوها، واستولي كل منهما على جانب منها، ولكن العرب استطاعوا ما لم يستطع القوط." [2]

ثم يقول:

"أنشئوا على أنقاض مدينة الروم مدينة خاصة بهم، وجعلوا الأمم التي دانت بهم بتوالي الاجيال أمة واحدة تتكلم لساناً واحداً وأمّا القوط... فقضوا في إسبانية نيّفاً ومائتي سنة، ثم خرجوا منها ولم يتركوا أثراً يذكر." [3]

عندما تحدث جورجي زيدان عن التشابه والتماثل بين العرب والقوط فأغفل أن الذين فتحوا الأندلس لم يكونوا عربا خُلّصاً نزلوا من البادية بل إنهم كانوا من البربر العرب.

---

[1] المرجع السابق، ص: ٥٧.

[2] رواية فتح الأندلس لجورجي زيدان، ص: ٢٧.

[3] رواية فتح الأندلس لجورجي زيدان، ص: ٢٧.

"وأهم فارق بين الطرفين ثم يلمح له جرجي، فضلاً عن إظهاره... إلا وهو أن المسلمين عندما انطلقوا للفتح تفرّدوا بحمل رسالة وحضارة للبلاد التي فتحت والفتح عند القوط للفتح والاستيلاء والسطو، والفتح عند المسلمين لنشر عقيدة تحمل الإخاء والإنسانية والرحمة." (١)

فالمسلمون لم يفتحوا تلك البلاد ليقبضوا على خزائنها بل فتحوها لنشر الدين الإسلامي، وإخراج الناس من ظلمات الذل والقهر والعبودية، وهدايتهم إلى نور الإيمان والتوحيد، أما الكفار ففتحوها للاحتلال أو التغيير الجغرافي انكماشا وانخفاضا وهبوطا أو ارتفاعا وارتقاء وامتدادا.

يظهر من أسلوب جورجي زيدان أنه لم ير من إيجابيات هذا الفتح المبين الذي ناله المسلمون في الأندلس قبل قرون سوى توحيد اللغة للأجيال الصاعدة، فكأن ذاك الفتح أنتج وحدة اللسان فحسب، هذه الوحدة ولولا بأس بها ولكنها لا تسعى إلى توحيد آراء الفرق المتناحرة، ولذلك أرى أن اللغة الواحدة لا تكفي لجمع القلوب على ملة واحدة، لأن هناك عدة بلاد أخر إنها احتلت بلادا أخرى مثل فرنسا والجزائر، فاللغة الفرنسية تنطق في الجزائر كلها منذ أكثر من قرن ولكنها لم تؤثر في النفوس، ولم تضع بذور الإيجابية تجاه الماضي، إنما العقيدة هي التي تؤثر في النفوس وتجمعها على كلمة واحدة، والنفوس والأرواح تستقوي بها.

---

١ جورجي زيدان في الميزان، لشوقي آبي خليل، ص:١١٩.

يقول جورجي زيدان:

"فلما عرض يوليان على موسى فتح الأندلس، ويكون هو عوناً في ذلك، بعث موسى إلى الخليفة الوليد يستأذنه، فأذن له على أن يخوضها بالسرايا "ولا يغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال" فرأي موسى أن يجرب ذلك برجال من الموالي المسلمين غير العرب يرسلهم لفتحها. ولم ير خيراً من طارق بن زياد يوليه قيادة تلك الحملة... فأعد سبعة آلاف من الموالي والبربر وفيهم بعض العرب، وسلم قيادتهم إلى طارق وأمره أن يعبر بهم بحر الزقاق إلى الاندلس." (١)

ويجدر القول هنا أن جملة "ولا يغرّر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال." (٢) قد أوردها المؤرخ ابن الأثير، وذكر أن موسى قد أرسل "طريفاً" للغزو، فسار إلى قتال العدو في أرضه، عندما فتح الجزيرة سميت باسمه، ثم أرسل طارق بن زياد.

خلط الروائي جورجي زيدان في روايته ثلاث كلمات فداخَلَ بينها: مسلم، عربي، بربري، استعمل كلمة "عرب" مكان "مسلم" في مواضع كثيرة، فمنها مثلا:

"إن العرب جاؤوا الأندلس ..." (٣)

"سمعوا بنزول العرب إلى بلادهم..." (٤)

---

١ رواية فتح الأندلس لجورجي زيدان، ص: ١٧٦.

٢ الكامل في التاريخ لابن الأثير، ص: ١٢٦/٤.

٣ رواية فتح الأندلس لجورجي زيدان، ص: ٢٠٥.

٤ المرجع السابق، ص:٢١٣.

"ثم سمع بقدوم العرب" [1]

استخدم الروائي كلمة العرب لجيش قبائل البربر التي تسكن الجبال في شمالي إفريقية، والمفروض أن كان يستعمل كلمة "مسلمين" لأن هذه الكلمة تجمع بين العرب والبربر.

قال جورجي معلّقاً على إحراق السفن:

"فأحرق سفنه ليبذر اليأس من احتمال التراجع في نفسه وفي نفوس رجاله." [2]

"وفي الحقيقة بذور اليأس لا تكون في نفوس تعلم أن الله معها. فكلمة "يبذر اليأس"، لا يليق بفاتحين يأملون فتح أورية للوصول إلى القسطنطينية." [3]

لأن المسلمين قد افتتحوا كثيرا من البلدان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يعود أول حملة عسكرية على مواقع العدو، وهجوم عسكري بالمعدات الحربية على بلاد الأندلس إلى عام ٢٧ من الهجرة، حينما سار الجيش الإسلامي إلى الأندلس، [4] فأتاها من قبل البحر، وقد كتب عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى المنتدَب في الأندلس:

---

[1] المرجع السابق، ص:٣٠٥.

[2] رواية فتح الأندلس لجورجي زيدان، ص:٢٩٩.

[3] جورجي زيدان في الميزان، لشوقي أبي خليل، ص:١٢٤.

[4] وللتفصيل راجع مقال الدكتور حميد الله بعنوان: الإسلام والمسلمون في الأندلس عبر التاريخ، مجلة الدراسات الإسلامية الفصلية، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، اسلام آباد، عدد: ١١، ١٢، المجلد السادس والعشرون ١٩٩١م ص: ١١.

"إن القسطنطينية تفتح من قبل الأندلس وإنكم إن افتتحتموها أي الأندلس كنتم شركاء من يفتحها القسطنطينية في الأجر، والسلام." [1]

وأخيرا فإن رواية جورجي زيدان كثيرة الصفحات مهما تحمل رموزا تاريخية في عنوانه "فتح الأندلس" ولكنها لا تتكلم عن طارق بن زياد وقضية الفتح إلا قليلا، ولعل الحديث عن ذلك يقل من خمسين صفحة، بينما الصفحات الأخر من الرواية فإنها تشمل الخيال الغرامي وصنعته، وبالرغم من هذه الملاحظات تجاه تلك الرواية فإنها لا تنال من قيمة هذا العمل، فالرواية تفي بما قصده المؤلف من سرد الأحداث التاريخية – لحد ما – أخذا من المصادر والمراجع مع ترويح القارئ مانحا إياه الإمتاع والمؤانسة، وبذلك فتح المؤلف صفحة جديدة حيث سار على دربه كثير من الكتّاب الذين جاؤوا بعده.

طارق بن زياد لمعروف الأرناؤوط:

قسم الروائي معروف الأرناؤوط الرواية "طارق بن زياد" إلى قسمين: تناول في القسم الأول الفتوحات التي حققها المسلمون في إفريقيا، وجعل بطل تلك الفتوحات عقبة بن نافع، ولم يذكر شخصية طارق بن زياد دون إشارات، ويحتوي هذا القسم على ١٣٢ صفحة، ثمّ تحدث عن فتح الأندلس بالذات في القسم الثاني وجعل بطل ذاك الفتح مغيث الرومي، وجاءت أربعة فصول في هذا القسم، ومجموعة صفحاته ٩١ صفحة. ومن الغريب في هذه الرواية أن المؤلف سماها باسم طارق بن زياد دون أن

[1] تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ص: ٧/٢٨١، وقائع سنة ٢٧، ت ط: ١٩٧٩م، المطبعة الحسينية المصرية.

يذكر هذا البطلَ الإسلاميَّ في القسمين منها، فمضمون الرواية لم يتوافق مع عنوانها، فلو وضع معروف الأرناؤوط عنوان الرواية: "عقبة بن نافع" أو "الساحرة الدامية" لكان أنسب وأجدر.

رواية "طارق بن زياد" من أقصر روايات معروف الأرناؤوط طولاً، فالقسم الأول منها يشمل قضايا تاريخية بينما الفن الروائي فإنه ركز عليه في القسم الثاني، بنى معروف الأرناؤوط روايته على شخصيتين بارزتين: عقبة بن نافع، ومغيث الرومي، هذان البطلان من بيئتين مختلفتين لا يجمع بينهما الإطار التاريخي، ولم تظهر شخصية مغيث الرومي إلا بعد الفصل العاشر.

ثمة من النقاد الذين عابوا على روايات معروف الأرناؤوط قائلين: "إنه وإن كان يقدر على حبك الوقائع وسبك الأحداث عبر السرد الفني ولكنه يتكلف عند ربط التاريخ بالبنية الروائية، فكأنه يبدو عاجزا عن الإتيان بمثل هذا الربط،"[1] فالقارئ لا يستطيع أن يتمتع بمجرد قراءة فاحصة في الرواية لاعتمادها على المصادر التاريخية نحو تاريخ ابن خلدون وغيره في توثيق مادتها التاريخية وتأكده من صحتها:

"وأشد الذكريات التي تعاورت وهو على المقعد الحجري عند السرحة النامية. ذكرى رجعته إلى دمشق عقب مصرع عقبة بن نافع مع طريف البربري وطارق بن زياد، ودخوله على أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وقصه عليه قصة دامية أميرة

[1] مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ،لعبد اللطيف الأرناؤوط ،ص:٣٠٩

البربر وحديثها عن مائدة سليمان والتابوت الذي عليه صور فرسان على اشكال العرب وهم معممون على ذوائب جعد من تحتهم الخيول العربية". [1]

وأشار إلى نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري:

"فلما فتح الباب لم ير في الحصن شيئاً إلا مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكللة بالجواهر كتب على طرف منها هذه مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ورأي في ذلك الحصن تابوتاً مغشي باللؤلؤ وعليه قفل ومفتاحه معلق ففتحه فلم يجد فيه سوي رق وفى جوانب التابوت صور فرسان مصورة بأصباغ محكمة التصوير على اشكال العرب وعليهم الفراء وهم معممون على ذوائب جعد ومن تحتهم الخيل العربية وهم مقلدون السيوف المحلاة، معتقلون الرماح فامر بنشر ذلك الرق فاذا فيه متى فتح هذا الحصن وهذا التابوت دخل القوم الذين صور هم في التابوت إلى الأندلس وذهب ملك من فيها من أيديهم." [2]

واقتبس أيضا من الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني [3] وقد وردت قصة التابوت في كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وتناول الروائي معروف الأرناؤوط هذه القصة في روايته نقلا عن نفح الطيب، إلا أن الفرق بين المقري صاحب نفح الطيب والروائي هو أن المؤرخ قد ذكر في كتابه أن رودريك لما تولى أمر الأندلس،

---

[1] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص: ١٥٥.ط: الثانية مطبعة فتى العرب. دمشق (ب ت)

[2] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص:٢٤.

[3] المرجع السابق، ص:١٢٠.

فتح التابوت وعرف بما فيه، فاشتدت به الهواجس واستبدت بباله أفكار وصور بما أصابه من قلق أو حيرة أو همٍ أو تخوُّفٍ فوضع الحصن تحت الحراسة ضد أي غزو، وبعد مرور من الفترة انشغل عن ذلك لاهتمامه بغيره، فتعلق قلبه بابنة رجل نبيه اسمه الكونت يوليان من كبار أعين الأندلس، وسُلِبَ من الحب.

وقد أرسل يوليان ابنته إلى قصر رودريك لتمارس حياة القصر وتألفها وتستأنس بها وتعتاد عليها ولكن رودريك لما رأى تلك الحسنة وجهها حسن لطيف، مليح صبوح، مال قلبه إليها، فاغتصبها...

أما الرواية فإن القصة تعود فيها إلى عقبة بن نافع الذي أراد الذهاب إلى الحصن بعد أن حثه كلام دامية على ركوب البحر، والبلوغ إلى الحصن في سبتة، رافقه عشرة رجال، وكان من بينهم طارق بن زياد وطريف ومغيث الرومي... فجاء في التاريخ:

"كان بيتاً عليه أربعة وعشرون قفلاً، كان كلما تولى ملك، جعل عليه قفلاً اقتداء منه بفعل من كان قبله، حتى إذا كانت ولاية لذريق القرطبي، الذي افتتحت الأندلس على يديه وفى ملكه قال: والله لا أموات بغمّ هذا البيت، وأفتحنه حتى أعلم ما فيه، فاجتمعت إليه النصرانية وأساقفة والشمامة، وكل منهم معظم له، فقالوا له: ما تريد بفتح هذا البيت؟ فقال: والله لا أموت بغمه، وأعلمن ما فيه. فقالوا: أصلحك الله، إنه لا خير في مخالفة السلف الصالح، فإنهم كانوا أهل معرفة وعلم. فأبى إلا فتحه، ففتحه، فوجد

فيه تصاوير العرب، ووجد كتاباً فيه: إذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا، هذه البلاد فملكوها. فكان دخول المسلمين من العرب إليه في ذلك العام." [1]

وفيما أرى أن الحقيقة تلتبس على القارئ بسبب هذا الأسلوب المُداخل، فالقارئ يُشكل عليه ترتيب الأحداث ولاسيما الأحداث الرئيسة منها، ويشتبه عليه التوفيق بينها بل إنه بدأ يشك في أصلها وتقفز إلى ذهنه عدة أسئلة؛ متى حدثت هذه الحادثة؟ هل كانت تلك الحادثة في عصر عقبة بن نافع أو في عصر طارق بن زياد؟ ومن كان البطل الحقيقي للقصة؟ وهلم جرا... أسئلة متتابعة تؤثر بالقارئ فلم تقع الرواية من القارئ موقعا حسنا، وهذا الذي حدث معي، لأنني لا أزال في شك تجاه أدوار الشخصيات الواردة في تلك الرواية، ولا أدري بالضبط متى حدثت هذه القصة ومع من حدث الأمر!

فلابد للروائي أن يراعي الأحداث الرئيسة بالذات ولا يخلط بينها وبين صنعة الخيال والإبداع، لأن الرواية تصير بذلك متنافرةً وغير مترابطةٍ، ينتهي القسم الأول من الرواية بشهادة عقبة بن نافع، ولا يذكر الروائي طارق بن زياد في معركة عقبة بن نافع مع كسيلة، استُشهِدَ عقبةُ بن نافع في سنة ٦٣هـ، ودخل طارق بن زياد في الأندلس سنة ٩٢هـ، فكيف يمكن للكاتب أن يوفق بينهما، فلا يمكن لأحد أن يجمع بينهما إلا متجاهلا الحقيقة أي طرحها جانبا مع العلم بها أو متناسيا إياه أي متظاهرا بنسيانه،

[1] الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، لابن قتيبة الدينوري، ص:٢/٩٠، منشورات الشريف الرضي. (ب ت)

فالكتابة من هذا النوع يؤدي إلى اضطراب وارتباك وتردُّد، وكذلك وجدت أن التاريخ ساكت عن ذكر أي صلة بين هاتين الشخصيتين البارزتين؛ عقبة بن نافع وطارق بن زياد، يا للغرابة والغموض والخفاء!

انتقل الكاتب في القسم الثاني إلى بلاد الأندلس، وتركت حياة عقبة بن نافع حزنا وكآبة لمن بعده، ثم انصرف الروائي من ذكريات تلك المدن الأندلسية الملأنة خيرا ورخاء وسعة إلى قصر "فال كلارا" في طليطلة، "حيث عاشت فلورندا ابنة يوليان مع عمها أسقف، وكان في القصر خادم، اسمه مغيث الرومي، ثم نشأت علاقة الحب والوداد بين الأميرة فلورندا وخادمها مغيث الرومي"[1]، بينما العودة إلى تاريخ مغيث الرومي وترجمته في المصادر التي تناولتها تكشف الأستار عن شخصيته البارزة، وتجعل له مكانة مرموقة، وقد قلت مقدّما حيال موازين الرواية التاريخية: إن الفن قد يداخل التاريخ، ولا بأس بذلك لأن القارئ العادي أو المتلقي الخارق لا يستشعر تلك المتعة واللذة دون تلك المداخلات الرومانسية بين الوقائع، إنها هي التي تبثّ روح الحيوية في الأحداث وتجعل سردها سردا جذابا، ولكن ما يخصني ههنا هو أن تلك الرومانسية والحب والغرام وإن كان لها مساس عميق وأثر دقيق ولكنها لا تلائم الشخصياتِ الإسلاميةَ، أو الشخصيات ذات مواصفات حسنة، ولها طبائع كريمة، ونفوس طيبة، لأن الغرام يدخل باب اللهو والنشاط، وليس من سجية رجل إسلامي أن يكون له مظهر عامة الناس، فشخصية مغيث الرومي لها منزلة سامية في التاريخ

[1] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص:١٣٤.

الإسلامي، فما كان ينبغي لكاتب الرواية أن تناول شخصية مغيث كحبيسة حب فتاة غير مسلمة، أو صنع لهاتين الشخصيتين؛ الفتاة والفتى عُشَّ الغرام حيث اجتمعا فيه فتآلفا وآنس بعضهما بعضا...

"كان فاتح قرطبة ووجهه عبد الملك إلى لأندلس غازياً مع طارق بن زياد، فقدمه طارق لفتح قرطبة، في سبعمائة فارس، ففتحها سنة ٩٢هـ." [١]

ذكر الروائي خلال تناول قصة حب فلورندا الحسناء الطبيعة والعمران، فوصف قصر "فال كلارا" قائلا:

"في قصر فال كلارا المنيف وفى حجرة من حجراته تعيش فلورندا الحسناء .... عيشة الزهرة في اناء من الخزن لا عيشة هذه الأزهار التي يندبها الطلّ في جنات تضيئها الشمس وتد غدرتها السحب." [٢]

بلغ هذا الوصف الطبيعي والعمراني غاية الدقة إلى جانب روعة اللغة ورشاقة الأسلوب، وهذه الميزة ليس من اليسير الحصول عليها إلا لمن درس جغرافية المنطقة وحياة أهلها من العادات والتقاليد والثقافة، ويقول الدكتور إبراهيم السعافين عن معروف الأرناؤوط:

"على أن الأرناؤوط كان، إلى جانب التزامه الحقيقة التاريخية فيما يتصل بالجانب التاريخي، متحمساً لتاريخ العرب والمسلمين، مما جعله يزور البلاد التي

---

[١] الأعلام، لزركلي، ص: ٢٧٦/٧.

[٢] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص: ١٣٧.

وصفها في رواياته، على نحو ما صنع من قبله الروائيون الرومانسيون، سواء كانت هذه البلاد في الوطن العربي أم خارجه من مثل بيزنطة وإسبانيا." [1]

"ومن ميزات روايات معروف الأرناؤوط أن كثيرا من أبطال رواياته كانوا يتامى أو الذين ربتهم أمهاتهم لئلا يستبعدهم أحد، ولذلك حسب ما يبدو أن للأم دور قيادي وتوجيهي ما يثير الإعجابَ ويشد الانتباهَ، وأبطال رواياته مأساويون أصيبوا بمواقف مؤلمة وخطيرة تثير الرعبَ والشفقةَ، واعدين بأنفسهم أنهم سوف يقومون بالثأر والانتقام من العدو المشؤوم، إنهم من الذين عازمون على العمل وليسوا من الهاربين خوفا أو طمعا، إنهم ذووا صلاحية تامة واستعداد قوي ولياقة متناسبة وقدرة فعالة لبناء العالَم بوضع لبناته من جديد، وكان مغيث الرومي أحد الأيتام الذين اختارهم معروف الأرناؤوط كشخصيات رئيسة للرواية، وينبغي للقارئ أن يقف ههنا هنيهة متأملا في حياة الكاتب، لأنه كان يتيما، فرُبِّيَ يتيما، فرَهُفَ ذوقه ورقَّ ولطُفَ، ولعل القارئ يدرك ذلك برهافة حسه وشعوره، ثم تعود الرقة واللطافة والإحساس الدقيق إلى كتابته".[2]

اعتمد معروف الأرناؤوط على كثير "من الأساطير الشعبية، والمرويات السحرية ليلفت انتباهات القراء إلى أن التاريخ تحول عنده إلى ملحمة شعبية تحتوي على معلومات متراكبة تتضمن من الأساطير والخرافات، فكأنه يروي التاريخ مثلما تروي

---

[1] واردة الملك عبد العزيز، مجلة فصلية محكمة، الرواية التاريخية حول صدر الإسلام في بلاد الشام بين الفن والتاريخ للدكتور إبراهيم السعافين، ص:١٤٥، العدد الثاني سبتمبر أكتوبر ١٩٨٨م.

[2] مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، لعبد اللطيف أرناؤوط، ص:٣١١ ، رمضان ١٤١٢هـ، العدد:٦٣.

النساء من القصص والحكايات التي يمزجنها بالخرافات والأساطير"[1] مثل قصة رودريك:

"كان بطليطلة دار الملك بالأندلس حصن مغلق يلزمه قوم من ثقات القوط قدو كلوا به لئلا يفتح، وقد عهد الأول في ذلك إلى الآخر فكلما قعد منهم ملك اتاه أولئك بالحصن فاخذوا...." [2]

التزم الكاتب بالحقائق التاريخية في القسم الأول، فلم يضف من عنده إلى المادة التاريخية حتى الأساطير والقصص التي بنى عليها روايته فنقلها دون تصرف يسير كقصة الحصن، وقصة الكاهنة البربرية، قام الكاتب بتصرف يسير في الأسماء أو صنع صورا في المخيلة حسب المعلومات، وجعل دامية من مصاحبات الكاهنة البربرية التي حاربت العرب، بينما تبدو في الرواية طالبة الثأر من كسيلا...

أما بالنسبة للقسم الثاني الذي تضمن وقائع فلورندا فقد حرّف فيها لغاية ما، إذ جعل فلورندا تستعصي على رودريك مع أن كتب التاريخ تتفق على أنه قام باغتصابها (وقد تقدَّمَتْ تفاصيل هذه القصة في تحليل الرواية؛ "فتح الأندلس" لجورجي زيدان)، وقصة الحب والغرام بين فلورندا ومغيث الرومي كان من صنع الخيال، وهذه الخطوة بالذات من الخطوات التي تلقى أثرا سيئا على جوهر الحقائق التاريخية، بل إنها تشوشها لغاية ما على القارئ العادي، ومع هذا العيب المبين فإن روايته نالت القبول الواسع

[1] مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ،لعبد اللطيف الأرناؤوط ،ص:٣١١،

[2] روَاية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص: ٢٣.

بسبب الفنية الرائعة والاعتماد على المصادر التاريخية، ولاسيما ذكر شخصيتين بارزتين؛ عقبة بن نافع ومغيث الرومي، ثمة من الوقائع التي ذكرها لم تتلاءم أصلا بالحقيقة كدخول طارق بن زياد ومغيث الرومي معا الحصنَ دون أن يتبين الهدف من تلك المغامرة، فكأن تلك الأحداث باتت مقحمة في النص الروائي.

أميرة قرطبة ـ لعبد الحميد جودة السَحّار:

عبد الحميد جودة السّحّار من الروائيين الجِداث، إنه ألف ثلاث روايات فنية تتناول القضايا التاريخية، وهي: "أحمس بطل الاستقلال ١٩٤٣ وأميرة قرطبة ١٩٤٩ وقلعة الأبطال ١٩٥٤م،"[1] عبّر الروائي في رواياته عما في داخله المكتظ بالمشاعر، والممتلئ بالأشواق، فالأحوال التي عاشتها وتعيشها مصر أثارت عواطفَه وإحساساته من أجل الوطن والقوم فأعرب بها وأبان عنها.

ففي الرواية؛ "أميرة قرطبة" تناول الروائي الصراع الداخلي الذي كان يدور داخل قصور الحَكَم في الأندلس إبّان حُكْمِ هشام بن الحَكَم، فالوزراء والرؤساء والسادة والموالي وكل ذي هيمنة بأي معنى من المعاني كانوا يسعون إلى المصالح الشخصية والفوائد التقديرية والأغراض النفسية بغية تحقيقها، بينما العدو فإنه كان يدق الأبواب ويَقْرَعُها، وهذه الصراعات والخصومات والنزاعات والمشادات قد ذهبت بالدولة الأندلسية إلى الانهيار والسقوط أخيرا.

---

[1] صورة المرأة في الرواية المعاصرة، للدكتور طه وادي، ص: ١٧٠، ت ط: ١٩٨٠م، دار المعارف مصر.

ففي هذه الرواية دروس وعبر للحكام والأمراء والسلاطين والوزراء والقادة الذين ينسون مسؤولياتهم ساعين إلى تحقيق طموحاتهم الذاتية، غافلين عن الأخطار التي ربما تؤديهم إلى الوقوع في مخالب العدو.

تناولت الرواية؛ "أميرة قرطبة" مرحلة من مراحل الحكم في الأندلس، وكانت الأندلس في تلك المرحلة من الحكم محفوفة بالأخطار الجسيمة والفادحة من الداخل والخارج، فالإفرنج كانوا يتربصون بالأندلس ويترصدون تحيُّن الفرصة للهجوم عليها، بينما المتنافسون في الحكم من الأمراء والقادة فكانوا يدبّرون دسائس للعثور على مفاتيح الحكم في الأندلس، ويتآمرون على قلب نظام الحكم.

ومن باب اللطيف هنا أن الروائي عبد الحميد جودة السحار حينما كتب هذه الرواية عن الأحداث الهائجة التي ذاقت مُرَّها الدولةُ الإسلاميةُ؛ الأندلسُ قبل قرون... كانت مصر العزيزة تمر بهذه المرارة من أجل منافسات جارية بين الأحزاب السياسية ورجال الحكم أو البيروقراطيين للمصالح الشخصية.

وقد تخطّى الاستعارُ الإنجليزيُّ الصعابَ والعراقيلَ في الحصول على صناديق أموال الدولة وكنوزها بكل حنكة ودهاء حيث لم يشعر بذلك أحد حتى يقف ضد هذا الاغتصاب والاستيلاء قهرا وظلما، ومن طرف آخر ثمة كان عدو آخر، ألا وهو اليهود الذين كانوا ينتظرون مثل تلك اللحظة ليتحقق لهم جواز المداخلة في سياسة الدولة، ولعل تلك الظروف التي دفعت برمتها عبد الحميد جودة السحار للتعبير عن سخطه وغضبه وثورته بأسلوب حكيم وبليغ، فاختار لذلك الموضوع التاريخي الذي لا يزال حيا

بكل لمحاته وسماته كرمز لعرض القضايا الساخنة مر بها المسلمون قبل قرون فلم يعتبروا، ويمر بها أولو الألباب – اليوم – فلعلهم يعتبرون.

اهتم عبد الحميد جودة السحار من الفترة الأندلسية بالنصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وقد شهدت تلك الفترة صراعات متفاقمة من الداخل، وبالرغم ذلك فإن المسلمين قد حققوا من الانتصارات العديدة تحت قيادة محمد بن أبي عامر، حيث توفي هذا القائد – التي تفاخرت الدولة الأندلسية بحسبه وجاهه ونسبه ومكارمه وخلقه وشجاعته وجرأته وسخائه ونواله – بعد أن لقيت الدولة (العامرية) نجاحا في أكثر من خمسين غزوة تحت قيادة قائدها العظيم، يقول التاريخ عنه:

"وعدد غزواته المنشأة من قرطبة نيف وخمسون غزوة ،ولم تهزم له راية." [1]

اشتملت الرواية على عدة خطوط؛ أولها: مشكلة ولاية العهد حيث لم ينجب "الحكم بن الناصر" ولدا، فخشي وهاب ضياع الدولة من نسله، حينما أنجبت له جاريته "صبيحة" ولده عبد الرحمن بن الحكم، فانشرح صدره وابتهج، ولكنه قد مات قبل الفطام من أجل ما أصيب بالحُمّى الشديدة، ثم أنجبت تلك الجارية الحسناء ولده هشام بن الحكم، ومع ذلك لم يزل الخطر بل إنه كان لا يزال مطلا من نافذة القصر على حكمه، لأن "المغيرة" أخا الحكم كان يتربص بالعرش، وينتظر وفاة أخيه ليتولى السلطة بعده.

---

[1] . نفح الطيب للمقري، ص:٣٨٢/١

عندما بحثت عن هذه الحوادث في كتب التاريخ وجدت أن الكاتب لم يتصرف في منعرجات تلك الأحداث ومنعطفاتها ثم ركز كذلك على الحوادث المهمة منها دون تغيير.

"صبح أم المؤيد" (توفيت نحو ٣٩٠هـ، أم خليفة، سيدة مطلقة الرأي، تولى وتعزل الوزراء والقادة، وتدير شؤن السلام والحرب، حسناء ويسيطر على قصر وحكومة. وكان الحكم حينما تولى الملك بعد وفاة أبيه عبد الرحمن الناصر، قد بلغ السابعة والأربعين من عمره ولم يكن رزق ولداً بعد، وكان يتوق إلى ولد يرث الملك من بعده، فحققت أمنية على يد صبح، ورزق منها بولد سماه عبد الرحمن. ثم ولدت له بعد ذلك بثلاثة أعوام ولدا آخر سماه هشام. ولكن الحكم رزئ بعدئذ بقليل بوفاة ولده عبد الرحمن، فاشتد حزنه عليه وعقد كل آماله على ولده هشام." [1]

عندما حلت هذه المشكلة لحد ما بولادة عبد الرحمن ثم هشام، ظهرت هناك مشكلة أخرى وهي مشكلة الولاية بعد الحكم، فالصقالبة [2] والمغيرة [3] كانوا يريدون تولية المغيرة، بينما صبيحة والجعفر الحاجب ومحمد بن أبي عامر فما كانوا يريدون المغيرة أصلا، إنهم كانوا يعرفون أن ولد الحكم هشام يستحق ولاية العهد بعد الحكم، وفي تنفيذ هذه الرغبة اقترح بعض الأصحاب أن يقتل المغيرة، وبعد تآمر الجماعة وقع

---

[1] تراجم إسلامية شرقية واندلسية، لمحمد عبد الله عنان، ص: ٢٠٠ الطبعة الثانية: ١٩٧٠م، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

[2] اسم يطلق على جميع الأسرى الذين كانت تأتي بهم الجيوش الألمانية من حملاتها من جميع البلاد الأوربية ثم يبعثهم إلى الأندلس وهم لا يزالون في سن الشباب أو أطفالاً، اهتم بهم جداً عبد الرحمن الداخل وقام بتربيتهم وتنشئتهم تنشئة تربوية عسكرية. www.wikipedia.com

[3] أخ الحكم بن المستنصر بالله.

الاختيار على محمد بن أبي عامر ليذهب إلى قتله، فقام لهذه المهمة من فوره، وخطط لإمضائها دون تُؤَدَةٍ ورِفْقٍ:

"ذهب محمد بن أبى عامر إلى بيت مغيرة مع أصحابه، ونبأه بموت الخليفة وجلوس ابنه هشام، وأنه أتي ليتبين حقيقة موقفه، فذعر المغيرة وأكد لابن أبى عامر، أنه مطيع مخلص لكل ما تقرر، وتضرع إليه أن يحقن دمه، وأن يراجع القوم في أمره. ولكن الرد كان قاطعاً في وجوب التخلص من المغيرة، فيدفع إليه ابن أبى عامر عدة من رجاله فقتلوه خنقاً أمام زوجته، ثم أشاعوا أنه قتل نفسه، ودفن في نفس مجلسه، وكان سنه يوم قتل سبعاً وعشرين سنة. ووقع ذلك كله في يوم واحد فقط." [1]

ذكر الروائي شخصية الحكم بن المستنصر:

"دخل الحكم خزانة كتبه الزاخرة الفاخرة، وراح يقرأ في إمعان وشغف، فقد كان يمض سويعات فراغه بين كتبه النادرة. ولقد خاض غمار حروب كثيرة يوم كان وليا للعهد، فخضد شوكة الإفرنج، فاستتب في الأندلس الأمن ثم قعد على سرير الملك .... كانت خزانة كتبه أحب مكان إلى نفسه، والعلماء صفوة جلسائه، والكتاب خير ندمائه، فأفاد من الجلساء والندماء، وتثقفت نفسه واتسعت آفاقه." [2]

وعندما قابلت هذه الحادثة بما ورد في التاريخ وجدت ما يلي:

---

[1] دولة الإسلام في الأندلس، الخلافة الاموية والدولة العامرية، ص: ٥١٨، لمحمد عبد الله عنان، الطبعة الرابعة ١٩٦٩م، مكتبة الخانجي بالقاهرة مصر.

[2] رواية أميرة قرطبة لعبد الحميد جودة السحار، ص: ١٢، مكتبة مصر، (ب ت).

"وكان الحكم مشغولاً بالاطلاع والقراءة، وجمع كثيراً من الكتب، وأرسل الرسل إلى دمشق وبغداد والقاهرة، حتى زخرت خزانة كتبه بقرطبة بأربعمائة ألف كتاب، في وقت لم تعرف فيه الطباعة." [1]

وذكر صاحب نفح الطيب:

"أن عدد الفهارس في خزانة العلوم والكتب في عهده بلغت أربعاً وأربعين فهرسة، في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر الدواوين لا غير." [2]

اشتملت الرواية – أيضا – على دور شخصية هامة في الأندلس، وهو "محمد بن أبي عامر" حيث بدأت علاقة الحب بينه وبين الجارية صبيحة، فاستغل ثقة حبيبتها صبيحة، واستثمرها في الصعود إلى منازل الحكم خطوة خطوة، ثم استولى على الحكم أخيرا، ولعله قد حظي في ذلك بضعف هشام الخليفة الرسمي.

بدأ الروائي عبد الحميد جودة السحار بذكر محمد بن أبي عامر قائلا:

"جلس ابن ابي عامر في حانوت صغير تجاه القصر، وهو شاب في الثالثة والعشرين من عمره، يحرر للناس شكا واهم، وينمق لهم مظالميمهم .... وكان أسلافه من قبيلة بني معاذ التي أبلت مع طارق بن زياد في فتح الأندلس .... كانت أمنية الكبرى أن يلج باب القصر." [3]

---

[1] تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ص: ١٧٧، للدكتور حسن إبراهيم حسن، ت ط: ١٩٦٥م، مكتبة النهضة المصرية.

[2] نفح الطيب، للمقري، ص: ١٨٢/١.

[3] رواية أميرة قرطبة لعبد الحميد جودة السحار، ص: ٥.

ويذكر التاريخ عنه:

"كان محمد بن عبد الله بن أبي عامر المعافري، يرجع إلى أصل من أعرق الأصول العربية. وكان جده عبدا لملك بن عامر المعافري. أول من دخل الأندلس مع الفاتحين موسى وطارق. وظهرت أسرته بالعلم والوجاهة، وتولى كثير من أبنائها مناصب القضاء والإدارة، وكان والد محمد بن أبى عامر عالماً بالحديث والشريعة كانت أمه بريهه بنت يحي تنتمي إلى بني تميم. ونشأ محمد على تقاليد أسرته، ودرس في معاهد قرطبة درساً مستفيضاً." [1]

هذا الاقتباس يدل على صحة ما ورد في الرواية عن ابن أبي عامر، إلا أن الروائي قد ذكر أن محمد بن أبى عامر قد جلس في حانوته لفترة... لم تذكر المصادر هذا الشطر من حياة محمد بن أبي عامر سوى ما جاء في نفح الطيب من رواية اتصال ابن أبي عامر بقصر... قال المقري:

"أنه رحل إلى قرطبة ،وتأدب بها ،ثم اقتعد دكانا عند باب القصر يكتب فيه لمن يعن له كتب من الخدم والمرافقين للسلطان ،إلى أن طلبت السيدة صبح أم المؤيد من يكتب عنها ،فعرفها به من كان يأنس إليه بالجلوس من فتيان القصر ،فترقى إلى أن كتب عنها..." [2]

---

[1] دولة الإسلام في الأندلس، الخلافة الاموية والدولة العامرية، ص: ٥٢١، لمحمد عبد الله عنان.

[2] نفح الطيب، للمقري، ص: ٣٨٢/١.

وكان الخليفة الجديد هشام المؤيد بالله ميالاً إلى لَهْوٍ ولَعِبٍ مع الخصيان وآلات الطرب، وكان ابن أبى عامر وأم الخليفة صبح يشجعان هذه الميول السيئة في نفس الأمير ويعملان على رعايتها لينشغل الأمير عن الهموم والغموم ويتلهى بلُعَبِه.

فالحقائق التاريخية تثبت ذلك، يقول المقري:

"ومذ ولى هشام، حجر عليه ابن أبى عامر، ولم يسمح لأحد غيره برؤيته أو مخاطبته، وكان يحمل صبحاً بدهائه وقوة عزمه. على أن تخلق الأعذار لحجب ولدها، حتى غدا هشام شبه معتقل أو سجين." (١)

اشتملت الرواية – أيضا – على شخصية جعفر المصحفي كبير الحُجَّاب في قصر الزهراء، ورئيس الوزراء، وقائد الصقالبة وغيرهم من الأتباع من حكام المدن والبلاد الذين كانوا يعتمدون عليه في جميع الشؤون، ولا يتحركون دون إذن مقدَّم منه، فكأن المصحفي كان قوة حقيقية لهؤلاء وأولئك من الصقالبة وغيرهم لنفوذه المجيد فيهم، ولذلك تتقابل هاتان الشخصيتان؛ المصحفي وابن أبي عامر، وتلتقيان وجها لوجه، فكأن هناك غاية ينافسان في تحقيقها، ذكر الكاتب عن المصحفي:

"فما كان المصحفي من بيت عريق من بيوتات العرب، فهو من أصل بربري رضيع، لا تجلب مصاهرته إلا الهوان." (٢)

---

١ نفح الطيب، للمقري، ص: ٢٧٦/١.

٢ رواية أميرة قرطبة، ص: ١٧١.

وكان هناك – أيضا –صراع خفي بين الأندلسيين والمغاربة، كان الأندلسيون يسعون إلى الهيمنة المطلقة على المغرب، بينما المغاربة فإنهم كانوا يسعون إلى طرد هذه السيطرة والقهر ويحاولون للاستقلالية المطلقة تحت قيادة زعيمهم "الحسن بن كنون الإدريسي" الذي كان يستعين في خططه بالحكام الفاطميين في مصر.

أشارت الرواية إلى شخصيات أخر لها نفوذ بالغ وتأثير عميق في توجيه الحكم وإمضاء الرغبة والرضى في شؤون القصر، ومنهم على سبيل المثال فائق وجؤذر، وهما من المماليك الصقالبة الذين كانوا يحكمان على ألف مملوك من الصقالبة العاملين في القصر.

يقول التاريخ عن دورهما الأساسي:

"وكان كبير الفتيان الصقالبة الفتى فائق، ويليه في المرتبة والمكانة الفتى جؤذر، فلما مات الحكم المستنصر بالله كتم هذان الفتيان خبر موته، وضبطوا أمور القصر وسيّروها كأن لم يحدث شيء. كانا يعرفان أن الحاكم الفعلي سيكون حزب المصحفي وابن أبي عامر وصبح، فعزموا على نقل الخلافة إلى أخي الحكم المغيرة...." [1]

ومما يليق بالملاحظة في أحداث الرواية هي نوعية العلاقة بين الشخصيات البارزة، تلك العلاقة لم تكن قائمة على الحب والإخلاص، مثل العلاقة بين الحَكَم وزوجه صبيحة حيث يحبها الحَكَمُ حبا جما، أما صبيحة تبدو فكأنها تراوغه فقط لأنها

---

[1] www.wikipedia.com

تراود الفتى الباسم ابن أبي عامر عن نفسها وحبها وهواها، وبالرغم من هذا الشعور الناشئ لدى ابن أبي عامر كان يحترمهما احتراما رسميا، وعندما مات ابن أبي عامر أثناء الغزو مع الفرنجة ألقت صبيحة نظرة الوداع على جثمانه قائلة:

"ويل للأندلس بعدك يا منصور" [1]

يقول عبد الحميد جودة السحار:

"انني التزمت بأحداث التاريخ في هذه القصة، لم أضف شخصية واحدة غير تاريخية، ولكنني حاولت أن أنفخ الحياة في التاريخ، وأن أحافظ على أوضاع القصة الصحيحة، وأن أصور الشخصيات بانفعالاتها وإحساساتها وقوتها وضعفها، وأن أفسر سلوك الشخصيات وتفاعلها بعضها مع البعض والصراع الناشب بين جنبات القصر على السلطة الفعلية." [2]

وفي نهاية هذه الدراسة أقول إن ما ورد في الرواية عن شخصية ابن أبي عامر والحكم وصبيحة والمصحفي ليس فيه تناقض وتخالف بما ورد عن ذلك في التاريخ، اللهم إلا أن هناك بعض شخصيات في الرواية لها دور محوري في سرد الأحداث وحبكها فما جاء عنها يتناقض بما جاء في التاريخ، ولكن هذا التناقض لعله لا يؤثر على إيجابيات الرواية لأن تلك الشخصيات مهما كان لها دور أساسي في إدارة مواقف الرواية ذاتها ولكنها من الناحية التاريخية لا تثير الاهتمام ولا تستحق الاعتبار.

---

[1] رواية أميرة قرطبة للمتخار، ص: ٢١١.

[2] القصة من خلال تجاربي الذاتية، لعبد الحميد جودة السحار، ص: ٦٨، مكتبة مصر القاهرة. (ب ت)

على أي حال، فإن الرواية؛ "أميرة قرطبة" تمثّل أنموذجا رائعا للارتباط بين أحداث الرواية والواقع المعاصر، أفرغ الكاتب ما في وسعه وبذل قصارى جهده في صنعة الرواية في الأدب العربي الحديث ولاسيما الرواية التاريخية.

المبحث الثاني
الحدث الروائي والحدث التاريخي في الروايات الأردية

فتح الأندلس ـلعبد الحليم شرر:

ذكر الروائي عبد الحليم شرر في الباب الأول "أن موسى بن نصير قد أغار مرتين على سبتة، وفي ذاك الوقت كان يوليان حاكم سبتة، ولكن موسى بن نصير لم ينتصر في تلك الإغارة، ثم أغار عيسى بن مزاحم على سبتة مؤخرا فأبلى بلاء حسنا وذلك ليس من أجل خدمة الإسلام ونشره بل من أجل ابنة يوليان فلورندا، لأنه تأثر بحسنها وجمالها."[1]

ثم ذكر الكاتب السبب الثاني لدخول المسلمين في الأندلس وهو "قصة فلورندا بنت يوليان حاكم سبتة التي أرسلها أبوها إلى قصر لذريق لتأنس الحياةَ الملكيَّةَ، ولكن الملك القوطي اغتصب شرفها فنال منها حاجته بالرغم منها مع استخدام العُنْفِ، صمم يوليان على الانتقام من الملك القوطي واتصل بطارق بن زياد واستمده على الملك، فأغراه على فتح الأندلس الكريمة... "[2] يتبين التاريخ الحقيقة كما يلي:

"أمام هذا التوافق بين رواية الأسطورة الإسبانية، وتاريخ ابن القوطية يجدر بنا أن نفرز الأسطوري من الحقيقي في هذه الرواية موردين بعض الملاحظات التي تظهر جليا إن عوامل الفتح الداخلية والخارجية كانت أوسع من أن تحضر بشرف فتاة. إن

---

[1] ناول فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ص: من صفحة٩ إلى ١٤

[2] المرجع السابق :من صفحة ١٥ إلى ٢٨

الدراسات التاريخية الحديثة قد تثبت أن ويتيزا الملك القوطي قبل الأخير، تصدى لرجال الدين وكف يدهم عن شؤون الحكم، وتسامح مع الأديان والمذاهب المخالفة لمذهب الدولة وبذلك استعدى الكنيسة عليه فتعاونت مع لذريق وتآمرت عليه فبدأت الحروب الأهلية التي جعلت البلاد الإيبرية في مطلع القرن الثامن فريسة سهلة لكل غاز. هذا من ناحية الظروف الداخلية المتهيئة للفتح، أما الظروف الخارجية، فإن تفكير العرب في فتح إسبانية كان ضرورة حتمية، فرضتها سياسية التوسع التي كانت طابع الدولة العام اثناء خلافة الوليد." [1]

ذكر المؤلف عن شخصة رودريك في الباب الثاني، وذكر كذلك أنه كيف نال نصيبه من الملك والحكومة مع أنه لم يكن من الأسرة الملكية، ثم ترتبت من تلك الأحداث قصة حب رودريك بالفتاة الجميلة فلورندا كان كونت يوليان حاكم سبتة، وكانت له ابنة جميلة اسمها فلورندا، كانت تعيش في قصر رودريك، عندما عَرَفَها عَشِقَها فأغراه الحسن والجمال بها، حاول رودريك أن يمسها بسوء فعلة ولكنها امتنعت فتصرف نحوها بخشونة وشدة واستبداد... حينما وصل الخبر إلى كونت يوليان فجاء إلى قصر رودريك، واستأذنه في الذهاب بها لزيارة والدتها التي كانت على فراش الموت، لم ينتبه رودريك تلك الساعة إلى مكر يوليان وخُدعته بعد أن رجع يوليان بابنته فخطط للثأر منه.

---

[1] الوجدية وأثرها في الأندلس، للدكتور جورجي انطونيوس طربية، ص: ٨٨، ت ط: ١٩٨٠م، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة بيروت لبنان.

أمّا الباب الثالث فذكر الكاتب فيه "التفاصيل الحربية من عنده، ثم صنع شخصية عيسى بن مزاحم كعاشق وحبيب للفتاة فلورندا "[1] للترويح عن النفس لئلا يمل القارئ أثناء القراءة، أما التاريخ فلم يتحدث عن هذه القصة أصلا، إنها مجرد خيال أبدعه الكاتب لإزاحة الملل عن القارئ في الرواية، وخلق التشويق فيها، وإثارة لهفته إليها.

تصرف الكاتب عبد الحليم شرر في سرد الوقائع التي جاءت في الباب الرابع من الرواية، ولاسيما قوله عن موسى بن نصير أنه كان في طنجة بدلاً من قيروان، وقوله: إن عيسى بن مزاحم جاء بالتعزيزات العسكرية إلى موسى بن نصير، وكذلك إرسال يوليان ابنته فلورندا إلى قصر رودريك من أجل الخوف عليها من عيسى بن مزاحم، وإن موسى بن نصير قد حاصر سبتة بعد ذهاب فلورندا... بينما جاء في التاريخ كما يلي:

"كان العرب قد أتموا فتح المغرب الأقصى واستو لوا، على ثغر طنجة، وأشرفوا على شواطئ الأندلس من الضفة الأخرى من البحر، ولم يبق لإتمام فتح إفريقية سوي ثغر سبتة الذي يقع مقابل طنجة في الطرف الآخر من اللسان المغربي. وكانت سبتة قد استطاعت لمنعتها وسهر حاكمها الكونت يوليان، أن تحبط كل محاولة لأخذها...

[1] ناول فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ص: من صفحة٢٩ إلى ٤٢

إذ جاءته رسالة من الكونت يوليان نفسه يعرض فيها تسليم معقله. فقد استجاب موسى لدعوة الكونت يوليان..." [1]

جاء الكاتب في الباب الخامس "بذكر لقاء موسى بن نصير مع يوليان، وكذلك ذكر فتوحات محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم بلسان موسى بن نصير"[2]، وهذه المعلومات صحيحة من الناحية التاريخية.

ثم ذكر وقائع غرامية ناتجة من صنعة الخيال في الأبواب التالية؛ الباب السادس والسابع والثامن حيث لم تذكرها المصادر التاريخية.

أمّا الباب الثامن ففيه نوع من التعارض بين المعلومات، ذكر الروائي في البداية "أن يوليان ذهب بنفسه إلى رودريك ليأتي بابنته فلورندا من قصره، ولكن الكاتب جاء بيسير من التغيير في المعلومة حينما قال: إن فلورندا قد وصلت إلى سبتة مع حارس إسباني، وسبتة آنذاك كانت في محاصَرة الجيش الإسلامي،"[3] وهذا الاختلاف اليسير في سرد الحادثة يعني الضعف في الحبكة.

ثم ذكر الروائي في البابين؛ التاسع والعاشر عدد الجيوش في المعركة، ويقول فيه: إن موسى بن نصير قد أرسل مائتي جندي على متن أربع بواخر سفن بقيادة

---

[1] دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، لمحمد عبد الله عنان، ص: ٣٩/١، الطبعة الرابعة ١٩٦٩م، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

[2] ناول فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ص: من صفحة٤٣ إلى ٦٢

[3] ناول فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ص: من صفحة ١٠٤ إلى ١١٥

طريف مع يوليان إلى سواحل الأندلس وفي اليوم التالي وصلت التعزيزات العسكرية الجديدة المؤلفة من ألفي جندي إلى جبل طارق، فبلغ عددهم من ٧٠٠ إلى ٨٠٠.

بينما جاء في التاريخ:

"أرسل موسى بن نصير طريف بن مالك، وكان من البربر وإليه تنسب جزيرة طريف على المجاز، وفي سنة ٩١هـ على رأس خمسمائة مقاتل منهم أربعمائة راجل ومائة فارس، جاز بهم البحر في أربع من سفن يوليان... وغزا بعض ثغور الأندلس الجنوبية وعاد محملاً بالغنائم... وقد شجع نجاح طريف في هذه الغزوة موسى على فتح إسبانيا." (١)

هناك آراء مختلفة حول عدد أصحاب طريف الذين رافقوه، ومع ذلك اتفق جميعهم على أن السفن والبواخر كانت أربعة، وكانت الجند خمسمائة، فالعدد الذي ذكره عبد الحليم شرر ليس بصحيح.

أما الباب الحادي عشر فإنه معبّر عن "حب وغرام لاحتوائه على حكايات غرامية، أما الأحداث التاريخية التي تتعلق بنجاح طريف، والإغارة المحتومة بتوصية من الزعماء الموجودين، وانطلاق اثني عشر ألف جندي برُفْقَة طارق بن زياد وصُحْبَته على مئة سفينة، فقبض طارق بن زياد على زمام أمور قلعة جبل طارق، وتحَكَّمَ فيها، وسيطر عليها ثم قام بإحراق السفن إعلاما بأنه لا يرجع على أعقابه خاسرا."(٢)

---

١ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ص: ٣١٢/١، للدكتور حسن إبراهيم حسن.

٢ ناول فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ص: من صفحة١٤٩ إلى ١٥٨

وهنا – أيضاً – ذكر الكاتب عدد الجيش غير صحيح، لأن عدد الجيش كان سبعة آلاف كما جاء:

"وفي شهر شعبان سنة ٩٤هـ عبر طارق البحر في أربع سفن أعدها يوليان وسار على رأس سبعة آلاف من المسلمين." [١]

ثم ذكر الكاتب أن طارق بن زياد قد زار رسولَ الله –صلى الله عليه وسلّم – في منامه، فبشّره بالنصر... وافق كلام الروائي ههنا بما ورد في التاريخ:

"وذكر ابن القوطية أنّ طارقا لما ركب البحر غلبته عينه فرأى النبي صلى الله عليه وسلّم وحوله الصحابة وقد تقلّدوا السيوف وتنكبوا القسي فدخلوا قدّامه، وقال له النبي صلى الله عليه وسلّم تقدم يا طارق لشأنك، فانتبه مستبشرا وبشر أصحابه ولم يشك في الظفر، قال: فشن الغارة وافتتح سائر المدائن وولى سنة واحدة، ثم دخل مولاه موسى، فأتم ما بقي من الفتح في سنة ثلاث وتسعين." [٢]

بعد ذلك ذكر الروائي: "بدأت المعركة وهزم الإسبانيين بالفرار وقد استشهد ألف خمسمائة مسلم في هذه المعركة." [٣]

ومن اللافت للنظر هنا أن الروائي عبد الحليم شرر قد ذكر أن عدد القوات الإسلامية كان اثني عشر ألف، ثم لحقتها خمسة آلاف جندي في الأندلس، فتاريخ

---

[١] تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ص: ٣١٣/١.

[٢] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، للذهبي، ص: ٣٩٣/٦.

[٣] ناول فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ص: ٢٨٠، ت ط: ١٩٩١م، مكتبة القريش لاهور.

الأندلس يؤيد ذلك، ولاسيما ما يتعلق بإغارة موسى بن نصير بعد انتصار طريف، ولكن مغادرة طارق بن زياد في اليوم الثالث بعد انتصار طريف ليس إلا نتاج الخيال والصنعة اللائقة بفن الرواية... ثمة تعارض بين المعلومات التي وردت في الرواية وما وردت في التاريخ، على كل حال، لا يخلو الأمر من التحفظ والكلام والنظر بل فيه ما يوجب التقييم.

فما ذكره عبد الحليم شرر عن المعارك المكتظة بالشدائد والعذابات التي دارت بين القوات الإسبانية وجيش طارق بن زياد فإن معظمها موجودة في كتب التاريخ.

ذكر الروائي استراتيجية رودريك في القتال، وعدد قواته الذي كان حوالي مئة ألف، وبرج سحري وسره، ومقتل بوستاس حاكم بلنسية على يد داندولو، بالإضافة إلى مقتل الفانسو شقيق بلانسية في أربعة أبواب تالية: السادس عشر، والسابع عشر، والثامن عشر، والتاسع عشر، والعشرين."[1]

ثم ذكر هزيمة الإسبانيين، وهنا ما يقال إن رودريك قد غرق في الوادي الكبير. [2]

وجاء في التاريخ:

"ثم انهزموا، ولذريق أمامهم، فاستمرت هزيمتهم، وأذرع المسلمون القتل فيهم، وخفي أثر لذريق فلا يدري أمره، إلا أن المسلمين وجدوا فرسه الأشهب الذي فقد وهو راكبه، وعليه سرج من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد وقد ساخ الفرس في طين وحماة،

[1] ناول فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ص: من صفحة ٢٢٠ إلى ٢٨٩

[2] ناول فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ص: ٢٨٢.

وغرق العلج، فثبت أحد خفيه في الطين فأخذ، وخفي الآخر، وغاب شخص العلج ولم يوجد حيا ولا ميتا." [1]

ذكر المؤلف المعابد المسيحية، وسلطة رجال الدين، وأحوال عامة الناس من الفقر والعَوَز والحاجة والبطالة والهم والحرص وغيرها، وكل منها كان نتيجة ظلم وجبر وقهر غير شرعي في البابين؛ الواحد والعشرين، والثاني والعشرين،"[2] وتؤيد كتب التاريخ ذلك قائلة:

"فقسم الأشراف ورجال الدين البلاد إلى إقطاعات كبيرة وسكنوا القصور الفخمة، وانصرفوا إلى اللهو ،وماتت فيهم حمية آبائهم الشجعان ،وقد اتبع رجال الدين الذين كانوا يشيدون بالأخوة المسيحية بعد أن أثروا وملكوا الضياع الواسعة، السياسة الموروثة وعاملوا عبيدهم وخولهم بالعسف، وقد كسب رجال الدين لطائفتهم نفوذا راجحا في شؤون لدولة، وجلس الأساقفة وكبار رجال الدين في المجالس الوطنية التي كانت تجتمع لإقرار الشؤون الهامة في الدولة والمصادقة على انتخاب الملك." [3]

يقول الدكتور حسن إبراهيم أيضاعن سوء أحوال عامة الناس:

"وكانت الطبقة الدنيا تشمل العبيد الذين انصرفوا إلى زراعتها، أما الطبقة الوسطى فقد كانت تلاقى من ضنك العيش شرا مما كان يلاقيه العبيد. فكان يقع عليهم

---

١ نفح الطيب، للمقري، ص: ٢٥٠/١.

٢ تاول فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ص: من صفحة٢٩٠ إلى ٣١٥

٣ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ص: ٣٠٩/١، للدكتور حسن إبراهيم حسن.

أعباء الإنفاق على الدولة، فهم الذين يؤدون الضرائب ويجمعون الأموال للأغنياء مما جر إلى خراب هذه الطبقة وإفلاسها." [1]

ذكر الكاتب عند الحديث عن موسى بن نصير وعيسى بن مزاحم في الباب الثالث والعشرين والباب الرابع والعشرين "[2]أنهما كيف نالا من العدو (النصارى) في الجانب الشرقي من إسبانيا، وكيف بلغا منه مقصودهما، ولاسيما الفتوحات الأولى التي ظفرا بها حيث قتل خمسة عشر ألف نصراني في تلك المعارك، وهذه المعلومات التي جاءت في الرواية تتوافق مع ما ورد في التاريخ، ولاسيما ما ذكره الروائي عن محاصرة عبد العزيز للقلعة المنيعة حيث أفشى رؤساء النصاري من الأساقفة والقساوسة والشمامسة وأشاعوا أنها مليئة بالجند، وتجاوز عدد المقاتلين والمحاربين فيهم خمسين ألفا، تناثر خمسون ألفا من الخوذ العسكرية في السور مطلة على ساحة الحرب، لا يرى أحد من بعيد ما خلا تلك الخُوَذ التي وضعها الجند على رؤوسهم وقاية لهم، ولكن للأسف لم يتم الصلح بين الفريقين من المسلمين والنصارى، فبدأت المعركة، وبعد قليل من الساعة انكشفت الحقيقة بأن تلك الخوذات التي كانت على الرؤوس إنها لم تكن إلا رؤوس النساء والأطفال، وقد فعل النصارى ذلك مكرا وخدعة للمسلمين.

ومن خلال الحديث عن هذه القصة التاريخية جاء الكاتب بشيء من الولع والحب ترويحا للقلوب.

---

[1] المرجع السابق، ص: ٣٠٩/١.

[2] تاول فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ص: من صفحة٣١٦ إلى ٣٤٠

وفى الباب الخامس والعشرين ذكر المؤلف "نبأ وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك أثناء الحملة العسكرية على الأندلس، ثم استولى على الحكم سليمان بن عبد الملك، فاستحضر جميع الأمراء والرؤساء مثل موسى بن نصير وطارق بن زياد من إسبانيا، وقتيبة بن مسلم من كاشغر، ومحمد بن القاسم من الهند."[1]

وجاء في كتب التاريخ أن موسى بن نصير قد عاد إلى دمشق في حياة الخليفة الوليد بن عبد الملك:

"وقد اختلفت الرواية العربية في مصير موسى بن نصير، واختلف الرواة في أمر لقائه بالخليفة، فقيل إنه وصل إلى دمشق قبل وفاة الوليد بن عبد الملك وقدم إليه الأخماس والغنائم، فأكرمه وأحسن إجازته، ثم توفى الوليد بن عبد الملك بعد ذلك بقليل مستخلفا أخاه سليمان على كرسي الخلافة، فغضب سليمان على موسى." [2]

ومن المواضع أكثر ضعفا في الرواية من الناحية التاريخية هو عرض شخصية عيسى بن مزاحم كبطل الرواية، وتبيان العلاقة الودية بينه وبين مريم ثم عقد قرانهما بعد فتح الأندلس... فالرواية وإن اشتملت على الأحداث التاريخية ولكن الكاتب قد تصرف كثيرا في الظروف الزمانية والمكانية، وخاصة فيما يتعلق بعيسى ومريم.

---

[1] ناول فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ص: من صفحة ٣٤١ إلى ٣٥٤

[2] دولة الإسلام في الأندلس، لمحمد عبد الله عنان، ص: ٥٧.

في سجن دمشق – لعنايت الله التمش:

استمد الكاتب أحداث روايته من فترة تاريخ الأندلس نحو وقائع الكفاح الإسلامي ضد المسيحيين واليهوديين، إن جميعها يرتبط بديار الأندلس ودمشق، قاد المسلمون الفتوحات الإسلامية في بلاد الأندلس بعد معارك عنيفة.، اشتملت الرواية على أكثر من ثلاث مئة صفحة، وللروايات مقاطع دون عناوين، يشتمل كل صفحة على حدث مهم من أحداث الأندلس من الفتح إلى وفاة موسى بن نصير ، ذكرت الرواية شخصيات بارزة لذاك العصر، ووضع المؤلف اسم الرواية: "في سجن دمشق" بدلا من "فتح الأندلس" [1]كما فعل بعض الآخرين للإشارة إلى الشخصيات التي سجنت لفترة في سجن دمشق، مثل الفاتح الإسلامي محمد بن القاسم الثقفي، والقائد الإسلامي قتيبة بن مسلم، والقائد الفذ موسى بن نصير... إنهم لم يرتكبوا بجريمة سوى قيادة المعارك الكبرى التي خاضوها فافتتحوا تلك البلاد وحرروها من سلطة الاستعمار ، واكتسبوا بذلك حب الشعب، ولعل ذاك الحب جعل الخليفة سليمان بن عبد الملك حاقدا عليهم، ثم لم يستطع الخليفة أن يغلب على ضغينته فقام بقتلهم... وفيما يلي سوف أذكر أبعاض تلك الوقائع ولاسيما ما تتعلق بالقتل والطرد للقادة المحترمين من المنحى التاريخي.

تبدأ الرواية "بإهانة سليمان بن عبد الملك واستخفافه بموسى بن نصير، حيث فُرِضَ على القائد العظيم من الخليفة أن يدفع غرامة مالية تأديبا أو تعويضا، فاضطره وألجأه إلى التسول في موسم الحج، حينما جاء حجاج بيت الله الحرام وجدوه طالب

[1] ناول دمشق کے قید خانے میں، عنایت اللہ التمش، مقدمة الرواية

عطية وإحسان فاستغربوا ذلك ثم سألوه عن السبب؟ أجابهم موسى بن نصير: قد مات الخليفة الوليد بن عبد الملك، وتولى العرشَ أخوه سليمان بن عبد الملك... فكأنه أشار إلى ما كان الخليفة سليمان يَكِنُّ له ضغينة وحقدا... "[1]والواقع حينما بحثت عن هذه الحادثة فلم أجدها في كتب التاريخ، قال ابن خلكان:

"ولما وصل موسى إلى الشام ومات الوليد بن عبد الملك وقام من بعده سليمان أخوة، وحج في سنة سبع وتسعين للهجرة–وقيل سنة تسع وتسعين، حج موسى بن نصير ومات في الطريق بوادي القرى، وقيل بمر الظهران، على اختلاف فيه، وكانت ولادته في خلافة عمر بن خطاب." [2]

ويقول عبد الله عنان:

"إن سليمان سخط على فاتح الأندلس ونكبه. وذلك أن موسى وصل إلى الشام والوليد في مرض موته، فكتب إليه سليمان ولى العهد يومئذ أن يتمهل في السير حتى يموت الوليد، فيقدم عليه في صدر خلافته مما يحمل من جليل التحف والغنائم، فأبى موسى وجد في السير حتى قدم والوليد حي، فسلّم إليه الأخماس والغنائم، ثم توفى الوليد بعد ذلك بقليل مستخلفاً سليمان على كرسي الخلافة، فغضب سليمان على موسى، وبالغ في إهانته وتعذيبه، ثم ألقاه إلى ظلام السجن. وتوفى موسى بعد ذلك

---

[1] ناول دمشق کے قید خانے میں، عنایت اللہ التمش، ص:من صفحة ٥ إلى ١٥

[2] وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد، ص: ٣٢٦/٥.

بقليل في سنة سبع وتسعين. وقيل في سنة تسع وتسعين وهو في نحو الثمانين من عمره." [1]

تظهر من خلال ما تقدم أن شخصية سليمان بن عبد الملك كانت حاقدة، متلاهية بالملاهي والمُتَع واللذات، غير مهتمة بالشريعة السمحاء، بينما الحقيقة فإنها كانت مختلفة بأسرها، ذكر ابن قتيبة قصة مقابلة سليمان بن عبد الملك ولقائه بأبي حازم أحد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم:

فقال سليمان: يا أبا حازم: ما لنا نكره الموت؟ فقال أبو حازم: لأنكم أخربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب، قال سليمان: صدقت يا أبا حازم، فكيف القدوم على الآخرة؟ قال: نعم، أما المحسن فإنه يقدم على الآخرة كالغائب يقدم على أهله من سفر بعيد، وأما قدوم المسيء فكالعبد الآبق [2]، يؤخذ فيشد كتافه، فيؤتى به إلى سيد فظ غليظ، فإن شاء عفا، وإن شاء عذب، فبكى سليمان بكاء شديداً." [3]

تصرف الكاتب تصرفا شديدا في الوقائع التي تتعلق بهذه الأدوار، ولعله يشير إلى قلة اطلاع الروائي على تلك الأحداث التاريخية، ولاسيما انعدام الترابط والتلاصق بين التاريخ والرواية... ثم ذكر الروائي "أن موسى بن نصير قد أخبر الناس الذين

---

[1] تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، لمحمد عبد الله عنان، ص: ١٣٧.

[2] الهارب من سيده.

[3] الإمامة والسياسة، لابن قتيبة، ص: ١٢٢/٢.

قدموا من أرجاء البلاد للحج أنه قد أُلقِيَ في المعتقل نفسه الذي سجن فيه محمد بن القاسم، وقتيبة بن مسلم."[1]

ومن سلبيات الرواية أن الروائي أطنب في الحديث عن سرد الأحداث والوقائع ولاسيما الأخبار الجانبية، والأماكن والأشخاص، ومن ثم جاء الاستطراد في الرواية فجعلها طويلة.

فقصة دخول طارق في الأندلس وإحراق السفن وما دارت المعركة بينه وبين التدمير قائد جيش لذريق، ثم هروب التدمير من ميدان المعركة، وقدوم جيش طارق، وفي الطريق عند المرور من الحي مقابلة عجوز إياه... قصة طويلة جاء الروائي بها في روايته،[2] والقصة نفسها موجودة في مصادر التاريخ:

"وأصاب طارق عجوزاً من أهل الجزيرة، فقالت له في بعض قولها إنه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن أمير يدخل إلى بلدهم هذا، ويغلب عليه، ويصف من لغته أنه ضخم الهامة، فأنت كذلك، وفيها أن في كتفه الأيسر شامة عليها شعر، فإن كانت بك هذه العلامة فأنت هو، فكشف طارق ثوبه فإذا بالشامة في كتفه على ما ذكرته العجوز فاستبشر بذلك هو ومن معه." [3]

---

[1] ناول دمشق کے قید خانے میں، عنایت الله التمش، ص:١٤

[2] المرجع نفسه ،ص:٨٥

[3] نفح الطيب، للمقري، ص:٢٤٦/١.

بنى الكاتب روايته على رؤيا طارق بن زياد الذي رأى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مبشرا إياه بالانتصار وهزيمة العدو، فأخبر طارق جيشه عن ذاك الرؤيا..."[1] ثم ذكر الروائي قصة البرج الساحر،"[2] هذه القصص ذكرتها المصادر التاريخية، وأنا فصّلتها مقدّما.

ذكر الكاتب في الصفحة ٩٠ عن زواج عبد العزيز بن موسى بأرملة لذريق، وكان اسمها ايجيلونا، إنها لم تسلم بل اعتصمت بمذهبها القديم، فالكلام عنها مليء بالمبالغة مما لا ينبغي بصفة الرواية التاريخية، وجاء عنها في المصادر التاريخية:

"ولم تك صبح سوى إحدى كواكب هذا الثبت الحافل من النساء الفرنجيات، اللائي يقدمهن إلينا تاريخ الأندلس منذ الفتح، واللائي يتركن أثرهن في سير الحوادث أحياناً. ونستطيع أن نذكر منهن "ايلونا" القوطية أرملة لذريق ملك القوط عند الفتح وهي التي يسميها العرب "بأم عاصم" فقد تزوجها عبد العزيز بن موسى بن نصير أول حاكم للأندلس بعد الفتح، وكان نفوذها ووحيها السيئ من الأسباب التي أدت إلى مقتله على يد الخوارج عليه سنة ٩٥هـ." [3]

ولم يكن لذريق من أسرة الملك، إنما كان من أشراف القوم ونبلائهم، و أصبح ملكا بعد موت الملك غيطشة الذي حاول قبل الموت أن يجعل الحُكْمَ في وريثه الأول،

---

[1] ناول دمشق کے قید خانے میں، عنایت اللہ التمش، ص:٥٨

[2] المرجع نفسه،ص:٨٧

[3] تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، لمحمد عبد الله عنان، ص: ١٩٩.

وفي ذلك استعان بالكنيسة لتأييده في إقامة دولة يتوارثها جيل بعد جيل من سلالته وأسرته، ولكن النبلاء والأشراف عارضوا ذلك وأصروا على إبقاء مبدأ الانتخاب للملك"[1]

اختلفت الروايات حول اسمه: فقيل: "لذريق".

"سنة اثنتين وتسعين وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني عشر ألفا، فلقى ملك الأندلس. زعم الواقدي أنه يقال له إدرينوق. وكان رجلاً من أهل أصبهان، قال: وهم ملوك عجم الأندلس فزحف له طارق بجميع من معه فزحف الأدر ينوق في سرير الملك." [2]

وجاء: "رذريق" في موضع آخر ادرينوق." [3]

وفي الروايات الأردية جاء اسمه رادريك حسب حالة النطق الإنجليزي (Rodrick).

ثم ذكر الروائي القائد الكبير تدمير، كان ذا بأس وشديد، حارب المسلمين، وقد هلك كثير من جيشه أثناء المعركة التي دارت بينه وبين المسلمين، [4]، ثم ذكر الروائي حيلته المعروفة... وقد تناول التاريخ قصة الحيلة كما يلي:

---

[1] الإمامة والسياسة، لابن قتيبة، ص: ٨٦/٢.

[2] تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ص: ٤٦٨/٦، ط الرابعة ١٩٦٤، دار المعارف مصر.

[3] الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ص: ٥٥٦/٤. ت ط:١٩٧٨م، دار الفكر بيروت.

[4] ناول دمشق کے قید خانے میں، عنایت اللہ التمش، ص:١٥٦، ت ط،٢٠٠٩م، مکتبة داستان لاهور.

"فارتد تدمير إلى أوريولة، وامتنع بها، وعرض النساء، حسبما تقول الرواية، على الأسوار في أثواب الرجال إيهاماً بكثرة جنده، واستطاع بثباته وجلده، أن يعقد الصلح مع المسلمين بشروط حسنة أنقذت بها مدينة من السبي والجزية." [1]

بعد قصة الفتح ذكر الروائي أن موسى بن نصير حَسَدَ طارقَ بن زياد من أجل الفتوحات... ثم ذكر المؤرخون بواعث عديدة وأسباب كثيرة أدت إلى إيقاف موسى بن نصير تقدُّمَ طارق بن زياد وحملته على إصدار قرار حاسم تجاه وقوفه من الفور، ولكنني فيما أرى أنه كان لسببين رئيسين؛ أولهما: أن موسى بن نصير ما كان يتوقع من طارق بن زياد أنه سيحقق تلك الفتوحات المتتابعة في وقت قصير، ومن أجلها سينال خيرا وعرفانا، ومن ثم إنه أخذ يهابه على عرشه وحكمه وجاهه وسلطته ونفوذه.

"فكتب إليه ألا يتقدم حتى يلحق به، ويتوعده بالعقاب إذ توغل بعد بغير إذنه." [2]

وقال الحافظ ابن كثير:

"دخل طارق في بلاد الأندلس، فافتتح قرطبة وقتل ملكها ادرينوق وكتب إلى موسى بن نصير بالفتح، فحسده موسى على الانفراد بهذا الفتح، وكتب إلى الوليد يبشره بالفتح وينسبه إلى نفسه." [3]

---

[1] دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبدا لله عنان، ص: ٥٠/١.

[2] نفح الطيب، للمقري، ص:١٢٦/١.

[3] البداية والنهاية، لحافظ ابن كثير، ص:٨٣/٩، ط السابعة:١٩٨٨م، مكتبة المعارف بيروت لبنان.

وآخرهما: أن ما أثار غضب موسى بن نصير على طارق بن زياد هو مخالفته لأوامره بألا يجاوز قرطبة، أو يتوقف حيث تتم هزيمة القوط... ولكن طارق بن زياد لم يفعل ذلك بل تعدى تلك الأوامر... وهذا السبب يبدو صحيحا لأن ما أثر عن حيطة موسى بن نصير وحذره إنه يدل على ذلك بل يؤيده، لأن المسلمين لعلهم لَناكبون عن الصراط إذا توغلوا مسالك مجهولة، كما حدث مع القائد عقبة بن نافع...

ثم ذكر الروائي تفاصيل الخلاف بين ذينك القائدين العظيمين، حتى ذكر قصة أخرى تكشف سوء العلاقة بينهما، سافر موسى إلى دمشق وكان في رفقته طارق بن زياد ومغيث الرومي وغنائم كثيرة للخليفة، ثمة كانت مائدة ذهبية أراد طارق بن زياد إهداءها للخليفة ولكن موسى بن نصير أخذها منه كرها ليهديها بنفسه إلى الخليفة،[1]

جاءت هذه القصة في التاريخ:

"وكانت توضع على مذبح كنيسة طليطلة، فأصابها المسلمون هنالك، وطار النبأ الفخم عنها. وقد كان طارق ظن بموسى أميره مثل الذي فعله من غيرته على ما تهيّأ له ومطالبته له بتسليم ما في يده إليه، فاستظهر بانتزاع رجل من أرجل هذه المائدة خبّأه عنده." [2]

وذكر في نهاية الرواية "أن عبد العزيز بن موسى بن نصير قد قُتِلَ فجاء برأسه

---

[1] ناول دمشق کے قید خانے میں، عنایت اللہ التمش، ص:۲۷۵

[2] نفح الطيب، للمقري، ص: ۲٦۲/۱.

سليمانُ بن عبد الملك ليريه أباه في السجن، عندما رأى موسى بن نصير رأس ولده العزيز لم يصبر ومات. "[1]

هذه لمحات موجزة من الرواية ذكرتها ههنا مقارنة بينها وبين ما ورد في المصادر التاريخية، ووجدت أن معظم تلك القصص التي وردت في الرواية تتوافق مع القصص التي وردت في تلك المصادر، ولاسيما الأمور الرئيسة تتوافق لغاية ما بالنسبة للجزئيات فإنها تتوافق لحد ما، لم يبتكر الكاتب شخصيات الرواية بل إنها مستعارة من التاريخ، وفي الأخير قبل الختام عبر الكاتب حالة الهند في ضوء تاريخ الأندلس.

يوسف بن تاشفين – لنسيم حجازي:

تناولت هذه الرواية انتصارات فاتحي الأندلس، وانقسام وحدة الدولة وتفرّقها إلى دويلات، ودخول يوسف بن تاشفين في الأندلس، وتأسيس دولة المرابطين فيها.

لا يوفّر التاريخ معلومات كاملة حول حياة يوسف بن تاشفين، وشخصيته، فجاء نسبه في المصادر التاريخية:

"أنه أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن وارتقين بن منصور بن مصالة بن أمية الحميري، وأنه ينتهي إلى قبيلة لمتونة من بطون صنهاجة إحدى قبائل البرانس، وأعظم القبائل البربرية في ذلك العصر عدداً وعصبية وجاها." [2]

---

[1] ناول دمشق کے قید خانے میں، عنایت اللہ التمش، ص:۲۹۱

[2] تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، لمحمد عبد الله عنان، ص:۲۲۷.

استخلف الأمير أبو بكر اللمتوني عميد الدولة المرابطة الأصلي ابن عمه يوسف في المغرب، وسار بنفسه إلى الصحراوات الجنوبية لمحاربة القبائل الوثنية السودانية، فقاد الجيش في غزوات كثيرة ضد تلك القبائل، وقضى هنالك بضع سنوات قائدا ومحاربا ومقاتلا. بينما يوسف ابن عمه فقام بفتوحات كبرى في المغرب، عندما عاد أبو بكر اللمتوني من تلك المعارك ووجد أن ابن عمه جلب الخير وكسبه لأهل الدولة اطمأن باله، فرجع من حيث جاء... وبذلك تمت إقامة دولة المرابطين [1] الكبرى.

تميزت روايات نسيج حجازي بصفات سرد الأحداث التاريخية بطريقة فنية رائعة حيث لا يشعر القارئ أي ملل أثناء قراءته فيها، ولاسيما روايته يوسف بن تاشفين من أمثل الروايات من الناحية التاريخية والفنية لاتصافها بأسلوب رشيق، وتسلسل أنيق، ونظام دقيق، لأنه استفاد في صياغته من التاريخ، ولم يتصرف في الأحداث الرئيسة إلا إذا دعت الحاجة إليه.

سار الروائي نسيم حجازي على طريقة مألوفة حيث اختار شخصيات الرواية من التاريخ، وبعضها الآخر صنعها من عنده، فالأدوار التاريخية تتكون عنده مما يلي:

- ❖ معتضد
- ❖ معتمد
- ❖ ابن عمار

---

[1] المرابطين: المرابط هو من لازم الثغر لدفع العدو ،وذلك لاضطلاعهم بمهمة الجهاد في سبيل الله، وعرفوا من ذلك الحين بهذا الاسم الجديد. المرجع نفسه.

❖ فرديننڈ

❖ مظفر

❖ الفانسو

❖ عمر المتوكل

❖ ابن عكاشة

❖ عالم قاضي أبو الوليد

❖ يحي القادر

❖ قاضي أبو جعفر

❖ أمير يوسف بن تاشفين

❖ سيرين أبو بكر

❖ رميكية

كثَّر الروائي الأدوارَ التاريخيةَ والأماكن في الرواية، إنه استهل روايته بذكر المعتضد بالله الذي كان حاكما على أشبيلية، ثم تابعه الكاتب بقصة انتقام معتضد بالله من البرابرة الذين اجتمعوا للهجوم عليه وقتله، هذه القصة موجودة في مصادر التاريخ، وذكرها الدكتور نصير أحمد ناصر في كتابه "تاريخ الأندلس". [1]

---

[1] تاريخ إسبانية، للدكتور نصير أحمد ناصر، ص:٣٥٦، ت ط:١٩٤٩م، علمي كتب خانه لاهور.

وقد جاء نسيم حجازي بشخصيات عديدة في رواياته، ففي بديهة النظر يقفز إلى الذهن فكر أن الكاتب صاغ تلك الشخصيات من عنده، إنه جميعها كانت خيالية، والصحيح أن معظم تلك الشخصيات كانت موجودة في الواقع، ولكل منها دور كبير في تحييز كيانات الحياة، مثل شخصية ابن عمار، فالكاتب جاء بقصة طويلة حول فقر ابن عمار، ثم ذكر قصة صداقته مع المعتمد، وبذلك حصل ابن عمار على إسمارة إشبيلية، والتاريخ تناول هذه القصة بجملة تفاصيلها.

صبت الرواية بحذافيرها على الملكة رميكية، إنها كانت جارية رميك، فسميت باسمه رميكية، إنها كانت جميلة، كان المعتمد يحبها كثيرا، فاشتراها من رميك بن حجّاج ثم تزوج بها فصارت رميكية زوجة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما من المدن والمناطق.

"وقد روي أنّها رأت ذات يوم بإشبيلية نساء البادية يبعن اللبن في القرب وهنّ رافعات عن سوقهن في الطين فقالت له: أشتهي أن افعل أنا وجواري مثل هؤلاء النساء، فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد، وصيرا تجميع طينا في القصر، وجعل لها قربا وحبالا من إبريسم، وخرجت هي وجواريها تخوض في ذلك الطين، فيقال: إنّه لمّا خلع وكانت تتكلم معه مرّة فجري بينهما ما يجري بين الزوجين، فقالت له: والله ما رأيت منك خيراً، فقال لها: ولا يوم طين؟ تذكيراً لها بهذا اليوم الذي أباد فيه من الأموال ما لا يعلمه إلا الله تعالى فاستحيت وسكتت." [1]

[1] ويكيبيديا الموسوعة الحرة

استفاد نسيم حجازي من القصص التاريخية، وجعل رواياته منوطة بها، وصاغها صياغة جذابة دون تصرف أو تغيير، وركز على الأحداث الرئيسة والقصص الغرامية التي تتمحور حول الشخصية الرئيسة.

ذكر الكاتب في الصفحة ٦٢ قصة خدعة ابن عباد وحيلته في الحرب التي استنصر فيها عبدُ الملك ابنَ عباد على المأمون ذي النون، فبادره الغاية، عندما انهزم المأمون انقلب ابن عباد على زميله عبد الملك ووقف منه موقفا مضادا، وقد ذكر ابن خلدون هذه القصة الرائعة بتفاصيلها.

اختلف المؤرخون في ميعاد هذه الحادثة، فذكر ابن خلدون أن تلك الحادثة قد وقعت في عام ٤٦١هـ بينما المؤرخون الآخرون ذهبوا إلى أنها قد وقعت في عام ٤٦٣هـ، ولعل الروائي لم يذكر السنة التي حدثت تلك القصة فيها من أجل هذا الاختلاف.

تكلم نسيم حجازي "عن زوال حكومة ابن عباد بيد السارق ابن عكاشة الذي دخل قصره فعارضه ابن عباد معارضة شديداً، ولكن من سوء حظه أنه انزلق قدمه فقتله ابن عكاشة،"[1] وقد جاءت هذه القصة في كتاب الدكتور نصير أحمد ناصر:

"٤٦٧هـ في الليل شديد الهواء. وصل ابن عكاشة مع مصاحبه إلى قصر امارات. والحراس كانوا منتشرين بسبب الطوفان. وعندما وصل عكاشة على الباب

[1] ناول يوسف بن تاشفين، نسيم حجازي، ص:٢٥

استيقظ عباد من النوم وقابله مع جنوده فحدثت بينهما محادثة عنيفة ولكن انزلق قدمه وقتله ابن عكاشة." [1]

لم يتصرف نسيم حجازي في تلك القصة التاريخية التي بنى عليها دعائم روايته ما عدا تغييرا يسيرا وهو ذكر مجالس الخمر والدمان في تلك القصص، إنه ذكر أن ابن عكاشة عندما دخل القصر كان ابن عباد في مجلس الخمر، ولعله أصبح سببا لتغلبه عليه وقتله أخيرا، فالتاريخ لم يذكر هذا الشطر من القصة.

هناك قصة أخرى ذكرها الروائي وهي: قصة موت ابن عمار الذي اعتدى الحدود، وأصبح هذا التجاوز سبب موته، مثلا نرى في روايته:

"حاكم بلنسية عبد العزيز كان صديقا حميما لابن طاهر، وكان من رفقاء المعتمد أيضا، فكتب له خطابا يشفع فيه بابن طاهر، أصدر المعتمد قرار إطلاق سراح المناضل ابن طاهر، وكان ابن عمار وكيل شؤون السجن للمعتمد فلم يكترث بأمره وقراره، ذات يوم هرب ابن طاهر من المعتقل ووصل إلى عبد العزيز وشكاه المعتمدَ، غضب المعتمدُ على ذلك، ثم زاد الخلاف بين المعتمد وابن عمار، وصار الأمر في النهاية إلى موت ابن عمار." [2]

---

[1] تاريخ إسبانية، للدكتور نصير أحمد ناصر، ص:٣٧٣.

[2] تاول يوسف بن تاشفين، نسيم حجازي، ص:٢٥٦، ت ط: ٢٠٠٥، مكتبة جهانگير لاهور.

لعل القارئ في بادئ النظر يظن هذه القصة من الخرافات أو الأساطير أو ابتكارات الكاتب ولكن التاريخ قد ذكر أقصاها وأدناها، وذكرها الدكتور نصير أحمد ناصر في كتابه: "تاريخ الأندلس".

وكتب الروائي عن الفانسو وقوته، وقد ذكر في ذلك السياق "أن الفانسو قد أرسل الرسالة إلى ملك الطوائف، وطلب منه تسليم بعض الحصون، وتقديم أموال معينة من قبله، وتوعده بشَرِّ العواقب إذا هو لم يفعل، وبالرغم من صعوبة الموقف رفض المتوكل تهديده، حمل الفانسو على طليطلة وقام بإخراج يحي القادر من معتقله."[1]

نقل المقري في نفح الطيب قول بعض المؤرخين يقولون في ذلك:

"أخذ الأذفونش طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحي بن ذي النون بعد أن حاصرها سبع سنين، وكان أخذه لها منتصف محرم سنة ٤٧٨هـ." [2]

هذه القصة لها أهمية قصوى من الناحية التاريخية، نقلها الكاتب دون تغيير حتى تطابقت الروايةُ التاريخَ في نقل الجزئيات الصغيرة للقصة، وهذا التطابق ليس من باب الاتفاق بل إنه يدل على دقة الكاتب وصنعته وعادته وأسلوبه في رواياته، ومع مراعاة هذه الأمور الدقيقة في نسج الرواية فلم تنقطع خيوط ربط وتماسك وتوافق تمسك الإطار القصصي، حينما سقطت دولة طليطلة نزلت النكبة الكبرى بالأندلس

[1] المرجع نفسه ،ص: ٣١٥

[2] نفح الطيب، للمقري، ص:٤٤١/١.

الإسلامية وما بجوارها من دول ودويلات رأى الفانسو أن الأمراء المسلمين من الطوائف راحوا رَهْنَ إشارته وطَوْعَ بنانه، فخطط للهجوم عليهم بدفعات متوالية لينبشهم من جذورهم وُحْدانًا كيلا يبقى في الأندلس من يكافح أو يدافع عن الإسلام أو المسلمين.

"لكن الأمور لم تجر على هواه لما عصفت به رياح الأخوة في المغرب كما يقول ابن بسّام في الذخيرة. الحمد لله موهن أيده، ومبطل كيده، وجزى الله أمير المسلمين، وناصر الدين، أبا يعقوب يوسف بن تاشفين، أفضل جزاء المحسنين. بما بلّ من رماق، ونفّس من خناق، ووصل هذه الجريرة من حبل، وتجشم إلى تلبية دعائها واستنفاذ ما بها، من حزن وسهل، حتى ثلّ عروش المشركين، وظهر أمر الله وهم كارهون، والحمد لله رب العالمين."[1]

ولما بلغ الضعف بالمسلمين حدَّه أجمعوا على رأي واحد وهو استنفار يوسف بن تاشفين فكتب إليه المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية رسالة أخبره فيها بحال الأندلس فسأله النصر والإعانة، ذهب القاضي الجعفر وابن زيدون من العلماء وملوك الطوائف بتلك الرسالة إلى يوسف بن تاشفين...

"حينما وصلت النخبة من العلماء وملوك الطوائف إلى إفريقية بادروا بلقاء يوسف بن تاشفين وذكروا أمامه أحوال المسلمين، سرعان ما جمع يوسف بن تاشفين حبيشاً كبيراً بعد أن استشار فقهاء الدولة وأعيانها ثم قاد الجيش عبر مضيق جبل

---

[1] التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، للدكتور عبد الرحمن علي الحجي، ص: ٣٣٥، ط الثالثة: ١٩٨٧م، دار القلم دمشق.

طارق ووصل الجيش من سبتة إلى الجزيرة الخضراء،"[1] وذكر المؤرخون هذه القصة بجميع لمحاتها في مؤلفاتهم العريقة.

يقول عبد الله عنان:

"وحشد يوسف جيشاً عظيماً من المرابطين وعبر البحر إلى الأندلس في قواته، فاستقبله أمراء الأندلس في الجزيرة الخضراء، ثم سار بجيشه إلى إشبيلية حيث وافته جيوش الأندلس. وكان ألفونسو السادس في ذلك الحين مشتغلا بمحاربة ابن هود أمير سرقسطة، فلما علم بعبور المرابطين إلى الجزيرة، ترك في الحال محاربة بن هود وجمع الجند من سائر الأنحاء...." [2]

ووصف الروائي يوسف بن تاشفين وهذه الأوصاف التي جاء بها في طيات الرواية تتطابق بما جاء في التاريخ، ذكر الدكتور على الطنطاوي خُلُقَ ذاك القائد الجريء وخَلْقِه وصفاته قائلا:

"وكان ابن تاشفين هذا نحيف الجسم، أسمر اللون، خفيف اللحية، دقيق الصوت، يحسبه من يراه ويسمعه رجلاً ضعيفاً مسكيناً، فإذا خبر وجده الأسد قوة ومضاء والصقر حدة بصر، وسرعة انقضاض. وكان محارباً ليس له نظير." [3]

---

[1] ناول يوسف بن تاشفين، نسيم حجازي، ص:٢٢٣

[2] تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، لمحمد عبد الله عنان، ص: ٢٣١.

[3] رجال من التاريخ، لعلي الطنطاوي، ص: ٢٢٥، المكتبة الاموية دمشق. (ب ت)

لما اقترب يوسف بن تاشفين مع جيشه من أشبيلية استقبله المعتمد استقبالا حارا ثم تعاهد القائدان العظيمان أن يجاهدا في سبيل الله فتقربا وتضرعا سائلين الله التوفيق والإخلاص، استقر الجيش أياما في أشبيلية ثم اتجه إلى بطليوس وكانت ثمة قوات ملوك الطوائف الذين انضموا إليه أيضا.

حينما سمع الفونش أنباء هذا الجيش العظيم ترك كل شيء، وبدأ يستعد لقتاله، ثم ذكر الروائي أحوال المعركة بصورة جذابة، وجاء بمعلومات توجد برمتها في التاريخ، وهذا التوافق بين التاريخ والرواية يدل على ثقة الكاتب، أما المصادر فإنها تختلف في تقدير عدد جيش كل من الفريقين، ولعل الكاتب ذهب مذهبا آخر ولم يوافق عَدُدُه العَدَدَ الذي جاء في التاريخ، يقول نسيم حجازي بشأن عدد جيش الفانسو:

"كان عدد جيش الفانسو يتراوح ما بين خمسين ألف وثمانين ألف، بينما عدد المسلمين فكان حوالي أربعين ألف." [1]

وجاء في التاريخ:

"قد يكون عدد الجيش النصراني خمسين ألفاً أو يزيد، ودون شك فان الجيش الإسلامي أقل من ذلك وقد يصل إلى النصف." [2]

---

[1] رواية يوسف بن تاشفين لنسيم حجازي، ص: ٣٧٢.

[2] التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، للدكتور عبد الرحمن علي الحجي، ص: ٤٠٥.

راسل يوسفُ بن تاشفين الفانسو بخطورة الموقف إذا لم يدخل في الإسلام أو لم يعترف بالجزية، وقد ذكر التاريخ تلك الكلمات الذهبية:

"وبلغنا يا أذفونش أنّك دعوت في الاجتماع بك، وتمنت أن تكون لك فلك تحبر البحر عليها إلينا، فقد أجزناه إليك، وجمع الله تعالى في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك (وما دعاء الكافرين الا في ضلال.) [1] " [2]

اشتد غضب الفانسو واحتدم عند القراءة في الرسالة، فرد على يوسف بن تاشفين ردا عنيفا، وبعث إليه برسالة مليئة بنظرات حاقدة كالنار في تأثيرها، ووعيد وتهديد وتوعّد بالشر وإنذار بما سيحدث من دمار وهلاك ونكبات، اكتفى ابن تاشفين بكتابة بضع كلمات على ظهر الرسالة التي ردَّها إليه:

"الذي يكون ستراه." [3]

ثم رأى الفانسو أن يخدع المسلمين فكتب إلى قائديهم أن تكون المعركة يوم السبت، لأن الجمعة يوم عيد للمسلمين، بينما يوم الأحد فإنه عيد المسيحيين، أدرك ابن عباد وابن تاشفين سوء نيته، فاستعدا للحرب وجهزا لها ما يلزم، زحف الفانسو على المسلمين يوم الجمعة ظانا منهم أنهم غير جاهزين للمكافحة والدفاع عنهم، ولكن المسلمين كانوا مستعدين للمواجهة، فجعلوا العدو يرتد على أعقابهم، ولم يتركوا أحدا

---

[1] سورة غافر، الآية: ٥٠.

[2] وفيات الأعيان، لمحمد بن ابي بكر بن خلكان، ص: ١١٦/٧.ت ط: ١٣٦٤هـ، مطبعة امير قم إيران.

[3] نفح الطيب، للمقري، ص: ٣٦١/٤.

منهم حيا أو حرا طليقا بل إنهم اقتحموا أهوال الحرب بشدة وبأس لنيل المجد والكرامة للمسلمين والحفاظ على العقيدة الإسلامية.

وبعد هذه الجولة المقدمة في البحث توصلت إلى أن الأحداث المتناثرة في الرواية معظمها يتطابق التاريخ، وقد عبّر الكاتب بريشة قلمه عن ضمائر تاريخ الإسلام والمسلمين، وسهل طريقا للجيل الصاعد أن يستضيء به طريقا إلى الرقي والحضارة والتقدم والأمام. وذكر في تضاعيف رواياته ولاسيما في روايته؛ يوسف بن تاشفين دور الشباب ووقوفهم الصامد ضد الظلم مثل سعد وأحمد وحسن، وأنه لم يضع الرواية يتمركز حول شخصية واحدة بل تركها تسير على طبيعته، هنا يتميز أسلوب نسيم حجازي من أقرانه، لأن كثيرا منهم يقصرون التاريخ في شخصية واحدة فكأنها هي التي تدير التاريخ وتحركه، ويجهل ذلك الأسلوب المنمق شخصيات أخر لها دور هام في تحييز الكيان التاريخي، ولكن الكاتب الأسمى نسيم حجازي لم ينس أحدا من أبطال الأمة الإسلامية الذين أناروا الطريق السويّ للناشئين.

الفصل الثالث:

أبعاد الشخصيات وأنواع الصراع والنسيج اللغوي في كل من الروايات

المبحث الأول:

- ◊ أبعاد الشخصيات وأنواع الصراع في كل من الروايات

المبحث الثاني:

- ◊ النسيج اللغوي (السرد والحوار ومدى مناسبة اللغة بالشخصية والمواقف)

الفصل الثالث: المبحث الأول
أبعاد الشخصيات وأنواع الصراع في كل من الروايات

يُعَدُّ التاريخ الإسلامي المصدر الأساسي للرواية التاريخية الإسلامية، وكل رواية إسلامية تستفيد في تجسيد كيانها من التاريخ الإسلامي، ومن أجل ذلك أرى أن كتّاب الرواية التاريخية الإسلامية يستفيدون من تاريخ المسلمين العريق واعتمدوا عليه في عرض قضايا الرواية وأحداثها التي تتعلق بالدين والمجتمع والفكر والعقيدة والسياسة وهلم جرا... إلا أن أسلوب العرض يختلف من كاتب إلى كاتب ومن مؤلف إلى مؤلف آخر، وقد يكون هذا العرض في غاية الجودة والدقة والأمانة، خاليا من التصرف والتعصب والتعسف.

تكتسب الرواية التاريخية الإسلامية أهمية قصوى من أجل ارتباطها العميق بالتاريخ الإسلامي والأحداث التي وردت في التاريخ، ثم يكتسب هذا النوع من الرواية أهمية بالغة من خلال عرض تلك الأحداث الصادقة بكتابة فنية محكمة الرصف أحسنَها الكاتبُ وأتقنَها وأجادَها فتقاربت المعاني وانتظمت الأساليب واستوت الأفكارت، "وهنالك مقاييس نقدية عامة متفق عليها في هذا المجال، من أهمها وجوب مراعاة صحة دلالة الحدث التاريخي بحيث تسلم أحداث التاريخ من التحريف

والتغيير في أصل روايتها. وهنا يوجد تفاوت الكتاب في مدى قدرتهم على مراعاة حقائق التاريخ والمواءمة بينها وبين الجانب الخيالي في العمل الروائي." [1]

وجرجي زيدان يُعَدُّ من الأوائل الذين كتبوا روايات تاريخية مأخوذة من التاريخ الإسلامي العريق، بل ثمة من النقاد الكثيرين الذين اعتبروه رائدا للقصة التاريخية الإسلامية في العالم العربي.

"إن جرجي زيدان كاتب متعدد المواهب، وباحث أصيل في التاريخ والأدب، ولكن يتميز بكتابة الرواية التاريخية بحيث يتسم مكانة الريادة فيها وفى تاريخ الأدب العربي الحديث. فقد أصدر اثنتين وعشرين رواية ما بين عامي ١٨٩١ و١٩١٤. تسجل احداثا من تاريخ العرب والمسلمين منذ عصر ما قبل الإسلام حتى العصر الحديث." [2]

ثمة علاقة جدلية بين الفن والتاريخ "فالفن مادة من مواد التدوين التاريخي والتاريخ بدوره يشترك مع الفن في دعاماته الثلاث:

١. الانسان ٢. والزمان ٣. والمكان

فإن الفن يجد لنفسه الوحي والإلهام في أحداث التاريخ وهنا نجدان الفنّان لذي

---

[1] وقفة مع جورجي زيدان، للدكتور عبد الرحمن العشماوي، ص: ٩، ت ط: ١٩٩٣م، مكتبة العبيكان الرياض. وانظر كذلك: كتابات جرجي زيدان، دراسة تحليلية في ضوء الإسلام، للدكتور محمد الصاوي، الطبعة الأولى :٢٠٠٠م، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع.

[2] الفن القصصي في الأدب المصري الحديث، لمحمود حامد شوكت، ص: ١٣٨، دار الفكر العربي. (ب ت)

يستلهم التاريخ في إبداعه الفني يتخذ من الأحداث التاريخية المجردة نواة ينطلق منها خياله، ينسج حولها من رؤيته ورؤاه الإبداعية." [1]

فإن جورجي زيدان ومعروف الأرناؤوط وعبد الحميد جودة السحار يعدون من كبار الكتّاب الحداث للرواية التاريخية الإسلامية، ولكل من هؤلاء أسلوب محكم البناء، محلى بالرشاقة والأناقة، ولذلك تتكرر أسماء هؤلاء الأعلام في المصنفات العربية.

يقول كراتشو فسكي عن الرواية التاريخية:

"فالكاتب يرسم الخطوط العريضة لتلك اللوحة التي تكونت في مخيلته حول أشخاص مرموقين والوسط المحيط بهم في فترة معينة من الزمن، فتتولى موهبته الفنية مهمة نقل هذه اللوحة إلى القارئ." [2]

وكذلك "حاول رواد النهضة الأدبية أن يتخطوا بالرواية التاريخية الدور الهامشي الذي قامت به في بداية ظهورها حيث كانت من الناحية الفنية تمضي في طريق الترجمة والتمصير أو محاكاة الأشكال الفنية القديمة كالمقامات، مما حصر دورها اجتماعياً في التسلية خاصة لدي الشباب أو أولئك الذين لا تربطهم بالأدب القديم صلة قوية."[3]

---

[1] الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، للدكتور قاسم عبده قاسم، ص: ٨.

[2] الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ودراسات أخرى، لأكناتي كراتشكو فسكي، ص:٤٠، تقديم وترجمة: عبد الرحيم العطاوي، ت ط: ١٩٨٩م. دار الكلام للنشر والتوزيع.

[3] صورة المرأة في الرواية المعاصرة، للدكتور طه وادي، ص: ١٧١.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الصراع يعني مغزى الرواية، وقد يوجد ذلك في بداية الرواية مثلما نراه في روايات جورجي زيدان، وقد يكون بأنماط مختلفة مثلما يكون في بداية القصة أو الرواية أو وسطها أو في ختامها وهذا ما نجده في روايات عبد الحميد جودة السحار، وقد يكون الصراع معقدا أي؛ مبهما وغامضا، وهذا النوع من الصراع موجود في روايات معروف الأرناؤوط.

"والملاحظ أن الصراع في الرواية يكون صراعاً حيوياً. لما تحتويه عنصر دراسي يتجلى في بعض المواقف الذي يثير في نفس البطل أو الأبطال صراعاً ما يؤدي بالتالي إلى تصرف خاص أو تفكير معين." (١)

ومن مواقف هذا النوع من الصراع في الرواية الحب والخوف ومواجهة الخطر والتضحية والانتقام والجريمة وغير ذلك، هذه المعاني تقف على فهم القارئ والمتلقي.

وقد وجدت هذه الأنواع من الصراع في روايات جورجي زيدان ومعروف الأرناؤوط وعبد الحميد جودة السحار، وهنا أوضح تفاصيل تلك الأنماط بحذافيرها:

فالصراع قد يكون من أجل الخوف والفزع، عندما يشعر الإنسان بالخطر فتكمن منه مسحة في القلب ثم تكبر تلك المسحة رويدا رويدا حتى تتجسد خوفا وهلعا ثم يؤثر ذاك الخوف في نفسه حتى تكاد أن تموت.

---

١ الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، للدكتور قاسم عبده قاسم، ص: ١٠.

وفي رواية "فتح الأندلس" بطلة الرواية فلورندا كانت تخاف لذريق، لأنها كانت تحب الفونس ابن عمه، وهذا الخوف الكامن في قلبها قد أدتها إلى الفرار من القصر مع خطيبها الفونس، حيث تركها الفونس عند خالته في الكنيسة.[1]

نجد هذا الموقف في رواية "أميرة قرطبة" لعبد الحميد جودة السحار، وهنا يوجد هذا الصراع الداخلي في قلب الحَكَم المستنصر بالله خليفة الأندلس الذي بلغ من السابع والأربعين من عمره، وما كان له من الأولاد، وكان الخليفة المستنصر بالله راغبا شديدا في الأولاد ولاسيما ولدا يرث العرش والخلافة والحكم بعده، ومن هذا القلق الطارئ أخذ الخوف ينمو رويدا رويدا في قلب الخليفة حتى تحققت أمنيته أخيرا، فأنجبت له ولدا جميلا زوجتُه صبح.[2]

وهذا الصراع الناشئ من الخوف يوجد في رواية طارق بن زياد لمعروف الأرناؤوط في أماكن كثيرة، ومن تلك المواطن مثلا خوف دامية من كسيلا، حيث ذهبت إلى عقبة بن نافع لتحثه على ثأر أبيه من القائد كسيلا.[3]

فالصراع الدائر حول الحب كذلك موجود في جميع الروايات، مثل الصراع بين لذريق ملك القوط والفونس خطيب فلورندا، ولعل السبب الحقيق للصراع في رواية "فتح الأندلس" هو أن لذريق والفونس كان كلاهما يحبان فلورندا.

---

[1] رواية فتح الأندلس لجورجي زيدان، ص:١٥.
[2] رواية أميرة قرطبة لعبد الحميد جودة السحّار، ص: ١٨
[3] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص:٣٠.

وفى رواية "أميرة قرطبة" يوجد هذا النوع من الصراع بين صبيحة وأسماء بنت غالب الناصري قائد الجيش، وسبب الصراع بينهما هو "محمد بن أبي عامر"، وفى النهاية نجحت أسماء في هذا الصراع.

أمّا رواية "طارق بن زياد" لمعروف الأرناؤوط فيظهر فيه هذا النوع من الصراع بطريقة مختلفة مما تقدم، وهي: علاقة الحب بين فلورندا ومغيث الرومي، وبالرغم من تلك العلاقة الغرامية بينهما فإن حب الوطن قد تغلب أخيرا، بل بعث شعاع الأمل في قلب مغيث الرومي فنما وترعرع في فؤاده.

أمّا التضحية فإنه من أشد أنواع الصراع تأثيرا وتعميقا في القلوب، لا يصل الإنسان إلى الغاية إلا بتضحية ماله أو شرفه وكرامته، أو أولاده ونفسه، أو حبه وحبيبته فيكافح النفس مكافحة عظيمة، فالتضحية من سلالم الرقي والنمو في حياة المسلم، إنه لا يرتقي إلى العلا إلا بعد معاناته من المشقة وتَحَمُّلِه من العذاب.

وقد يظهر هذا النوع من الصراع فى روايات جورجي زيدان، ففي روايته "فتح الأندلس" نلاحظ أن بطل الرواية الفونس يقابل نارين: "فعمه أوباس كان مع طائفة العدو لذريق، بينما كان يوليان والد حبيبته فلورندا حليف طارق بن زياد، كانت نفس الفونس تستميل إلى خطيبته، وتحرص عليها وهي كانت تكره لذريق وتتمنى زوال ملكه، ولم يكن أن يتحقق ذلك إلا بفتح العرب... "[1] كان الفونس مسيحيا فاستمال قلبه إلى لذريق في أول الأمر واستقر عزمه على متابعة عمه والانضمام إلى

[1] رواية فتح الأندلس لجورجي زيدان، ص: ٢٩٢

صفوفه، وفي تلك اللحظة وصلت إليه رسالة فلورندا كانت تدعوه للانضمام إلى أبيها، وتحثه على قتل الطاغية الذي حاول هتك شرفها واغتصاب عفتها، وهنا أثرت العاطفة والمودة وعلاقة الحب في قلب الفونس فقدم تضحية لحبيبتها فلورندا وقاتل في صفوف المسلمين عدوهم لذريق وجيشه.

كذلك نجد مثال التضحية في رواية "أميرة قرطبة" في شخصية محمد بن أبى عامر الذي قاد المعارك الجمة في مرض الموت حتى مات، فقالت صبيحة عندما رآها جثته:

ويل للأندلس من بعدك يا منصور![1]

وفى رواية "طارق بن زياد" نجد مثال التضحية الكبيرة وهو: شهادة عقبة بن نافع في المعركة التي كانت مع القائد كسيلا، ويقول الروائي في ذلك:

"فلقته الأرض وعلى فمه اسم يتيم قريش وفى عينيه صورة الوطن، وفى صدره خيالة دمشق، وفى أحلامه وهواجسه ذكريات ذلك العهد الذي انقطع فيه...." [2]

وهذا الصراع الناشئ من الخوف قد يكون في الشخصية الرئيسة في الرواية، وقد يتعلق بشخصيات ثانوية فيها، وقد تنبت تلك الخطورة من ضياع النفس، أو المال أو الشرف أو الملك والحكم.

---

[1] رواية أميرة قرطبة لعبد الحميد جودة السحار، ص: ٢١١

[2] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص: ١٣٢.

قابلت فلورندا هذا النوع من الصراع، حينما التهبت نار الحب في قلبها، وكانت تشتاق لرؤية حبيبه فخافت على نفسها من لذريق الذي بدأ يحبها وهي كانت تكرهه كرها شديدا.

"أما فلورندا فلما سمعت تصريحه بالمنكر، وثبت لديها قرر الخطر، التفتت إلى ما حولها كأنها تفتش عن ضائع أو تستنجد برفيق...." [1]

نما هذا الخوف في قلب فلورندا حتى تحول في النهاية إلى القلق والتفكير.

عندما نعاود الفكر في رواية طارق بن زياد، نجد فيها هذا النوع من الصراع أيضا ولكن بلمحات مختلفة تميزه من الصراع المؤخر، مثلا حينما عرفت "دامية" عن ذهاب كسيلا للمعركة مع عقبة بن نافع، اضطربت فخافت ثم عَجِلَتْ إلى عقبة لتخبره بالواقع.

"انطلق بي إليه قبل أن يتساقط الليل، فان الموت ليخيم على هذه الأطراف حتى لقد راح خياله الكريه يجثم في كل ناحية من نواحي هذه الدسكرة، وماذا أقول لك، عن كسيلا وعن رجاله." [2]

أما رواية "أميرة قرطبة" فكانت صبيحةُ بطلةَ الرواية، يظهر فيها هذا النوع من الصراع عند اطلاع صبيحة على المؤامرة الجديدة التي كان المصحفي يقول عنها:

---

[1] رواية فتح الأندلس، لجورجي زيدان، ص: ٨٤.

[2] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص: ٦٤.

"لقد نكث الصقالبة بيعة هشام، وإن فائقا وجوذر يريدان أن يقلدا الخلافة المغيرة." [1]

وفيما أرى أن هذا النوع من الصراع يحدث في النفس رغبة وشوقا، ويثير لهفة القراء إلى الرواية.

الانتقام: أهم نمط من أنماط الصراع، ثمة روايات كثيرة تشتمل على هذا النوع من الصراع، وقد تدور الرواية كلها حول هذا النمط، كما نجد في رواية "فتح الأندلس" لجورجي زيدان أنها تدور حول انتقام فلورندا من لذريق، ومن أجل ذلك دارت الحرب بين المسلمين والمسيحيين "في رأي الكاتب".

وفى رواية أميرة قرطبة يدور معظم أحداث الرواية حول انتقام محمد ابن أبي عامر من المصحفي، وفى النهاية فاز محمد بن أبي عامر فقتل المصحفي.

أما الرواية "طارق بن زياد" فالجزء الأول منها يدور حول انتقام عقبة بن نافع من كسيلا الذي قتل والد دامية، فحَرَّضَتْ دامية عقبة بن نافع على الثأر من قاتل أبيها، استقى الكتّاب مادة رواياتهم من جميع أنواع الصراع، وقد وُفِّقَ معظَمُهم لغاية ما، وقد بدا لي مما تقدم أن جورجي زيدان هو أول من استخدم جميع أنواع الصراع في رواياته.

[1] رواية أميرة قرطبة، لعبد الحميد جودة السحار، ص: ١٢١.

أنواع الصراع في الروايات الأردية:

بدأ تطور الأدب الأردي ثم حذا حذوَه الأدب الروائي عام ١٨٥٧ الميلادي، وهذه السنة لها أهمية بالغة في تاريخ شبه القارة الهندية، ولاسيما عندما بدأت المعركة العنيفة بين السكان والاستعمار الإنجليزي، ثم أثرت هذه الحوادث بالمجتمع، وظهرت في صورة الأدب، وخاصة بالأدب القصصي، أذكر ههنا بعض النماذج منه.

أولاً: كتب مولوي نذير أحمد قصصا اجتماعية، ونالت قبولا واسعا بين الناس مع أنه ما كان ملما بفن التأليف الروائي:

"لقد كان الإصلاح والوعظ والإرشاد من مبادئه الأساسية ولكن عندما كبرت بناته لم تكن هناك أية كتب بالأردية تساهم في تعليمهن الدروس الأخلاقية والعلوم المنزلية بشكل مشوق لذا قام مولوي نذير أحمد بابتداع قصة لتطالعها بناته وعندما أكمل جميع فصول القصة قام يجمعها على شكل رواية (مرآة العروس)." [1]

ثم تلاه عبد الحليم شرر، فكان ملما بالتأليف الروائي، وتناول مواضع جديدة من الرواية وقام بنسجها وصياغتها، فنالت أعماله شهرة عظمى بين الناس، فكان لعبد الحليم باع طويل في كتابة الرواية التاريخية، وكان بارعا في تأليف القصة كما كان نسيم حجازي، حصلت روايات هؤلاء الروائيين جميعهم على دعاية كبيرة عند القراء، عندما يبدأ القارئ إحداها لا يترك دون أن يكملها لبراعة أسلوبها، أوضح فيما يلي أنواع الصراع في الروايات الأردية:

---

[1] ماهي الرواية، لمحمد أحسن فاروقي، المقدمة، ت ط: ١٩٧٠ لاهور.

فتح الأندلس لعبد الحليم شرر: بدأ عبد الحليم شرر روايته "فتح الأندلس" بلقاء عيسى بن مزاحم مع القائد العسكري الإسلامي والإفريقي موسى بن نصير للإغارة المشتركة على سبتة، ثمة استمال قلب عيسى بن مزاحم إلى ابنة يوليان فلورندا متأثرا بجمالها وحسنها وبهائها، وهذا الصراع قد أشعل نار الحب في قلب عيسى بن مزاحم، لأنه رغب في تولى هذه المهمة من أجل نيل الفتاة، وهذا الأمر قد دفع يوليان إلى إرسال ابنته إلى لذريق ملك إسبانيا في طليطلة بالرغم من علمه بطبيعة لذريق القذرة.[1]

بعد هذا الصراع الرئيس توجد ثمة صراعات أخر تسير الحوادث على مساراتها... وفي رواية "يوسف بن تاشفين" لنسيم حجازي تولَّد هذا النوع من الصراع في قلوب الملوك الطوائف من أجل الخوف على الحكم والملك والنفس من الفانسو السادس الذي كان يريد إغارة قاضية على الأندلس كلها، ولعل ذاك الخوف والفزع قد حَرَّضَهُمْ على دخول يوسف بن تاشفين في الأندلس لإحكام مقاليد أبواب الحكم فيها... أما رواية "في معتقل دمشق" لعنايت الله التمش فظهر هذا الصراع فيها منذ البداية، لأن الخليفة سليمان بن عبد الملك كان يخاف أبطالَ المسلمين مثل محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم وموسى بن نصير على حكمه، فبعث إليهم رسالة العودة لإلقائهم في السجن.

[1] تاول فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ص: ٤٥

فالصراع الذي كان يدور حول الحب والغرام يوجد في جميع الروايات إلا أن تلك القصص الغرامية المزيجة بالأحداث التاريخية تميزها عن التاريخ، وجد هذا الصراع بين فلورندا ومريم في رواية عبد الحليم شرر، لأن مريم حينما وصلت إلى سبتة فانخدع عيسى بن مزاحم فوقع قلبه في الحب وسُلِبَ منه لانغاشاشه بمظهرها الجميل، إنه ظنها فلورندا، ولكن عندما عادت فلورندا رآها عيسى بن مزاحم متحيرا ثم تمتم في نفسه قائلا: أهذه فلورندا أم تلك؟!ثم استقرعلى الأولى بأنها هي فلورندا..[1] وفي رواية يوسف بن تاشفين برز هذا النوع من الصراع بين سعد وأمير رشيد، وسبب هذا الصراع هو الحب العالق بالفتاة ميمونة أخت إدريس.

وفى معتقل دمشق ظهر هذا الصراع بين هنري ولذريق، لأن هنري كان يحب بنت قائدِ جيشِ يوليان، وفى النهاية نجح هنري في الصراع بعد مقتل لذريق.

وفي رواية "يوسف بن تاشفين" مر سعد بصراع شديد بسبب مواجهته من الأخطار والتضحيات والصراع النفسي والانتقام، إنه واجه المخاطر بعد أن كتب قصيدة في مدح رميكية وبعثها إليه، فدعته رميكية إلى القصر، جاء سعد فألقى أمامها خطبة رائعة وخطب بها خطابا قاطعا أمام الملك دون خوف ورجاء...قدّم سعد التضحية للأندلس، عندما ذهب بنفسه إلى المغرب، وذكر أمام يوسف بن

[1] ناول فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ص: ٢٠٢

تاشفين أحوال الناس في الأندلس فرَقَّ قلبه، وعده يوسف بن تاشفين بالمجئ إلى الأندلس مع جيشه الجبار...[1]

ذكر الروائي نسيم حجازي صراع الانتقام في المعركة، انتقم سعد وحسن وإدريس من المسيحيين فقتلهم بسيوفهم المسلولة.

هذه الأنواع من الصراعات كلها قد توجد في رواية "فتح الأندلس" لعبد الحليم شرر، وفي رواية "في معتقل دمشق" لعنايت الله التمش، فالتضحية في هاتين الروايتين ترتبط بخيوط تضحية مريم التي قدمت نفسها لابنة خالتها فلورندا التي كانت تحب عيسى بن مزاحم.

وفي رواية "في معتقل دمشق" هذه التضحية تكون من قِبَلِ هنري الذي ضحّى بالنفس، وقدّم حياته وأغلى ما يملك دون مقابل، وشارك في المعركة، وحارب العدو محاربة حيث قضى فيها حياته لنيل أماني الناس العالقه به وللحصول على أهدافه السامية.

أما الجريمة فإنها أحد أنواع الصراع الروائي، ففي الروايات الأردية يوجد هذا النوع من الصراع، وقد عزا عبد الحليم شرر كثيرا من أحداث روايته بطريقة منطقية إلى بعض الشخصيات، مثل جريمة قتل سليمان بن عبد الملك عظماء الجيش وكباره حيث جلب قواده الكبار أمثال محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم وموسى بن نصير

[1] ناول يوسف بن تاشفين، نسيم حجازي، ص:٢٥١

من البلاد المفتوحة إلى عاصمة العرش ثم دبر قتلهم، وهي الجريمة نفسها التي توجد في رواية "في معتقل دمشق" لعنايت الله التمش.

وهذا النوع من الصراع لا يقف عند هذه الشخصيات بل إنه يجتاح الحدود فنجده في شخصيات أخر للرواية مثل شخصية موسى بن نصير، وفلورندا، وطارق بن زياد، ويوليان، ولذريق، وهنري، وعيسى بن مزاحم، أولئك الأبطال كانوا عدة صراعات ينبعث بعضها من الصراع النفسي، ويندفع بعضها من الصراع الخارجي، باتت هذه الروايات التي نحن بصددها في الرسالة مركز تلك الصراعات المتميزة.

أبعاد الشخصيات في كل الروايات:

فيما عُلِمَ أن الشخصية لها دور هام في بناء الرواية، لأن الأفكار تتمركز حولها، والمعاني تتمحور حولها، والأحداث تدور حولها، فكأن الشخصية هي التي تدير خطوط الرواية، وتحرك أحداثها، وتجعل بعضها فوق بعض للربط المحكم بينها. يختلف الروائي عن المؤرخ في موقفه من الشخصيات، فالمؤرخ يتعامل مع الشخصية في إطار العادات والتقاليد والبيئة والظروف السياسية والاقتصادية، بينما الروائي فيخوض داخل الشخصية ويعالجها في إطار الانفعالات والأحلام والهواجس النفسية.

ولكل شخصية في الرواية ثلاثة جوانب، وتسمى تلك الجوانب بـ "أبعاد الشخصية"... ويقول حسين القباني بصدد شرح تلك الجوانب: "وهو منقول عن كلمة أجنبية، يقصد بها جوانب الشخصية الثلاثة، التي تتكون منها وهي: الجانب

الخارجي والجانب داخلي والجانب الاجتماعي. وهذه الجوانب في القصة، تحتاج بلا جدال إلى حرفية قصصية." [1]

هذه الجوانب كلها موجودة في الروايات التي أمضت مناط هذه الرسالة، فكل شخصية من تلك الشخصيات ثالوث؛ أي أن تلك الشخصية مكونة من الجانب الشكلي/الجسمي والنفسي والاجتماعي، وفيما يلي أستشهد بأمثلة من الروايات موضحة تلك الأشكال.

البعد الاجتماعي:

"نجد فيه محاولة للفت النظر إلى مركز الشخصية وموضعها من الناحية الاجتماعية. سواء كان هذا الموضع رفيعا عظيما، أو كان موضعها دنيئاً سافلاً، أو موضعا مرتبطا بمهنة معينة تحدد مركز صاحبها ومكانته في الحياة." [2]

والبعد الجسمي:

"فيرسم أوصاف الشخصية من الخارج، طولاً أو قصراً، بدانة أو نحافة، كما يصف لون البشرة وملامح الوجه وما إلى ذلك من خصائص خلقية مميزة." [3]

البعد النفسي:

"يصور الكاتب فيه تصوير عواطف الشخصية وطباعها. وطريقة تفكيرها وتصرفاتها وورود فعلها تجاه المواقف المتعددة." [1]

---

[1] فن كتابة القصة، لحسين القباني، ص: ٧٠، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. (ب ت)

[2] القصص في الحديث النبوي دراسة فنية موضوعية، للدكتور محمد بن حسن الزير، ص: ٢٩٧، ت ط: ١٩٨٥م، الرياض.

[3] القصة والرواية، للدكتورة عزيزة مريدن، ص: ٢٩.

ففي هذا البعد تؤثر الحركة الداخلية للشخصية بالمواهب والقدرات الذاتية كما يحدث ذلك في الرواية المونولوجية.

يعتبر جورجي زيدان الرائد الحقيقي لهذا الفن (الرواية التاريخية)، فاستخدم تلك الأبعاد بجملتها في رواياته بأساليب رائعة.

قدَّم جورجي زيدان فى روايته "فتح الأندلس" الحُلْمَ كوسيلة ناجحة للإيحاء، جعل مركزها البعد النفسي لدوره الفعال في تجسيد ذاك الإيحاء، وهذا الحلم يمثّل صورة موحية بالصبر والحزن والكآبة والشجو والاضطراب والخوف والرجاء والأمل، إنه يحتاج في تفسيره وتوضيحه إلى كثير من العناء والتعب والمشقة، وشخصية فلورندا تمثّل أنبل النماذج لذلك، لأنها كانت تشعر بالمخاطر تجاه نفسها ونفس حبيبها ألفونس وتخاف الملك لذريق عليه.

"فقد رأت في نومها أن ألفونس قادم نحوها ووجهه يفيض نورا، وأهبت أن تقبله فلم تستطع، فانزعجت وأفاقت وهي منقبضة النفس." [٢]

وبعد استيقاظها من النوم أخبرت خالتها عن حلمها.

أما رواية "أميرة قرطبة" فاجتمعت هذه الأبعاد كلها في شخصية صبيحة، حيث وقعت بين فج عميق، وما استطاعت أن تنقذ نفسها من ذلك خوفا من الحالة

---

[١] المرجع نفسه.

[٢] رواية فتح الأندلس، لجورجي زيدان، ص: ٣٧.

الراهنة والماضي السحيق، خشيا على نفسها من المجتمع الذي يقدرها تقديرا خاصا، ويعرف ماضيها، وبالرغم من ذلك أخذت تنمو علاقات الحب والوداد في قلب فلورندا فاتّقد ما دامت نيران الحب والمودة تضطرم وتهيج وتشتد، وبخاصة كلما كانت تقترب من ابن أبي عامر تتذكر بما كان يدور بينهما. ومن أجل ذاك الماضي كانت تخاف إفشاء ضمائرها.

"وتكاد تفقد نفسها، وترتمي في أحضانه، وتلثم في نهم شفتيه اللتين أطبقتا على شفتها في المنام، ولكنها انتبهت فجأة وإذا بزاجر قاس يتحرك في أغوار نفسها فينهاها في قسوة، فابتعدت عنه، ولم تستطع أن تمكث بقربه أكثر من ذلك." [1]

إن صورة محمد ابن أبي عامر في "الحلم" تؤثر في نفس صبيحة، فصبرت على بأسه، وتحمّلت شدتّه ولكنها ما استطاعت فِعْلَ شيء بصفته زوجة للخليفة، وأميرة أو حاكمة للدولة الأندلسية، كلما كانت الهواجس تخاتلها وتخاطرها تزجرها نفسها.

أما رواية "طارق بن زياد" لمعروف الأرناؤوط فظهرت أبعاد الشخصية فيها أيضا، مثلا عندما ماتت والدة عقبة بن نافع فأصبح حزينا كئيبا، وفي لحظات الاحتضار كان البعد النفسي تؤثر به، لأن القائد عقبة بن نافع كاد أن ينطلق من دمشق إلى قارة إفريقية، فنظرت إليه أمه ثم:

---

[1] رواية أميرة قرطبة، للسحار، ص: ٤٣.

"قالت له وهو ينزع إلى تقبيل قدميها، امض لشأنك فالله الذي افاه على محمد نوره في غار حراء تزيدن في ملك هذا اليتيم، وتفتحن فتحا لم يبلغه واحد من قبلك، ثم رفعت صوتها وغنته انشودتها كرة أخرى وانشئت قائلة: سيحتويك القفز يا بني..."[1]

قضى عقبة بن نافع فترة طويلة في إفريقية، ذات يوم سألته دامية: أين أمك؟ أهي معك يا سيدي؟ ظهر ههنا البعد الجسمي الذي ترتب عن المونولوج الداخلي "أتبكي يا سيدي؟" فما استطاع إخفاء ما به فأجهش باكيا، سمعت دامية زفيره وشهيقه، فقالت له: هل ماتت أمك يا سيدي؟" [2]

رسم الروائي هذه الأبعاد بصورة جميلة، تبدو فكأن القارئ يحس بنفسه هذا الألم.

أمّا الروايات الأردية:

إذا أمعنا النظر في روايات عبد الحليم شرر ونسيم حجازي وعنايت الله التمش نجد أنهم لم يهملوا أي جانب من جوانب تلك الأبعاد الثلاثة، إنهم صاغوا رواياتهم على أنماط معروفة واستفادوا من هذه الأبعاد في تصوير المناظر وتجسيد الصور والأشكال.

نرى في رواية "فتح الأندلس" لعبد الحليم شرر أن عيسى بن مزاحم هو بطل الرواية حيث تدور معظم الأحداث حوله، وعندما تصل أخبار توجيه الهجوم عيسى

[1] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص:٣٢.
[2] المرجع السابق، ص: ٤٦ .

بن مزاحم وشن الغارة على سبتة إلى يوليان علم حينئذ أن عيسى بن مزاحم قد تأثر بكثير من ابنته فلورندا، ولعله من أجلها نوى الإغارة على سبتة فأرسل ابنته إلى قصر لذريق ليحافظ عليها من العدو، ولكن لذريق حاول اغتصاب شرفها وبعث الخطاب إلى يوليان حضه فيه أن يشن الغارة على إسبانيا... ومن ثمة جاء الروائي بتشخيص البعدين؛ الداخلي والنفسي في قلب يوليان، فتصنع حقدا وكرها أمام زملائه والمجتمع لما قام به لذريق بمناصرة المسلمين في الحرب التي دارت رحاها بين المسلمين وعدوهم المسيحي لذريق.

ذكر الروائي البعدَ الجسميَّ للشخصيات في عدة مواضع نحو دخول فلورندا في ميدان الحرب بزي الرجال... [1]

أما رواية "يوسف بن تاشفين" لنسيم حجازي، فليس ببعيد أن يقال بشأن شخصيات هذه الرواية أنها ليست مثالية بل إن معظمها كانت حقيقية، وبالرغم من ذلك إن الروائي جاء بأدوار مثالية لتلك الشخصيات ولكنها لا تتناقض ولا تتصادم مع الأدوار الحقيقية في التحام الوقائع والأحداث، وكذلك أخذ الروائي نسيم حجازي شخصيات عادية أو شعبية مثل شخصية إدريس وميمونة وحسن وسعد وعبيدهم، ثم صنع لها أدوارا لعلها لم تكن في الواقع تشويقا للقارئ وبث الشوق والرغبة والنزهة في النفس.

---

[1] رواية فتح الأندلس، لعبد الحليم شرر، ص: ١٣٥.

مثلا جعل الروائي شخصية سعد كإنسان عادي/شعبي، وبالرغم من ذلك إنه وصفها بميزات وصفات لم تكن توجد في شخصيات أخرى، لأن تلك الصفات لم يكتسبها سعد بل إنه ورثها كابرا عن كابر نحو الشجاعة، وحب العمل، والجد والاجتهاد، والجهاد والمجاهدة. وطأ الروائي تلك الصفات الموروثة بذكرى حياة عبد المنعم والد سعد الذي جاهد فاعتقل في الختام ثم صوَّر الكاتبُ البعدَ الجسميَّ له موضحا تباشير وجهه، بأنه كان حسن الوجه، وكان وجيها، وذا رعب ووقار وشهامة، وكانت له شوكة وقوة وبأس بين الأقران، ثم تعرض للأبعاد الداخلية أيضا من خلال تصوير صفات رمزية ليس لها تجسيم ولا تجسيد، مثلا لم تكن فيه أنانية، ولا كبر وغرور، وما كان يفكر في طرد الآخرين وإذلالهم بل إنه كان دائما يحب إسعاد الآخر وإجلاله، فما كان يحقد ولا يظلم، بل عزم الجهادَ ضد الفانسو السادس.

أما الرواية في معتقل دمشق لعنايت الله التمش فذكر فيها تلك الأبعاد بصورة أكثر وضوحا، وخاصة حينما ذكر قصة استوريا بنت مظلومة أمام لذريق صوَّرها فكأنها واقعة تضرب ضربات متوالية في أعماق القلب، وتدق دقات متتابعة تملأ القلب بشعور اجتماعي ونفسي، لأن لذريق بعد أن سمع تلك القصة قام بقتلها من الفور، لأنها قالت أخيرا: "ستجري الحُصُنُ في دولتك" (أي: تسيطر عليها) [1] لم يصبر لذريق على جهر الحق أمامه، واعتبره بلاء لا يستطيع مقاومته، ثمة يبدو البعد النفسي في صورة المونولوج الداخلي، فخاف لذريق من هذا الصوت الحقيق، ثم

[1] رواية في معتقل دمشق، لعنايت الله التمش، ص: ١٢٠.

ظهر هذا الصوت في صورة البعد الاجتماعي عندما دارت رحى الحرب بين المسلمين ولذريق، فهزم هزيمة كاسحة وغرق في الماء حيث انهار حكمه وضاعت دولته، أمّا البعد الجسمي فذكره الروائي لجميع الشخصيات الواردة في الرواية بالتفصيل.

"والأشخاص في القصص بعامة نوعان: ذو والمستوي الواحد، ثم الشخصيات النامية، والشخصية ذات المستوى واحد هي الشخصية البسيطة في صراعها، غير المعقدة، وتمثل صفة أو عاطفة واحدة، تظل سائدة بها من مبدأ القصة حتى نهايتها، ويعوزها عنصر المفاجأة، إذ من السهل معرفة نواحيها إزاء الأحداث أو الشخصيات الأخرى." [1]

يمكن ههنا أن تقسّم تلك الشخصية في الرواية من حيث الموقف على نمطين: النمط الإيجابي أو الشخصية الإيجابية، والنمط السلبي أو الشخصية السلبية، فكلا النوعين من الشخصية يضفيان دلالة خاصة على الشخصيتين؛ الإيجابية والسلبية، وفي رواية "فتح الأندلس" لجورجي زيدان جاءت شخصيات عديدة، فمنها مثلا: شخصية "فلورندا" وهي من أبرز الشخصيات في الرواية، كانت فلورندا فتاة في عِزّ شبابها من الطبقة العليا، وكانت تعيش مع أبيها يوليان حاكم سبتة، ثم بعثها أبوها إلى قصر الملك في طليطلة حسب العادة المألوفة لدى الحكام والأمراء لتمارس فلورندا حياة الحكام، وتألف مواكبة الموضة ومتطلبات العصر،

[1] النقد الأدبي الحديث للدكتور غنيمي هلال، ص: ٥٢٩، دار النهضة مصر للطبع والنشر الفجالة القاهرة. (ب ت)

وتتربى في كنف عيش رغيد، عيش له اسم سوى الحكم والسلطان، ولكن حينما رآها لذريق ففتّنه جمالها وأعجبه حسنها واستهواه بهاؤها وولهته روعته وأدهشته فتنته وأذهبت عقلَه نضارته وسحرته براءته وطيبته وإشراقه، مال قلب لذريق إليها، وما استطاع كبح جماح الشهوات والعواطف، وحاول أن ينال رضاها ولكنها استعصت عليه، فعاندته، وخرجت من طوعه، واعتصمت بالعفة، ثم امتنعت عما لا يحل لها قولا أو فعلا حرصا على دينها ووفاء لخطيبها ألفونس... هنا بدت فلورندا فكأنها درة يتيمة متصفة بالبراءة والتدين، وظهرت شخصيتها شخصية إيجابية تقهر الرغبات الدنيوية من أجل القيم والمثل والخلق: "... على أنها لم تر خيراً من الرجوع إلى العزاء الأكبر وهو الدين فقالت: توكلي على الله فهو الذي انقذك في المرة الماضية وسوف ينقذك الأن. وما ذلك على الله بعسير." [1]

ظهرت كذلك شخصية دامية في رواية "طارق بن زياد" لمعروف الأرناؤوط شخصية إيجابية متدينة، حيث جاءت مرات إلى عقبة بن نافع لتحثه على طرد حكم كسيلا وشن الغارة عليه وقهر كفاحه ونطحه عن المكابرة والسلطة وإخراجه في ذل وانكسار لكونه قاتل أبيها.

أما شخصية ألفونس في رواية "فتح الأندلس" لجورجي زيدان فظهرت كمحب إحدى الفتيات؛ فلورندا، كان ألفونس شابا قوطيا، وكان يحب فلورندا حبا شديدا

[1] رواية فتح الأندلس، لجورجي زيدان، ص: ٨٩.

فيعمل من أجل إرضائها حتى لحق بالمسلمين في المعركة العنيفة، وفي النهاية نال حبيبته فتزوجها...

وفي رواية "طارق بن زياد" لمعروف الأرناؤوط شخصية عقبة بن نافع أيضاً شخصية إيجابية تدور حول محور واحد، وتتمركز حول مستوى واحد، ألا هي المحارية والمقاومة ضد الباطل، صارح العَدُوَّ بالحق، وجاهره بالعداوة دون خوف وهلَع.

تمثل الشخصية اليهودية في رواية "فتح الأندلس" لجورجي زيدان طرازاً خاصاً من العبقرية، حيث ضحَّت تلك الشخصية نفسها للثبات على العقيدة، وبالإضافة إلى ذلك فإن الروائي قد أبرز الدور اليهودي في فتح الأندلس، فكأن اليهود لولم يساعدوا المسلمين لما استطاعوا أبدا بقيادة طارق بن زياد عبور البحر إلى إسبانيا، ولعل الكاتب قد بالغ في هذه النقطة التاريخية التي يرفضها العقل والتاريخ معا.

تناول الروائي قد تناول شخصيات شتى يمثل كل منها دورا يؤثر بالقارئين والسامعين، بينما الشخصيات الإسلامية أو الأدوار الإسلامية أو ما تلعب دورا أساسيا من المنحى الأساسي للأدب الإسلامي فإنها غائبة عن ذاكرة الرواية بل القارئ يواجه صعوبات فكرية أثناء قراءة الرواية من هذه الناحية، حتى جاء ذكر طارق بن زياد في الثلث الأخير من الرواية، ظهرت شخصيته في هذا الجزء القصير كشخصية عابرة أو سطحية خلال خطبة ألقاها أمام الجيش أو ظهرت شخصيته في بعض المشاهد الهامشية التي لا قيمة لها من الناحية الفنية، مثل المشهد الذي تمثل

بوجود يوليان وألفونس وفلورندا وبدر أوباس في مجلس واحد لتصفية بعض المواقف، وهي المشكلة ذاتها التي ظهرت في رواية "طارق بن زياد" لمعروف الأرناؤوط، فوضع اسم روايته "طارق بن زياد" مع أن طارق لم يكن بطل الرواية بل أخذت الرواية مسحة من الشجاعة والقوة والمقدرة والشهامة في صورة البطل عقبة بن نافع ومغيث الرومي، أما شخصية طارق بن زياد فلم تظهر إلا في أماكن قليلة مما يدل على ضعف الحبك والسبك.

وشخصية مغيث الرومي في الرواية شخصية إيجابية تتخذ لها وجودا من لحظة لأخراها في بنود الرواية.

أمّا رواية "أميرة قرطبة" لعبد الحميد جودة السحار فقد كثرت فيها شخصيات وتنوعت حسب دور ومهمة ووظيفة وسلوك، فشخصية الحكم بن الناصر شخصية إيجابية وبالرغم من ذلك فقد ظهر فيه نوع من الضعف وهو حبه الشديد والوله العصيب للزوجة، ووصف الكاتب هذه المحبة:

"كان يذوب أمامها كما يذوب الشمع إذا سلطت عليه النار." [1]

أما الشخصية التي حظيت بحُظْوَة وتمتعت بالاحترام من خلال الوصف الخارجي هي شخصية محمد بن أبى عامر الذي كان من عامة الناس، متواضع الحال، يجلس أمام قصر الزهراء فيكتب للناس مطالبهم وشكاواهم أصيبوا بها من

---

[1] رواية أميرة قرطبة، للسحّار، ص: ٩٨.

أجل قسوة الدهر أو أولياء النعمة ليتقدموا بها إلى الحاكم أو الحاجب أو الخليفة، وكان محمد بن أبي عامر يتمنى دخول القصر ليصل إلى مبتغاه، فالرواية قد رسمت شخصيته بأنها:

"تبدو جذابة وبخاصة للنساء. وهذا ما برر اختيار صبيحة له ليكون كاتبا بالقصر فهو لبق وله "شخصية الطاغية، وحسنه البارع، الذي تهفو إليه قلوب النساء". [1]

هذه مسحة إيجابية لشخصية محمد بن أبي عامر، ولكن عندما قام بقتل المغيرة للبغية التي كان يختفيها في صدره فظهرت للناس منه شخصية سلبية.

وهناك شخصية أخرى وهي شخصية جعفر المصحفي رئيس الوزراء، كان المصحفي شخصا سطحيا، لأن جميع المحاولات التي قام بها تعبر عن رغبته الشديدة في المنصب والوزارة والرئاسة، فكأن جعفر المصحفي كان آلة تحركها العواطف فتستدير حول الرغبات، كانت الرغبة في المنصب تبعث فيها حركة ونشاطا، وما كان يعمل لصالح الشعب بل يفكر ويعمل في صالح نفسه.

أما المرأة فهي أفضل الشخصيات من حيث التصوير الفني، هناك شخصيتان بارزتان: أولاهما: صبيحة، والأخرى: أسماء بنت غالب. كانت شخصية صبيحة إيجابية، لأنها كانت تعمل لصالح الشعب، أما شخصية أسماء فكانت سطحية، لم

---

[1] رواية أميرة قرطبة، للتختار، ص: ٢٥.

يكن لها دور فعال في الشعب، بل كان مسحة من الفن والصياغة لم تظهر إلا من أجل علاقتها الودية والزوجية بمحمد بن أبي عامر، فلم تعمل للشعب، ولم تلعب دورا رائدا في مجال ما مع أنه كانت له كفاية في المال والغنى والشهرة والقوة والجاه والشرف والسؤدد.

الروايات الأردية:

تنقسم الروايات الأردية من حيث الموضوع على نمطين أو مسارين، الأول: "مسار الخير والوفاء والتاريخ، هذا المسار له دروس وعبر في الحياة، أما الآخر: فإنه مسار شر وفساد وزهق وإرهاق، فلم تنتج الروايات التي سارت مسار الشر خيرا ولاسيما الروايات التي تناولت وقائع الفساد والاستبداد والاضطراب والخلل، إنها لم تحظ بالقبول لدى القراء، أما الروايات التي سارت مسار الخير فإنها تعني التاريخ أي الأحداث التاريخية، هذا النوع من الروايات ينمّي العقل وينتج ذكاء الشعور،"[1] فالكتّاب حينما بدؤوا كتابة الرواية التاريخية بينوا أثناء هذا الصنف من الأدب حالة شبه القارة الهندية، ولاسيما ركزوا على فترة تقسيم الهند وأفادوا من الأحداث السابقة واللاحقة التي أنتجها ذاك التقسيم، ثم تناولوا بما مضى بالمسلمين وغيرهم في شبه القارة الهندية، وما مر بالمسلمين وغيرهم من المهاجرين إلى شبه القارة الباكستانية.

وعبد الحليم شرر هو أول من ركز على التاريخ، ولاسيما كتابة الرواية عن الأندلس ضالة المسلمين، وكتب نسيم حجازي عن الأندلس أيضا، ولكن نسيم

[1] داستان سی افسانی تک،لوقار عظیم ،ص:۱۷۰

حجازي تناول تاريخ الأندلس من منحى آخر غير المنحى الذي سار به عبد الحليم شرر من قبل، فلم يذكر نسيم حجازي الفتح والفتوحات التي قام بها قواد الجيش الإسلامي في الأندلس قبل دخولهم بها أو بعده، إنه ركز على أحوال المسلمين في الأندلس التي كانت تلمع في الخارطة كدر يتيم أصيب، إنه اعتبر تلك الفترة من الفترات الذهبية للمسلمين.

اشتملت رواية "فتح الأندلس" لعبد الحليم شرر على شخصيات عديدة، نحو فلورندا ويوليان وطارق بن زياد وموسى بن نصير وعيسى بن مزاحم وعبد العزيز بن موسى ولذريق.

وصف عبد الحليم شرر الفتاة فلورندا قائلا: "كانت صغيرة السن، في ريعان شبابها، كان عمرها يتراوح ما بين أربع عشرة سنة وخمس عشرة سنة... " [1]

ظهرت شخصية فلورندا في روايته كشخصية إيجابية، كاملة الأوصاف، جهيرة الصوت عند الدفاع عن نفسها، رفيعة المكانة عند الشرف والسؤدد، جريئة في الحديث عن الحق والعفة، حتى رفضت فلورندا طلب لذريق.

وفى رواية "في معتقل دمشق" لعنايت الله التمش أمضت شخصية هنري محورية ورئيسة رادت التاريخ، هذه الشخصية ما كانت حقيقية بل إنها كانت من صنعة مَخَيِّلَة الكاتب أو الروائي، أما الشخصيات الأخر مثل فلورندا، ويوليان،

[1] رواية فتح الأندلس، لعبد الحليم شرر، ص: ٢٥.

وموسى بن نصير، وطارق بن زياد ومغيث الرومي ولذريق وغير ذلك، فكلها كانت موجودة في الواقع ولكنها لم تكن شخصيات رئيسة في حدود هذه الرواية.

وصف عنايت الله التمش شخصية فلورندا أيضا بما وصفها عبد الحليم شرر في روايته السابقة، ولكن التمش قد زادها صفة لم يذكرها شرر في روايته، وهي مهارة فلورندا في الفروسية.

ومن الشخصيات الهامة في رواية عبد الحليم شرر هي شخصية مريم، وصفها عبد الحليم شرر قائلا: "إنها صغيرة السن، لها جمال فاتن، وذكاء لامع، وشعر فاحم مثل الليلة الظلماء، يفتن جمالُها الساحرُ الناظرَ إليها، كانت جواجبها رقيقة كالسيف الحاد...." [1]

ذكر عبد الحليم شرر صفات عديدة ومزايا كثيرة لمريم، جعل شخصيتها متسمة بالعفة والطهارة والوفاء والإخلاص، وصوّر دورها دورا إيجابيا بصورة كاملة، فكانت مريم تحب عيسى بن مزاحم حتى سافرت معه إلى بلاد الشام.

أمّا شخصية يوليان فصوره عبد الحليم شرر كشخصية دينية، يلبس قلنسوة صوفية، وينفرد عن الأقران بالشجاعة والغيرة، وجعل الأبواب مصدودة أمام الجيش الإسلامي لفترة طويلة من أجل القلق على ابنته فلورندا من عيسى بن مزاحم، لأنه ظن أن عيسى بن مزاحم تولى مهمة الحرب للوصول إلى فلورندا فحسب، ومن ثم

---

[1] رواية فتح الأندلس، لعبد الحليم شرر، ص: ٣٤.

أرسل ابنته إلى قصر لذريق، ثم ظهر جانب آخر من شخصية يوليان حينما بلغه الخطاب من ابنته العزيزة فلورندا فدفعته الرسالة إلى المصالحة والهدنة مع عيسى بن مزاحم، ثم الحرب والقتال ضد لذريق، فالدافع الحقيق الذي أثار غضب يوليان على لذريق هو هتكه لابنته الطاهرة، ففي كل الرواية ظهرت شخصية يوليان شخصية إيجابية بسبب الغيرة على بنته، وبسبب الغيرة على وطنه، وهكذا ظهرت شخصيته في رواية "في معتقل دمشق".

أما شخصية موسى بن نصير فقد ظهرت مختلفة في كلتا الروايتين، لم يذكر عبد الحليم شرر كثيرا عنه، إنه اكتفى بما ورد في التاريخ عنه بأنه كان رجلا قويا، قائدا شجاعا، إلا أن الكاتب عنايت الله التمش قد بدأ روايته بذكره مع أنه لم يسمها باسمه، فذكر أحداث اعتقاله في سجن دمشق ثم وقائع تسوله أيام الحج، وجعله شخصية مثالية للناس.

وكان عيسى بن مزاحم بطل رواية عبد الحليم شرر وبالرغم من ذلك جعله الكاتب شخصية خيالية، اللهم إلا أنه مثّل له دورا إيجابيا.

أما شخصية طارق بن زياد فالتاريخ مليء بذكره، إذ كان طارق شخصية رائدة في التاريخ الإسلامي وبالرغم من ذلك فقد غض البصر عنه كثير من الكتاب ولاسيما عبد الحليم شرر وعنايت الله التمش حيث لم يذكرا عنه كثيرا.

عند ما رجعت إلى رواية يوسف بن تاشفين وجدت فيها شخصيات مختلفة، فمنها شخصيات إيجابية ومنها سلبية، فمنها شخصيات نامية ومنها سطحية، وهذه ميزة الكاتب حيث لم يرسم تلك الشخصيات إلا بطريقة جذابة تزيد القارئ شوقا وولوعا فلا يترك القارئ الرواية قبل أن ينتهي منها في جلسة واحدة. ومن أهم شخصيات هذه الرواية سعد البطل وميمونة البطلة، ففى البداية لعب سعد دورا سطحيا لأنه ليس إلا شابا عاديا، ثم نمت شخصيته رويدا رويدا فصار سعد مجاهدا مكافحا ومقاتلا مقداما ومتقنا ماهرا في الفروسية وشاعرا بليغا حتى بلغ منصب الرئاسة في قرطبة فصار حاكمها.

أما ميمونة فظهرت كفتاة قوية وجريئة لا تخاف أحدا في الحق، وفي الأخير تزوجت ميمونة بسعد. وهنا حاول نسيم حجازي أن تطابق أوصاف الشخصية عنده في الرواية بما ورد عنها في التاريخ، أما ملكة رميكية فدورها سلبي، لأن الشهوات والعواطف قد سحرت نفسها وغلبت على عقلها فحاولت خدعة المعتمد والسيطرة على عقله.

كانت شخصية يوسف بن تاشفين ليست خيالية، إنه كان قويا شجاعا، ضحى حياته كلها للإسلام فأصبح بطلا إسلاميا، كتب عنه الكاتب كما ورد في التاريخ دون تصرف، ويقول الدكتور رشيد أحمد كوريجه عن رواياته:

"بطل رواية نسيم حجازي يلقى الخطبة الرنّانة ليوقظ ضمائر الأمة من سباب عميق". [1]

اختار نسيم حجازي شخصيات حقيقية لرواياته، كن أناسا عاديين ولكن عندما أمضوا حياتهم في سبيل الإسلام أصبحوا أبطالا إسلاميين، وصاروا رمزا حقيقيا للنجاح تفخر الإنسانية بهم، إنهم حملوا الأمانة فأدوا حقها.

[1] الرواية التاريخية في الأردية، للدكتور رشيد أحمد كوريجة، ص: ٥٢، ت ط: ١٩٩٤ اردو بازار لاهور.

الفصل الثالث: المبحث الثاني
النسيج اللغوي (السرد والحوار ومدى مناسبة اللغة بالشخصية والمواقف)

النسيج اللغوي:

ماذا يعني النسيج اللغوي؟

فـ "النسيج اللغوي، هذه الخيوط الرفيعة التي تتشابك وتجعل بناء الرواية، وترسي دعائمها، ولكل خيط من هذه الخيوط مكانة ووظيفة حيوية تسهم بشكل ما في تخليق الجسم القصة. وهو ثوبها الذي تخرج فيه على القارئ، وبتعبير آخر تلك الوسائل التي تبدو في ثوب الألفاظ والعبارات والأوصاف والصور وإلى غير ذلك من الوسائل، ومن تلك الوسائل. السرد والحوار والوصف ومدي مناسبة اللغة بالشخصية وبالموقف." [1]

السرد:

ماذا يعني السرد؟

"هو نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية، فحين نقرأ القصة نتمثل الحادثة فيها ولكن من حلال تلك الألفاظ المنقوشة على الورق، أي من خلال اللغة."[2]

---

[1] القصص في الحديث النبوي دراسة فنية موضوعية، ص: ١٣١.

[2] الأدب وفنونه دراسة ونقد، للدكتور عز الدين إسماعيل، ص: ١٨٥، ملتزم الطبع دار الفكر العربي. (ب ت)

للرواية قوالب عديدة، قد تكون في قالب مذكرات أو يوميات وقد تكون في قالب مقامات أو رسائل أو شعر، والسرد له طرق مختلفة أيضا ومن أهمها ثلاثة:

١- أن يتم السرد بإجراء الأحداث على لسان بطل من أبطال الرواية، يستخدم الكاتب عندئذ ضمير المتكلم، ثم يقوم بتحليل تلك الشخصيات تحليلا نفسيا.

٢- أن يكون السرد بطريقة مباشرة، يقص الكاتب حينئذ الأحداث بضمائر غائبة.

٣- أن يكون السرد مناط الوثائق والرسائل، يعتمد القاص فيه على تلك الوثائق فيعالج المشكلة أو الموضوع الذي يدير حوله القصة، والوثائق في هذا النوع من السرد تعني استمداد الكاتب القصة من بطون الكتب، ولاسيما المصادر التاريخية أو الأدبية، فكثير من القصص التي صاغها عبد الحميد جودة السحار ترجع في فحواها إلى هذا النوع من السرد، وكذلك كثير من القصص التي نسجها جورجي زيدان مثل: "١٧ رمضان، مقتل على الحجاج بن يوسف، شجرة الدر." [١]

الحوار:

يُعَدُّ الحوار من أسس الرواية "وذلك لأنه عنصر بارز للعملية القصصية، وجانب حيوي من أساليب بناء الشخصية في القصة، بحيث يستطيع أن نشهد هذه الشخصية، وهي يتحدث في حوار مع الآخرين معبرة عن نفسها وعن أفكارها" [٢]

---

[١] القصة والرواية، للدكتورة عزيزة مريدن، ص: ٤٦. (بالتصرف)

[٢] القصص في الحديث النبوي دراسة فنية موضوعية، ص: ٣١٢.

الوصف:

يُعْتَبَرُ الوصف أيضا من أهم عناصر نسيج القصة، "وله وظيفة معينة في عرض القصة والمساهمة في تطوير الحدث ودفعه إلى الأمام في طريق التطور والنمو، إنه وسيلة الحيوية في نقل صورة الحدث وفي تشخيصه أمام السامع أو القارئ للقصة."[1]

لا شك في أن الوصف من أهم عناصر العمل الأدبي، وخاصة في الرواية لطولها، والوظيفة الأساسية للوصف أنه يزيل الملل عن القارئ، ويملأ جوّه الفكري بالحيوية، وللوصف دور أساسي في تعميق الأحداث وإرسائها في ذهن القارئ.

ظاهرة المناسبة اللغوية بين الشخصية الروائية والموقف:

ثمة أدوات ضرورية للقصة، ومن أهمها اللغة، فلابد أن تكون اللغة متناسبة وملائمة للشخصية والموقف، تختلف اللغة من سياق إلى سياق، وهذا الاختلاف اللغوي يعتمد في كيانه على اختلاف المواقف والظروف، حيث تؤثر أبعاد الشخصية وأحوال المواقف بطريقة مباشرة في تجسيد اللغة وتشكيلها.

"تشكل عنصراً هاماً في الأعمال الإنسانية، فلا يوجد هناك تصور لحياة عادية أو أدبية بدون لغة. ليس لدى كاتب القصة وسيلة أخرى غير اللغة يوصل بها

---

٣ المرجع السابق، ص: ١٧٨.

أفعال شخوصه وأفكارهم وصراعهم، ولغة الرواية تميل إلى البساطة والوضوح والسعة." [1]

إذا توافقت لغةُ الكاتب الشخصيةَ وموقفها في القصة إنه يكون قد وُفِّق لغاية ما في تقديم ابتكار فني رائع.

النسيج اللغوي في الروايات العربية:

تبدأ رواية "فتح الأندلس" لجورجي زيدان بسرد الحديث عن الأندلس والقوط وطليطلة "الأندلس إحدى مقاطعات إسبانيا، واسمها في الأصل، "وندلوسيا" نسبة إلى الوندال أو الفندال، وكانوا قد استوطنوها بعد الرومان... فلما فتحها العرب سمّوها الأندلس. ثم أطلقوا هذا الاسم على إسبانيا كلها." [2]

استطرد الكاتب في سرد المعلومات، يمكن القارئُ أن يستفيد منها لاحتوائها على موضوعات ترجع إلى علوم حديثة نحو الطبيعة والكيمياء وغيرها.

يصف الكاتب المحبة الطاهرة قائلا:

"والمحبة الطاهرة تزداد شدة بما تلاقيه من المقاومة، كما تزداد الحرارة بالاحتكاك" [3] أشار الروائي إلى العلاقة بين الحرارة والاحتكاك اللتين تؤثران في الحب ثم تطرق إلى بعض الأفكار العلمية. كذلك نجد جورجي زيدان يتطرق إلى بعض الأفكار العلمية، فذكر القصة قائلا: كان هناك رجل يكاد أن يموت من البرد

---

١ مدخل إلى تحليل النص الأدبي، لعبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق، ص :١٣١، دارالفكر للنشر والتوزيع. (ب ت)
٢ رواية فتح الأندلس، لجرجي زيدان، ص :٧.
٣ المرجع السابق، ص :٤٥.

القارص فأمر الرئيس بعض رجاله أن يضربوه فضربوا ذلك الرجل ضربا شديدا لينقذوه من مخالب الموت، حينما رأت فلورندا هذا المنظر المخيف تألمت وأسرعت إلى الرئيس وسألته عن سبب الضرب، فقال:

"لا تجزعي فإنهم إنما يفعلون ذلك لحفظ حياته، قالت: وكيف يحفظون حياته وقد أماتوه من الضرب؟ فضحك الرئيس وقال: يظهر أنك لم تسمعي "بالدنق"، قال: هو الموت من البرد الشديد. فالظاهر أن رسولك هذا أوشك ان يدنق من البرد، فعمدوا إلى ضربه ليتحرك دمه وتعود إليه الحرارة فلا يموت.

قالت: لم يكن يشكو برداً مطلقاً بل رأيته يضحك سروراً.

فضحك الرئيس حتى قهقهة وقال: والضحك في البرد من علامات الرنق." [1]

جاء الكاتب بتلك المعلومات لإفادة القارئ:

"سواء نجح في توظيف هذه المعلومات لخدمة الفن الروائي أو فشل الذي يعنيه فيما يبدو هو حشو دماغ القارئ بما يعرفه من معلومات علمية وتاريخية وجغرافية وغيرها. سواء كانت هذه المعلومات متوارثة أو مستحدثة." [2]

ومن خلال القراءة في روايات جورجي زيدان يظهر بوضوح أنه كان متأثرا بالنصوص الدينية، ولاسيما النص القرآني، فالقارئ يستشعر عندما يقرأ إحدى رواياته

---

[1] رواية فتح الأندلس، لجرجي زيدان، ص :٢٢٨.

[2] الرواية التاريخية في أدبنا الحديث، للدكتور حلمي القاعود، ص: ٣١، دار الاعتصام. (ب ت)

أن الكاتب لعله كان مسلما أو تظاهر بالروح الإسلامية عبر كتاباته المتنوعة، يقول الكاتب مثلا بلسان ألفونس.

"يحق لك يا فلورندا أن تلوميني، فقد تقاعدت عن هذا الأمر، ولكن لكل أجل كتاب...." (١)

ويقول بلسان الأب مرتين:

"كيف يتغيب عن موكب جلالتك لأعذار ما أنزل الله بها من سلطان." (٢)

ويقول بلسان أوباس:

"فالحكمة تقضي علينا باللين والمسايرة حتى يقضى الله أمرا كان مفعولاً." (٣)

ورواية "طارق بن زياد" لمعروف الأرناؤوط تنطوي أيضا على سرد طويل، أفاد الكاتب روايته بمعلومات قيمة حول الأندلس وانهيار الإمبراطورية البيزنطية ودخول المسلمين في الأندلس وغيرها حيث يمكن القارئ الاستفادة منها، يقول الكاتب مثلا:

---

١ رواية فتح الأندلس، لجرجي زيدان، ص: ٢٢،وهو يشير إلى الآية الكريمة "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ". (سورة الرعد: الآية :٣٨.)

٢ رواية فتح الأندلس، لجرجي زيدان، ص :٢٢، وهو يشير الآية الكريمة "إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ". (سورة: نجم الآية: ٢٣)

٣ رواية فتح الأندلس، لجرجي زيدان، ص :٢٢، وهو يشير الآية الكريمة " إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۖ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ". (سورة الانفال الآية: ٤٢)

"انهارت صروح الإمبراطورية البيزنطية الشرقية وريثة الإمبراطورية الرومانية العربية، تحت معاول البرابرة الهادمة...." [1]

ومن الملاحظات الهامة تجاه رواية الروائي معروف الأرناؤوط أن سردها قد طال حتى يستشعر بشيء من الملل لطلولها.

"لم يشأ مغيث أن يدأب في سرد قصة حياته، فطوى أروع فصول هذه الحياة، وعف عن ذكر تلك الرعاية التي لقيها في قصور بني أمية غداة منقلبه إلى دمشق وألقى ستاراً كثيفاً على الأسباب التي انبعثت على الخروج من وطنه إلى إفريقية...."[2]

أما الحوار في رواية "فتح الأندلس" فإنه موزع على شخصيتين لهما دور أساسي في سرد الحوارات الشيقة، تتحاور تانك الشخصيتان بجمل قصيرة أحيانا وجمل أو فقر طويلة أحيانا أخرى، هذه الحوارات لاشتمالها على المواقف الطويلة والأحداث المفصلة لما يدور بين تينك الشخصيتين تبدو فكأنها شرح وتفسير، ومن أمثل نموذج لهذا النوع من الحوار هو ما دار بين فلورندا ابنة يوليان وخالتها العجوز، عندما ذكرت خالة فلورندا اسم ألفونس أمامها دق قلبها، واحمر وجهها:

"وقالت: دعيني من ألفونس... حتى ألفونس نفسه، كان من أسباب شقائي، وقد كنت كما تعلمين أحسبه سبب سعادتي...آه...دعني أبكي.

---

[1] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، الصفحة الأولى.

[2] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص: ١٩٢.

فقالت العجوز: ما لي أراك تحسبين الشقاء محيطا بك من كل ناحية. وأنت من أسعد خلق الله كيف تقولين إن ألفونس من أسباب شقائك. وهو خطيبك ويتفانى في سبيل رضاك؟

قالت فلورندا: أعلم ذلك وهو الذي يزيد قلقي.... أحبه ويحبني .... ولكن ما الفائدة من هذا الحب؟ إن الذنب ذنبك يا خاله.... أنت علقت قلبي به، وكنت خالية البال، لا أعرف القلق .... سامحك الله.

قالت العجوز: لم أندم أبداً على ما بذلته من الجهد في تقريب قلبيكما لأنكما متفقات خلقاً وخلقاً. وأنتما من عائلة واحدة....

فإذا كنت تعتبرين ضياع الملك من يديه شقاء، فلا ألومك.

فقطعت فلورندا كلام خالتها. وقالت: لا، لا.... ليس ذلك سبب شقائي إنما هو انقطاع الفونس عن المجيء إليّ....

فقالت العجوز: أراك واهمة يا حبيبتي، فما في هذا القصر إلا ما يدعو للانشراح...." [1]

وهذا الحوار يحمل من إشعاعيات ومعاني الجدل والإقناع.

عندما نرجع إلى رواية "طارق بن زياد" لمعروف الأرناؤوط وجدت فيها حوارا طويلا خاليا من السرد لحد ما.

---

[1] رواية فتح الأندلس، لجرجي زيدان، ص :١٤، وما بعدها.

أجرى الكاتب ما كان يريد أن يقوله على ألسنة شخصيات جعلها محور روايته، صارت الرواية بذلك أكثر حيوية، وأسلوب الحوار الذي سار به معروف الأرناؤوط في روايته أسلوب يسير وفني لأنه استعمل جملا قصيرة مثل:

" قالت دامية: أين هو؟

قال: هو على الشاطئ.

فصاحت ما أشد ولع أمير الجيش بالبحر. وتابع العربي حديثه فقال لها في ميسورك أن تحاذي الساحل....

وأنت؟ ألا تعو دمعى إلى الأميرة فضحك وقال لها.

لا يا سيدتي: لا، فلقد ندبني الأمير إلى تحقيق غايته. فوجب على أن أمضي في قضائها ما اسمك يا سيدي: مغيث الرومي." [1]

استعمل الكاتب أسلوب الحوار تضاعيف روايته حسب ضرورات المواقف والأشخاص، وحاول من خلال ذلك رسم تلك الشخصيات، ومن أحسن مثال لهذا النوع من الحوار ما دار بين دامية وعقبة بن نافع عند وفاة أمه.

"ولما فرغ من نشيده قالت له دامية.

من اين تعلمت هذا الشعر الساحر؟

فقال لها في كبر وزهو:

---

[1] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص: ٦٥.

من أمي.

أ هي معك يا سيدي؟ ....

أتبكي يا سيدي؟ ....

هل ماتت أمك يا سيدي؟

فرفع عينيه إليها مروعاً...." [1]

ومن سمات الفنية في الرواية "الوصف"، أسلوب جورجي زيدان يختلف من وصف لوصف آخر، إنه يصف الطبيعة مرة، ويصف المواقف مرة أخرى، يصف الشخصيات حينا ويصف علاقة تلك الشخصيات بالمكان والزمان تارة أخرى.

تحدث الروائي عن قصور الملك رودريك قائلا:

"وكان في جملة قصور الملك رودريك قصر في شرقي المدينة على أكمة تشرف على ضفاف النهر. ويحدق بالقصر صنوف الأشجار والرياحين والأزهار على مرتفعات تتخللها مجاري الماء على غير نظام مما يزيدها جمالاً. ومساحة تلك الحدائق واسعة يحيط بها كلها، إلا من جهة النهر...." [2]

وصف الروائي قصة اندهاش ابنة يوليان فلورندا قائلا:

---

[1] المرجع السابق، ص: ٣٢.

[2] رواية فتح الأندلس، لجورجي زيدان، ص: ٩.

"أما فلورندا، فقد اندهشت حين رأت ألفونس قادماً، وظهرت البغتة في عينيها، وأسرعت وقات قلبها، وارتعدت ركبتاها وأرادت أن تقف لتلقاه فلم تستطع من شدة التأثر، امتقع لونها." [1]

وصف الروائي شخصية لذريق مبينا جملة تباشيرها:

"وكان رودريك في نحو الأربعين من العمر، ممتلئ الجسم، بارز الصدر والبطن، قوى البدن، تلوح على وجهه أمارات البسالة، وعيناه جاحظتان كبيرتان، وحاجباه غليظان. وشعر شاربه طويل يزيد على طول لحيته وعلى طول شعر رأسه."[2]

أما معروف الأرناؤوط فوصف الأماكن والشخصيات بالتفصيل، كان معروف الأرناؤوط أديبا بارعا، يستطيع أن يقدم تصوير مواقف الحب والغرام وتحليل المشاعر والأحاسيس بأسلوب بارع وشائق، إنه وصف الطبيعة والعمران كوصفه قصر فال كلارا قائلا:

"في قصر فال كلارا المنيف وفى حجرة من حجراته تعيش فلورندا الحسناء .... عيشة الزهرة في اناء من الخزف لا عيشة هذه الأزهار التي يندبها الطل في جنات تضيئها الشمس وتدغدغها السحب." إلى أن وصف قصر فال كلارا كشخصية يمثلها قائلا:

---

[1] المرجع السابق، ص: ١٧.

[2] المرجع السابق، ص: ٣٠.

"يطل قصر فال كلارا على وادي التاج، ويجثم على شيع من الصخر قاتم اللون، شديد الجهمة لا تلين ريوده لقاصد ولا تضحك حدوره لرائد، ثم يبين مولياً ظهره شطر طليطلة، كأنما هو ينظر اليها من نامية الغرب، حيث يفيض الوادي ويتدفق بين شوامخ طليطلة وبواذخ، فلو أن سائحا امتدت به أسفاره إلى هذا الطلل الجاه الباسر، ونزل عرصاته وسوحه، وطاف أروقته وممراته، لما استطاع أن يجنب نفسه الروع...."[1]

هذا الوصف لقصر فال كلارا يتراوح ما بين ١٣٣ إلى ١٣٦ صفحة، يشعر القارئ بالملل لطوله.

كذلك وصف الكاتب شخصية طارق بن زياد:

"فقد كان طارق اشبه ما يكون بغسق الليلة، وكانت عيناه حمراوين كالضرام، وكان بوجهه قروح وجروح، وكان الناس يتحامونه ويجفونه، ولا يطيقونه صامتا ولا يحبونه متكلما. وذلك لأن هذا العبقري الأسود كان في صمته وهمسه اشبه ما يكون بهذا البحر الثائر فما حرك شفتيه بهمس الا رعد الأفق وراح صوته مجلجلا في حواشي القضاء ولم يسكت مرة إلا خيل إلى الناس انهم سيرون امراً جللاً." [2]

[1] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص: ١٣٣.

[2] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص: ٤٩.

هذا الوصف في بديهة النظر يبدو دقيق الحبك والسبك، اجتهد الكاتب واستقصى حتى غالى فيه وتجاوز الحد وبالغ في مدحه، فلم أجد هذا الوصف بما اضطلعت به الكتابة في كتاب التاريخ، فلا أدري من أين أخذ الكاتب إياه.

واللغة:

من عناصر الرواية وأسسها، ومن مقتضيات النسيج اللغوي أن تتناسب اللغةُ الشخصيةَ والموقفَ.

يقول الدكتور طه وادي عن لغة جورجي زيدان:

"واللغة عند زيدان في الرواية ذات مستوي تركيبي وانفعالي واحد في السرد والحوار وإن كان السرد هو الغالب والأكثر حجماً. ولغة الرواية عنده أقرب إلى لغة الصحافة اليومية تجمع بين اليسر والسلامة إلى حد كبير. ولكن أهم "عيب" في لغة الرواية هو وحدة المستوي اللغوي في كل الحالات، فلا خلاف بين لغة السرد ولغة الحوار، ولا بين لغة الخير والشر، ولا بين لغة الحاكم والآغا، ولا بين لغة الرجل والمرأة. من هنا تخلو هذه اللغة من حساسية مفترضة بين السرد والحوار، ومن تفاوت انفعالي بين كل شخصية وأخرى، بل إن غير العرب يتحدث الكاتب عنهم بلغة تشبه طبيعة اللغة التي يعبر بها عن العرب والمستعربين." [1]

وأنا أوافق رأي المؤلف في عيب وحدة المستوى اللغوي في أسلوب الرواية، لأن لغة الذكور غير لغة الإناث، ولابد بينهما اختلاف لاختلاف طبيعة كلا

[1] نظرة جديدة في الرواية التاريخية (أحمد بن طولون)، للدكتور طه وادي، ص: ٤٠، العدد: ٢٢٩، الموقف الأدبي، مجلة أدبية دمشق.

الجنسين، ففي طبيعة النساء رقة ولينة بينما في طبيعة الرجال شدة وخشونة، وهذه الرقة والخشونة من اللازم أن تظهر في أسلوبهما، ولعل الكاتب لم يراع هذا الفرق الطبيعي بينما راعى ذلك جورجي زيدان مثل قوله:

"وكان بدر أنشط بدناً وأخف حركة فتجاولا وتصاولا، وكان رودريك من القواد المعروفين. وكانت فلورندا على جوادها وعيناها شاخصتان إلى الرجلين تتبع كل حركة من حركاتهما، وقد حسبت أنفاسها لئلا يشغلها النفس عن مراقبة تلك المبارزة لعلاقة ذلك بحياتها أو مماتها فإذا هجم رودريك شاركت بدراً بتلقي ضربته. وربما رفعت يدها لتتلقاها، وإذا هجم بدر أحست كأنها تهجم معه." [1]

لم يورد الكاتب من الشعر إلا بيتا واحدا، عبر به عن هواجسه التي كانت تَرِدُ على قلب فلورندا، فلم تستطع الوصول إلى حبيبها مع قربه منه.

وأمر ما لاقيت من ألم الجوي قرب الحبيب وما إليه وصول. [2]

ولغة رواية معروف الأرناؤوط لغة معقدة وصعبة، إنها مليئة بالتشبيهات والاستعارات حيث لا يفهمها المتلقي في بادئ النظر بل يحتاج إلى تمعّن وتأنّ:

"وافاق في الصباح الباكر، فاذا الغيم الصارد، قد غشي الأفق واستفاض على

[1] رواية فتح الأندلس، لجرجي زيدان، ص: ٢٩٨.

[2] رواية فتح الأندلس، لجرجي زيدان، ص: ٢٧٤.

سفوح الوادي، وأوشك ان يغمر شاطئ الجدول الصغير الذي تشرب خيوله من مائة، فجلس على صخر ...." [1]

أذكر أنموذجا آخر للتقعيد، يقول الروائي في الفصل السابع بعنوان: "صوت الوطن":

"سدر جنود عقبة بن نافع امير الجحافل، في نوم هني وادع، على ساحل طنجة العبوس المكفهر، وطارت أحلام هؤلاء الذادة الكماة في فضاء دمشق، فما تسكن ولا تستريح، حتى بيوت الأحبة ومنازل الصحب والرفاق." [2]

أما التطابق والتوافق بين الشخصية والموقف فإن معروف الأرناؤوط وُفِّق في ذلك إلا في بعض المواقف حيث لم يتمكن من توفيق المطابقة بينهما.

ومن نماذج مطابقة اللغة بالموقف هو ذكر الأم مرتين ومراعاة الموقفين في استخدام اللغة، مثل:

"وقد قال مغيث، ولما ماتت امي كنت في الربيع الخامس، ولا يستطيع صبي مثل عمري، أن يتعرف الأشياء والألوان والصور والاصوات، ولكن الذين عرفوا أمي، وعاشوا معها، وخبروا خلقها لم يعجز هم أمر عن تصويرها فحملوا. إلى أشياء كثيرة من لون وجهها ومن صوتها ومن أخلاقها وشميها وقالوا لي إن في عيني ذلك النور

---

[1] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص: ٦٧.

[2] المرجع السابق، ص: ٨٢.

الذي رأوه في عينيها وان على صوتي اثراً من صوتها وانني إذا بكيت أو شدوت فكأنما أمي هي التي تبكي وتشدو." [1]

هذا المثال عبارة عن اللغة الرقيقة، فكأن الحساسية تنبعث منها بناء على حساسية الموقف الذي يتعلق بالأم، فالأسلوب الشائق يدل على إحساس الروائي في هذا الموقف هذا الإحساس والشعور قد تسرب إلى قلب الكاتب، فنتجت منه هذه اللغة.

أما رواية "أميرة قرطبة" لعبد الحميد جودة السحار ففيها سرد وحوار على قدر الموقف ولكن "يختلف السرد في الرواية عنه في حكاية الشخصية. فراوي الرواية ليس شخصياً ملهماً كما في الملحمة. ولا ممثلاً يروي بلسانه ويد يه قلبه أخبار أبطال التاريخ أمام جمهور متحمس إنه شخصية وهمية ووظيفة من وظائف النص الذي يخلقه الكاتب مصوراً فيه عالمه وزمانه في الحكاية الشفهية." [2]

فالكاتب قام بسرد الحادثة ليعلم المتلقي معلومات حول الموقف، ولا يجهلها عند الحاجة، نرى مثلا شطرا من الرواية ليس فيه غموض وإبهام حيال المعلومات:

---

[1] رواية طارق بن زياد، لمعروف الأرناؤوط، ص: ١٦٩.

[2] معجم مصطلحات نقد الرواية، عربي، انجليزي، فرنسي، للدكتور لطيف زيتوني، ص: ٩٩.

"جاء المغيرة إلى القصر ليعود ولى العهد، فسار يتبختر في زهو ودخل غرفة المريض، فرأي عبد الرحمن مسجي في الفراش، وقد غاض لونه وبدا عليه الهزال، ولمح صبيحة بجواره، تحنو عليه، وفى عينيها آثار الألم العميق." [1]

قسم الروائي روايته إلى فصول عديدة، كل فصل يمثل ملمحاً من ملامح الرواية حسب الزمان والمكان والحدث والشخصية، وقد ساعدت هذه التعددية على تماسك الفصول وترابط بعضها مع بعض آخر، استخدم عبد الحميد جودة السحار ضمائر الغيب وبنى الأحداث عليها، وقَلَّما تحول إلى سائر الضمائر، مثل المشهد الذي خاطب فيه الحكم صبيحة قائلا:

"كنت أعجب أني بهذه الحدائق كل هذه الروعة؟ الآن فقط عرفت أنها استعارت حسنها من حسنك، هذه الورود حمرتها من خدك، وهذه الزهور نضارتها من نضارتك، وهذه الحياة التي تدب في كل شيء هي من نبض قلبك." [2]

هذه الفقرة تبدو منعزلة عن الموقف ونابية ومستكرهة في السياق، لأنها تقتضي أن يكون هناك وداد متكامل بين زوجين كريمين، وعلاقة حميمة بين حبيبين عزيزين، ولعل الفقرة توحي بالغزل لحد ما.

---

[1] رواية أميرة قرطبة، لعبد الحميد جودة السحار، ص: ٨١.

[2] المرجع السابق، ص: ١٥.

وبالنسبة للوصف فإن الكاتب قد وصف المَشاهد وصفا فيه صفاء ووضوح وجلاء، ولاسيما وصف مشهد حزن جماهير الشعب على خليفتهم الراحل عبد الرحمن الناصر:

"انطلقت الجماهير في القصر بين التراس الملونة، والأسلحة المزينة، حتى أشرفوا على السطح الممرد، فجنحوا إلى الصمت، ومدوا أبصارهم تغشاهم روعة وجلال، فقد كان الحكم قاعدا على سرير الملك وقورا مهيبا، وقد قعد أخوته ووزراؤه ووجوه قومه عن يمينه وشماله، واصطف أكابر الفتيان يمينا وشمالاً وعليهم البرانس البيض يتقلدون فوقها السيوف، فكأن مشهدا رائعاً يهز القلوب ويأخذ بالألباب." [1]

يشتمل هذا المشهد على ملامح الحضارة وألوان الثقافة حيث كان القصر مليئا بأكابر الفتيان الذين كانوا يرتدون البرانس البيض.

وصف كذلك الطبيعة والشخصية حيث يظهر تأثير الزمان والمكان فيهما، ووصف حدائق قصر الزهراء وجَوّه الملائم:

"كان الجو رائعاً لطيفاً، يعبق بأريج حلو ينبعث من حدائق قصر الزهراء، وميدان القصر الفسيح منسقا تنسيقا بديعا يأخذ بالألباب، وطلاب العلم يقطعونه في غدوهم ورواحهم إلى جامع قرطبة العظيم، فخر الأندلس وباعث نهضتها." [2]

---

[1] رواية أميرة قرطبة، لعبد الحميد جودة السحار، ص: ٣٠، وما بعدها.

[2] المرجع السابق، ص: ٥.

وصف الكاتب جامعة قرطبة وصفاً رائعاً وبيَّن أن تلك الجامعة قد كانت رمزا للعزة والفخر والشرف للدولة الأندلسية وباعثة للنهضة فيها.

أما اللغة فوجدت بعض كلمات غريبة الاستعمال أو بعيدة المنال في رواية "أميرة قرطبة" مثل توصوص في الصفحة ٤٦، ويهبهب في صفحة ١٦٩... حاول الكاتب أن يستعمل اللغة التي تناسب الموقف والشخصية الرئيسة، تحدث الكاتب عن ابن أبي عامر حينما تولى إشبيلية قائلا:

"قدر أهالي إشبيلية حاكمهم الجميل، فما استبد كما استبد من سبقه، ولا طغى ولا بغى." [1]

وصف الكاتبُ الحاكم بصفة الجمال وحسنه، هذا الوصف لا يتناسب الموقف ولاسيما موقف الحديث عن الحاكم أصلا، بل ثمة من المعاني الأخرى التي كان ينبغي عليه أن يتحدث عنها نحو الاستبداد وعدمه، الطغيان وعدمه، البغي وعدمه، فلا يهم الشعب – عادة –حُسْنُ الحاكم وجماله بل ما يهمه هو كيف يتعامل الحاكم مع شعبه، هل إنه رحيم أو شقيق، هل إنه طاغ أو غير طاغ، فمما كان ينبغي للكاتب أن يقول: "حاكمهم الجديد" بدلا من "حاكمهم الجميل".

وبالنسبة للشعر فإنه أورد بيتين فقط أثناء الحديث عن جعفر المصحفي، واستعمل الروائي الحوار كوسيلة فنية، ثم صاغ الحوار حسب الأحوال والأشخاص

[1] رواية أميرة قرطبة، لعبد الحميد جودة السحار، ص: ٧٨.

والأزمان نحو الحوار إذا كان حاكما، أو سيدا، أو قائدا، أو صبيا، وخير المثال لذلك هو الحوار الذي دار بين صبيحة والحكم، كانت صبيحة تفكر في ولاية العهد، فأخذت المبايعة لابنها هشام وهو ما زال في صغر سنه خشية عليه من عمه المغيرة وخصوصا بعد أن أصيب زوجها الحَكَمُ بالشلل:

" ورأت صبيحة الفرصة بك عن إنقاذ ملك آبائك؟

وماذا أفعل يا صبح؟

خذ البيعة لا بنك هشام.

هيهات!

لماذا يا مولاي؟

سيحجم الشعب عن مبايعة، وسيقاوم المغيرة تلك البيعة.

لا يا مولاي، إن شعبك يحبك، وسيبايع عن رضا إكراما لك، أما المغيرة فلن يجرؤ على إعلان الخلاف.

حبك لهشام يهون عليك الأمر." [1]

وفي بعض الأحايين لا تتوافق اللغةُ الموقفَ أو الشخصيةَ أصلا مثل قصة غرامية بين صبيحة ومحمد بن أبي عامر، وتفكير صبيحة فيه:

---

[1] رواية أميرة قرطبة، لعبد الحميد جودة السحار، ص: ١٠٨.

"ولكن على الرغم من أنها لم تعترف لنفسها أبدا بأنها تحبه، كانت فعالها تفصح عن هواها، كانت تحبه من كل قلبها، كانت تهواه. كانت نفسها تهفو إليه إذا غاب عنها، وتهش له إذا أقبل عليها، وتنصت في شغف إلى حديثه، وتنظر بارتياح إلى فعاله، إن هذه الإحساسات إن دلت على شيء، فإنما تدل على الحب والحب العميق."[1]

وبالنسبة للروايات الأردية.

الأندلس مأساة مشتركة بين العرب والعجم، مبعث الفرح والحزن، فالحديث عن فتح الأندلس حديث يروق القلبَ ويسرّه، والحديث عن سقوط الخلافة في الأندلس حديث يبعث في النفس الحزنَ والهمّ والكآبةَ والغمّ، جعل الأدباءُ الدولةَ الأندلسيةَ مذ نشأتها طريقة أدبهم، ومسلك إنتاجهم حيث ساروا في خُطاه.

فالإنتاج الكثير في الأدب العربي يعود إلى الأندلس، وتاريخها وأدبها، ولعل السبب في ذلك أن الأندلس كانت فردوسا مشهودا، ثم أضحى مفقودا فظل ويظل وسيظل عنوانا للحضارة الإسلامية العظمى على مَرّ الأيام والسنين للتاريخ الإسلامي، ومن ثم نالت الأندلس في تكوين الأدب أهمية كبيرة في الأدب الأردي، فكثير من الروايات تدور حول ملحمة الأندلس، وحول فتحها وسقوط الخلافة فيها، نظر الأدب الأردي إلى الأندلس نظرة احترام وإجلال، واعتبرها امتدادا للغاية المرموقة التي نبتت في منبت صدق وحق أي؛ مكة المكرمة والمدينة المنورة، وفي

[1] المرجع السابق، ص: ٣٥.

سياق التاريخ العريق للأندلس الإسلامية ظهرت أعمال راقية من الرواية والقصة في الأدب الأردي، وبلغ ما بلغ من الروعة والجمال والفصاحة والبيان والرشاقة والكمال، ومن صفحات باهرة في ذلك هي الروايات التاريخية في الأدب الأردي مثل روايات عبد الحليم شرر، ونسيم حجازي وعنايت الله التمش وغيرهم.

السرد في روايات عبد الحليم شرر طويل، ولغته مليئة بالمحسنات اللفظية، بينما أسلوب نسيم حجازي فإنه خال من التكلف والتصنع والتعمل، وكذلك خال من ألفاظ غريبة بعيدة الفهم، أما أسلوب عنايت الله التمش فإنه ما جاء بتشبيهات كثيرة وثقيلة وكذلك لم يكثر الأمثال والأقوال والحكم، كما لم يكثر من الكلام والفلسفة والتعقيد.

كما تقدم أن السرد في رواية "فتح الأندلس" لعبد الحليم شرر ليس بطويل، إنه اكتفى بذكر أوصاف الأماكن والشخصيات، كما أوجز الحديث عن يوليان قائلا:

"إنه كان عريض الأكتاف كثيف الشواب أصلع الرأس تقليديا كالرهبنة، ولميوله الدينية كان يلبس قلنسوة صوفية وكان عاقد الحاجبين على عينيه الحاذقتين اللتين تشعان بالهيبة...." [1]

أما نسيم حجازي فإن السرد قد طال عنده لأسباب وغايات أراد الوصول إليها عبر روايته، ومن أمثلته:

---

[1] ناول فتح الأندلس، عبد الحليم شرر، ص: ٤٦.

" وفى صباح يوم قادم طاف سعد القصر عدة مرات ولكنه لم يدخله، إنه كلّم مع الحارس فما استطاع إقناعه فكذب كذبة خدعه بها، وقال له، إن لديه رسالة مهمة للخليفة المعتمد، فاندهش الحارس حينما سمع ذلك وفتح له الباب الرئيس، دخل سعد القصر بتلك الحيلة...." [1]

أما السرد في رواية عنايت الله التمش فإنه كثير بالنسبة للحوار، والجزء الكبير من روايته مشتمل على السرد الحيوي، ومن خلال ذاك السرد نمت روايته نموا مؤثرا بالأذهان والعقول، عندما يبدأ القارئ روايته فلا يتركها قبل أن يكملها، وكذلك لا يحب أن يقاطعه أحد أثناء القراءة فيها، لم يستخدم الكاتب كثيرا من التشبيهات والاستعارات والتمثيلات، ومن ميزة سرده في الرواية أنه يجري كسيل جارف دون خلل أو عقدة، فيه تسلسل وطلاقة.

"عندما عاد طارق بن زياد مع جيشه إلى دمشق جعلهم يعودون إلى بيوتهم يرتاحون فترة، ذات يوم قال لأحد من الخدام والحاشية أن يأتوا بجميع الهدايا التي جاء بها لخليفة الوليد بن عبد الملك، فجيئت بالهدايا محمولة على ظهور الفروس أو الفرسان وكانت من بينها مائدة السيد سليمان عليه السلام، ثم فكر في تقديم تلك الهدايا بنفسه إلى الخليفة، ولاسيما الهدية الغالية وهي الأندلس". [2]

---

[1] ناول یوسف بن تاشفین، نسیم حجازي، ص: ١٤٤.

[2] ناول دمشق کے قید خانے میں، عنایت الله التمش، ص: ٢٣٧.

أما الوصف فإنه كثر في روايات عبد الحليم شرر، ويمكن ملاحظته في روايته عند الحديث عن فلورندا:

بأنها كانت "صغيرة السن يتراوح عمرها ما بين أربع عشرة سنة وخمس عشرة سنة، إنها كانت في ريعان شبابها وتوشك أن تتجاوز مرحلة الطفولة، كانت مليحة الوجه، شريفة الظل، طلقة المحيا، عاقدة الحاجبين على جبين لجين، تقطر عيناها عفة وحياء مما يزيدها رونقاً وبهاءً، حسنا وجمالا، وشعرها المنسدل على الخد كالحرير الناعم...." [1]

ففي ذاك النص من التشبيهات والاستعارات، إنها ليست تصاوير حقيقية، بل صوّرها الكاتب بقلمه المتين وخياله الخصب، وقدّم أمام القارئ الصورة الجذابة التي تؤثر في ذهن القارئ، ومن تلك المناظر الخيالية في رواية "يوسف بن تاشفين" لنسيم حجازي:

قال عبد المنعم لزوجته: "يمكن أن يكون هذا اللقاء آخر مرة في هذه الحياة، وأنصحكِ أن تربي الأولاد تربية حسنة وتعلميهم أن هدف المسلم أكبر من حياته". [2]

وصف عنايت الله التمش الشخصيات بالتفصيل، وتحدث عن فلورندا مبينا تباشير صورتها:

---

[1] ناول فتح اندلس، عبد الحليم شرر، ص: ٣٥.

[2] ناول يوسف بن تاشفين، نسيم حجازي، ص: ٦٨.

"كانت صغيرة السن، حفيفة الظل، جميلة المحيا، رشيقة الخطوة، ذكية العقل، وكان شعرها المسترسل مثل الليل الأسود، يفتن جماله كل من يراها، حواجبها الرقيقة كالسيف الحادّ...." [1]

وقد كثر الوصف في الرواية، وزادت التشبيهات والاستعارات إلا أنني ما لاحظته أثناء القراءة فيها فإنها خالية من التعقيد اللفظي والتنافر والنبو، اعتمد الكاتب كثيرا على الأسلوب المنمق، السهل، اليسير، قريب الفهم.

يسير الحوار عند عبد الحليم شرر بخُطىً متناسقة ومنتظمة في نظام معين، فالشخصيات والأحداث ينتظم بعضها إلى بعض، أما الحوار في رواية نسيم حجازي فكثيرا يتكون من جمل قصيرة دون خلل ونقص وزلل، مثل الحوار الذي دار بين سعد وميمونة بعد أن عاد من القصر، نحو:

" سألت ميمونة: هل رجعت؟

نعم رجعت.

قد تأخرت كثيراً، وما ذا فعلت هناك؟

قال سعد: ألقيت خطبة مؤثرة أمام رميكية وحالة المسلمين في الأندلس.

قالت ميمونة: يبدو من صوتك أنك كئيب، هل أنت بخير؟

قال سعد: لقد أصبت ببضعة جروح أثناء الخروج من القصر." [1]

---

[1] ناول دمشق کے قید خانے میں، عنایت اللہ التمش، ص: ٥٤.

أما رواية عنايت الله التمش فإنها مشتملة أيضا على بعض من الحوارات القصيرة.

مناسبة اللغة بالشخصية أو الموقف:

حاول الكاتب نسيم حجازي أن يتلاءم الطرفان؛ اللغة والشخصية، أو اللغة والموقف، فوَفَّقَ ونَسَّقَ بينهما، فمراعاة اللغة في سياقات مختلفة ليس بيسير بل إنه يتطلب من الكاتب جهدا مضنيا، يستعمل العامة من الناس لغة لها سمات وخصائص، والخاصة لغة لها سمات وميزات ثم في كليهما طبقات، ولكل طبقة منها لغة وأسلوب، من يعمل في السوق له لغة وأسلوب، ومن يعمل في الجيش له أسلوب ونمط آخر، فللأكاديميين طريقة الكلام، ولغيرهم طريقة غيرها، للكبار لغة وللصغار لغة أخرى، للرجال لغة وللنساء لغة أخرى إلخ، وسوف نفهم ذلك بنموذج من كلام رميكية عندما أخرجت من الأندلس:

"ملكة رميكية كانت واقفة في كنف الأسطول أو المركب، وكانت الدموع تترقرق في عينيها، فقالت وكانت الدموع أخذت تسكب من عينيها دمعة دمعة: متى نرجع إلى إشبيلية؟ فأجابها المعتمد: ما فائدة مثل هذا الكلام؟!". [٢]

أما رواية عنايت الله التمش "في معتقل دمشق" فلغته سهلة وعميقة، واستخدم الكاتب في بعض المواضع من الرواية كلمات إنجليزية، مثل قوله:

---

[١] ناول يوسف بن تاشفين، نسيم حجازي، ص:١٣٤.

[٢] ناول يوسف بن تاشفين، نسيم حجازي، ص٢١٥.

"هكذا يدخل في الاقوام تسبلن. (الاتحاد)" [1]

إنه ذكر ترجمة الآيات التي استشهد بها في الرواية ولاسيما في المحادثة بين سليمان وموسى بن نصير، قال موسى لسليمان:

أنت لا تعرف شريعة الله، افتح القرآن واقرأ الجزء الثاني منه، قال الله تعالى:

(اَلْحَجُّ اَشْهُرٌ مَّعْلُوْمٰتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيْهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوْقَ وَلَا جِدَالَ فِى الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ يَّعْلَمْهُ اللّٰهُ ۗ وَتَزَوَّدُوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوٰى ۚ وَاتَّقُوْنِ يٰٓاُولِى الْاَلْبَابِ) [2]

ومن نماذج المناسبة بين اللغة والشخصية أو الموقف هو المشهد الذي دخل فيه هنري في أسطول المسلمين مع جيش طارق بن زياد:

"أمعن رئيس الجيش في وجه هنري برهة من الزمن ثم قال له: إن أحببت الذهاب إلى الأندلس فأنا شفيع لك عند طارق بن زياد، وأنا لا أحب ذلك لنفسي لأن الأسطول أو المركب مليء بالبرابرة، ولهم يد وقوة في مُلْكِ طارق...." [3]

[1] ناول دمشق کے قید خانے میں، عنایت الله التمش، ص:١٠.

[2] المرجع السابق: ١٨ (سورة بقرة، الآية: ١٩٧).

[3] ناول دمشق کے قید خانے میں، عنایت الله التمش، ص:٢٥.

الفصل الرابع:

أوجه التشابه والتباين بين الروايات العربية والأردية

المبحث الأول:

- أوجه التشابه بين الروايات والروائيين

المبحث الثاني:

- أوجه الاختلاف بين الروايات والروائيين

الفصل الرابع: المبحث الأول
أوجه التشابه بين الروايات والروائيين.

منذ إبان العصر الحديث أخذ يتطور مفهوم "التاريخ" ولاسيما في نطاق الأدب، إنه تغير وتحول إلى مفهوم يحده الأدب والتعبير، كان مفهوم التاريخ يقتصر على نقل الحقائق المجردة قديما ثم انقلب بعد ذاك المفهوم حينما تحوّل إلى العصر الحديث وتسرب إلى مجال الأدب، ومن ثَمَّ نشأت الروايات التاريخية الأدبية فأثّرت أيضا في تغيير وتحويل مفهوم التاريخ وتطويره، ولعل التاريخ في مناحي الأدب قد أصبح موطنَ عناية واهتمام ونشاط لدى القراء والكتّاب معا.

يقول الدكتور يوسف نجم في هذا الصدد:

"هذا الا تجاه العام نحو التاريخ، الذي كان باعثه الأول ما وصل إليه العرب في عهد العثمانيين وفي عهد الاحتلال من الذلة والضعف، وثوراتهم المختلفة على الظلم في الحجاز والعراق ومصر وسورية ولبنان وتخفيف الشعور الحاضر بالتعاسة والذل." [1]

ظلت الأندلس وتظل رمزَ مأساة الأمة الإسلامية، ظهرت هذه المأساة بمختلف أشكالها وأسمائها مثل فلسطين وكشمير وسوريا... باتت الأندلس منبت دروس وعِبَر للأمة فتلقنتها عَبْرَ أعمال تاريخية بحتة وأدبية صرفة اتخذت لها مادة منشودة من صفحات باهرة للأندلس الضائعة.

---

[1] القصة في الأدب العربي الحديث، للدكتور يوسف نجم، ص: ١٥٧.

وفيما يلي أتناول أوجه التشابه بين الروايات والروائيين.

الموضوع:

تعرضت الرواية؛ "فتح الأندلس" لجورجي زيدان للأحداث الكبرى والصغرى، الخيالية والحقيقية، واتخذت مادَّتَه من فترة محددة من تاريخ الأندلس وهي فترة فتح "الأندلس" على يد أحد قواد الجيش الإسلامي طارق بن زياد في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في الشام، وبعد هذا الفتح عُرِفَ القائد طارق بن زياد وموسى بن نصير بهذا الفتح المنشود في العالم العربي ولاسيما العالم الإسلامي، لأنه كان مبادرة إلى الخير والعيش الرغيد.

أما الرواية "طارق بن زياد" لمعروف الأرناؤوط فإنها تدور حول عقبة بن نافع، قسَّمَ الكاتبُ روايته إلى قسمين؛ يدور القسم الأول حول عقبة بن نافع، والقسم الثاني حول مغيث الرومي.

أما الرواية "فتح الأندلس" لعبد الحليم شرر فإنها تدور حول البطل عيسى بن مزاحم، فلم يركز الروائي في الرواية على شخصية طارق بن زياد إلا في بضعة مواضع.

هؤلاء الروائيون اتفقوا في عرض الموضوعات، ولاسيما في صلب الموضوع وهو فتح الأندلس وما يدور حوله حتى توافقت عناوين رواياتهم بعضها مع بعض،

فحينا وضعوا عنوان الرواية "فتح الأندلس" وحينا "طارق بن زياد"، ومع ذلك فإنهم لم يتناولوا بالدقة شخصية البطل الإسلامي طارق بن زياد.

أما الرواية الأردية "في معتقل دمشق" لعنايت الله التمش، فإنه تناول الأحداث واحدا تلو الآخر، إنه ذكر في مستهل الرواية "أنه وضع عنوان روايته: "في معتقل دمشق" دون "فتح الأندلس" كما اختاره الآخرون، لأن هذا الفتح العظيم لم يتحقق بيد طارق بن زياد وحده بل ثمة أبطال آخرون اصطحبوه في تلك الرحلة الشاقة وعانوا ما عانى من العناء والمشقة مثل موسى بن نصير وغيره، فإنه لم يسجن وحده في الأخير بل سجن معه قواد آخرون أيضا مثل محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم... حينما دعاهم الخليفة ودبّر لهم المكيدة. "[1]

هذه الروايات تتشابه فيما بينها، وبخاصة وجد الاستطراد فيها بشكل كبير، والمبالغة في سرد الأخبار ووصف الأماكن والأشخاص والأغراض والمواكب وغيرها حتى ينتهي هذا الطول في نهاية أشواط المطاف إلى ملل القارئ وسأمه.

الشخصيات والأحداث:

تصرف الروائي معروف الأرناؤوط في وضع الشخصيات والمواقف حيث وضع شخصية طارق بن زياد مثلا في موقف شخصية عقبة بن نافع أو العكس، ومثل هذا النوع من التصرف في الأحداث لا يغطّي صدق التاريخ أو مثلا نرى جورجي زيدان أنه ذكر الشخصيات الجانبية أو الأساسية مع الشخصيات المحورية

[1] ناول دمشق کے قید خانے میں، عنایت اللہ التمش، مقدمة الرواية

أو العكس... ولعل الروائيين قد فعلوا ذلك لإثارة لهفة القارئ وشوقه في القراءة، وكما تقدّم أن الرواية التاريخية عبارة عن خلط ومزج بين ثنائية التاريخ والأدب أي الخيال والأسلوب.

أما الروايات الأردية فنجد فيها أحد الروائيين نسيم حجازي أنه نسج رواياته في أسلوب أسطوري، فكأن الأحداث التي تناولها الكاتب تتشابه في أبعاضها وأبعادها بالأساطير، إنه صوّر البطل شخصية لا تموت فضلا عن أن تُهْزَمُ بل إنها تغلب على جميع ما سواها، وهذا النوع من المبالغة من المآخذ على رواياته. أما عبد الحليم شرر إنه جاء أيضا في رواياته بشخصيات خيالية مثل شخصية عيسى بن مزاحم في إحدى رواياته "فتح الأندلس".

الصراع:

حاول الروائيون جميعهم للاستفادة من هذا النوع الفني المجيد، وساروا على هذا النحو، ونجحوا فيه لغاية ما، نحو المعارك الفنية بين طارق بن زياد ولذريق، وبين المسلمين والمسيحيين...

حبكة الرواية وأسلوب الروائي:

يسير الروائيون على نحو الحبك والسبك في شوك وقتاد، لأنهما عمودا النثر، ولاسيما بناء الرواية لا يقوم إلا بهما، فالصفاء في النص الروائي لا يظهر إلا عند بذل جهد الطاقة فيهما، لأنهما أساسا الربط اللفظي والمعنوي بين البنية والفحوى،

ويتم ذاك الربط المعهود بينهما بطريقة التوافق والتماسك بين الملفوظ والمضمون...

تقول الدكتورة عزيزة مريدن موضحة ذاك الربط النصي في البنية الروائية:

"تعني بها السياق أو المجرى الذي تجري فيه القصة وتسلسل بأحداثها، وتندفع بشخصياتها وتتصارع وتستولى والفكرة في الحبكة، لا بد أن تكون مسلسلة، مستمدة من الواقع الذي يعيش القاص فيه، ولا بدأن يكون في القصة حدث ما، وكذا لابد أن يكون الهدف في ثنايا الحبكة، وأن تتضمن عنصر التشويق الذي له الأثر الأكبر في جذب انتباه القارئ أو السامع." [1]

فالأحداث التي تتأتى في الرواية عبر ظاهرة السرد تتفرع إلى فرعين؛ الأحداث الكبرى والصغرى، فللروائي أن يستوعب تلك الأحداث ويضعها نصب عينيه قبل بدء الكتابة للرواية مثل رواية جورجي زيدان "فتح الأندلس" فإنها توحي بعنوانها إلى الحادثة الكبرى، ألا وهو فتح الأندلس الذي أسدى الله وأنعم به على المسلمين بيد القائد الشجاع الجريئ الغيور الوقور طارق بن زياد... تضمنت الرواية كثيرا من الأحداث الأخرى التي وردت في التاريخ وبالرغم منها إنها قد جرت على قدر خُطا تلك الحادثة الكبرى مثل الصراع بين العالم الإسلامي والمسيحي، والصراع بين بعض الأمراء المسلمين وجنودهم...

---

[1] القصة والرواية، للدكتورة عزيزة مريدن، ص: ٤١.

يحتاج الكاتب إلى الإلمام بالأحداث الصغري والعناية بها لأن يصل بها إلى الغاية المنشودة، لأن تلك الأحداث قد تكون دافعة إلى تكوين وتأليف جمل يُنْتِجُها التأمل والتأني والتريث فيها حتى تتم صورة بناء عمل روائي.

هنا أجد كثيرا من المآخذ في رواية جورجي زيدان حيث لم يستفد من سمة الحبك والسبك، ولهذا قد ظهر الخلل الفني في أسلوبه، إنه ذكر فترة تاريخية معينة وجعلها مزيجة بالقصة الغرامية الطويلة... وكذلك جاء الروائي عبد الحميد جودة السحار في روايته "أميرة قرطبة" بمؤامرات عديدة، على أية حال فإن روايتيهما تستقطران من الاستطراد والاستحالة والمصادفة، وهكذا فعل معروف الأرناؤوط في روايته.

فمن ميزات رواية جورجي زيدان "أنه يسير على خطوات سرّ كامنٍ في طوايا الرواية حتى يصل إلى نهايته، والقارئ لا يشعر بالإطمئنان لعدم العثور على مفتاح ذالك السر، وببضعة مواقف قبل نهاية الرواية إنه يصرح مفتاح السر أو يشير إليه أو يلمح أو يذكر ما يوحي به، مثل السر في قصة بدر في روايته "فتح الأندلس"،"[1]

"سليمان فجلس وقال: اسمعوا فأقصّ عليكم سرّاً حفظته منذ أعوام وفيه موعظة وحكمة.... فتهيّا لي أن أحرم الكونت أعزّ ولديه وهو الصبي، ولم تسمح نفسي تقبله فاحتلت في سرقته وحمله معي في أثناء أسفاري إلى بعض قبائل البربر،

[1] الرواية التاريخية في أدبنا الحديث، دراسة تطبيقية، للدكتور حلمي محمد القاعود، ص٣٥.

وبعته لأحد كهنتهم الوثنيين فاشتراه ثم سلّمه إلى زياد والد الأمير طارق فربّاه مع أولاده." [1]

أما الروايات الأردية فيتألف أسلوبها من عناصر كثيرة.

ويقول أحمد الشايب عن الأسلوب:

"إنه طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني، قصد الإيضاح والتأثير أو هو الضرب من النظم والطريقة فيه." [2] ومن العناصر المهمة في الأسلوب وبخاصة في أسلوب "الرواية" المقدمة والحبك.

وتقول الدكتورة عزيزة مريدن:

"وهي التي يمهد الكاتب بها للقصة. ويعرف القارئ شخصياتها وطبائعهم وأوصافهم وبيئتهم ويجب أن تكون المقدمة قوية أخاذة، تجذب القارئ منذ السطور الأولى وربما يبدأ الكاتب بموضوع قصة مباشرة – دون أية مقدمة – ويعمد إلى رسم الشخصيات والبيئة في أثناء العرض.

وهناك طريقة أخرى: إذ تبدأ قصة من حيث يجب أن ينتهي، ثم يعود بقارئه،

---

[1] رواية فتح الأندلس، لجورجي زيدان، ص:٣١١.

[2] الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، لأحمد الشايب، ص: ٥٢، ط الرابعة: ١٩٥٦م، مكتبة النهضة المصرية.

يسلسل تطور الأحداث التي أدت إلى تلك النهاية التي افتتح بها قصته، وتسمي هذه الطريقة بالإنجليزية فلاش باك–Flash Back." [1]

اعتمد عبد الحليم شرر في روايته على الطريقة الأولى، وبدأ جميع رواياته بتقديم وصف تاريخي وجغرافي دقيق وعلمي للمدينة التي تدور فيها أحداث الرواية، أما عنايت الله التمش فاختار الطريقة الثانية كما نرى في روايته (في معتقل دمشق) إنه بدأ الرواية بسرد موسى بن نصير الذي ألجأه الخليفة إلى التسول في مكة أيام الحج جزاء لسخطه منه، أما نسيم حجازي فإنه سار على نحو الطريقة الأولى حيث بدأ الرواية أو القصة حسب ترتيب الحوادث.

اللغة والحوار في الرواية:

لغة جورجي زيدان وعبد الحميد جودة السحار سهلة وواضحة لا غموض ولا إبهام فيها، أما لغة معروف الأناؤوط فإنها مليئة بالتكلف والزخرفة، إنه تصنع بالمحسنات البديعية.

أما لغة عبد الحليم شرر فإنها صعبة وثقيلة، أما عنايت الله التمش فلغته رقيقة ورائعة.

أما الحوار فإنه غير دقيق عند جورجي زيدان بل يظهر فيه شيء من خلل أو نقص كما يقول عنه حامد النساج:

---

[1] القصة والرواية، للدكتورة عزيزة مريدن، ص: ٤١.

"ولغته ظلت ذات جرس ورنين في كل سطر ورواية لا تتلون ولا تتشكل بتلون وتشكل المواقف والشخوص والأحداث والأفكار." [1]

والسبب في ذلك أنه سار على مستوى واحد في السرد والحوار، أما معروف الأرناؤوط فعنده استطرادات وتفصيلات تجعل القارئ يملل ويسأم، أما عبد الحميد جودة السحار فإنه استعمل لغة شائقة وجملا قصير وواضحة.

الحوار في الروايات الأردية في روايات عبد الحليم شرر ونسيم حجازي طويل حتى يظن القارئ أثناء القراءة فيها أنها ملحمة وليست رواية، ومن ثم تولدت في رواياتهما من التعقيدات التي تثير شيئا من الملل، فأدرك ذاك الضعف عنايت الله التمش فتحاشى الوقوع فيه بإيجاز الحوار في رواياته.

المصادفات في الرواية:

أما المصادفات فإنها من سمات بارزة للرواية التاريخية، فالكتّاب يستعينون في نسج القصة والرواية بالمصادفات الإلهية، ويحاولون إيجاد الربط بين الشخصيات والأحداث من خلال تلك المصادفات هادفين من ذلك توليد التماسك التام، تلك المصادفات التي يحرصون عليها في بناء الرواية أو القصة قد تكون معقولة كما ومقبولة، نرى في الرواية "أميرة قرطبة" لعبد الحميد جودة السحار، موت عبد الرحمن بن الحكم إثر حمى شديدة، إصابة المرض أو الشلل إياه الذي جعله صاحب الفراش... هذه المصادفات تكون مقبولة، لأنها لا تندرج تحت إرادة الإنسان، بينما

[1] بانوراما الرواية العربية الحديثة، لسيد حامد النساج، ص: ٩٤، بمكتبة غريب الفجالة. (ب ت)

ثمة مصادفات أخرى تكون مرفوضة مثل عودة محمد بن أبي عامر إلى قصر الزهراء بعد طول غيابه في المغرب... هذه مصادفة غير مقبولة بل إنها مرفوضة لكونها غير معقولة.

أما جورجي زيدان فقد وجد كثير من تلك المصادفات في رواياته، إنه يلوي بها أعناق الأحداث ويحاول أن يثبت المستحيل ممكنا، أو الممكن مستحيلا، نحو قصة اغتصاب لذريق ابنة يوليان فلورندا، ثم فرارها منه، ففي قصة فرارها علة لأنها تبدو مستحيلة أو مخالفة للعقل.

وقد وجد مثل هذه المصادفات كثيرا في روايات عبد الحليم شرر ونسيم حجازي.

أما المصادفات في روايات معروف الأرناؤوط فإنها مقبولة، أما عناية الله التمش فإنه لم يأت بكثير من تلك المصادفات لعدم اعتماده على الخيال بل إنه حاول ربط خيوط الرواية بالحقائق التاريخية.

سيطرة الخيال في الرواية:

هذه السمة قد أحدثت خللا كبيرا في بناء الرواية الفني، فالروائيون الذين اعتمدوا على كل ما يتلجلج في صدورهم ثم نقلوها إلى وجه القرطاس قد وقعوا في فخ هذا الضعف.

وجد هذا النقص بكثير في روايات جورجي زيدان، إنه جعل شخصية فلورندا أكثر قوة ونشاطا من الرجال، حتى أصبحت هذه الفتاة أخيرا في روايته شخصية أسطورية أكثر منه شخصية حقيقية، وكذلك وجد هذا العيب في روايات عبد الحليم شرر حيث جعل في روايته عيسى بن مزاحم شخصية خيالية، أما نسيم حجازي إنه اعتمد كثيرا على الخيال والأسطورة في نسج أحداث رواياته، أما عبد الحميد جودة السحار فعنده سيطرة الخيال قليل... بعد معاودة النظر والمراجعة فيه يتبادر إلى الذهن سؤال: هل الكاتب أو الروائي حر في صنعة التصرف في الأحداث التاريخية؟ فقد سبق أن قلت إن الروائي يجوز له أن يتصرف في أحداث الرواية إذا لم يخالف التاريخ، وإذا أدى تصرفه في الأحداث إلى المخالفة فلابد أن يتجنبه، ولا يباح له عندئذ أن يتصرف في نسج الرواية على قدر الهوى والخيال.

ولعل السبب لهذه المشكلة الذي دفع الكتّاب والروائيين إلى المزج بين الواقع والخيال هو الرؤية المزدوجة حيال الأدب، وهذه الوجهة من النظر غير دقيقة لأن هناك فرقا كبيرا بين الفن والفكر، وذلك:

"علماً بأن الرؤية النقدية الواعية هي التي تنظر إليهما معا أثناء الحكم على الكاتب: فالكاتب الروائي الناجح هو الذي يعرف كيف يحقق التوازن المطلوب بين

الفكر والفن، بين متطلبات الحبكة الرؤية وتدفقها، ومنحنيات الموضوع وضروراته."[1]

[1] محاولات جديدة في النقد الإسلامي، عماد الدين خليل، ص: ٢٤٨. ت ط :١٩٨١م، مؤسسة الرسالة.

الفصل الرابع: المبحث الثاني
أوجه الاختلاف بين الروايات والروائيين.

احتوت الرسالة على ستة روائيين ورواياتهم؛ جورجي زيدان وروايته فتح الأندلس، ومعروف الأرناؤوط وروايته طارق بن زياد، وعبد الحليم شرر وروايته فتح الأندلس وعنايت الله التمش وروايته في معتقل دمشق، ونسيم حجازي وروايته يوسف بن تاشفين، وعبد الحميد جودة السحار وروايته أميرة قرطبة، وظف هؤلاء الروائيون الأحداث التاريخية في رواياتهم حسب وجهات نظرهم إليها، تلك الحوادث التي تناولوها في رواياتهم إنها تدور حول الأندلس والشام.

وسأقدم فيما يلي أوجه الاختلاف بين الروايات والروائيين في ضوء آراء الباحثين والمفكرين، يقول محمد سرور بن نايف زين العابدين عن جورجي زيدان:

"لا أعرف أحداً من الصليبين في دنيا العرب، عمل على تلويث تاريخنا الإسلامي كما فعل جرجي زيدان. لقد أمضي سني عمره يكتب، وكان محرفا كذابا في معظم ما حشرة، من أخبار، وتعليمات في كتبه، وكان مهمته في هذه الحياة تلخيص أقوام الباطنين الحاقدين والمستشرقين الماكرين، واخراجها تارة باسم تاريخ التمدن الإسلامي، وأخرى باسم روايات تاريخ الإسلام. لقد صور خلفاء المسلمين وعظمائهم بمن أبشع الصور وأحطها، فتارة يتحدث عن استبدادهم وطغيانهم، وتارة يتخيل قصصا غرامية يلصقها بهم، وفى غير هذه وتلك، يزعم بأنهم مغامرون،

يعيشون من أجل المرأة متاع الدنيا، وإذا مرّ ذكر النصارى تراه يشيد بهم، وينعتهم بأحسن النعوت وأجلها." [1]

لا ريب في أن جورجي زيدان بذل جهدا كبيرا في صنعة الرواية التاريخية، فما كتبه يلائم معتقداته النصرانية ومنطلقاته النفسية والفكرية.

يقول محمد بن عبد الغني حسن:

".... واستخلص من ذلك كتبا ممتعة في آدابها، تشهد له بسعة الاطلاع، وأصالة الرأي، والبراعة في التبويب والتنسيق، فكان لهذه الكتب شأن كبير شرقاً وغرباً، وترجم بعضها إلى كثير من اللغات الشرقية والغربية. وبحث في تواريخ دول الإسلام وألف فيها كتابا جليلاً، وبنى على نوادرها سلسلة من الروايات التاريخية الفكاهية، جمع فيها زبدة تواريخ تلك الدول على أسلوب لا يمله القارئ."[2]

عُرِفَ جورجي زيدان من أجل أسلوبه البارع فنال شهرة بين جميع الأوساط؛ العامة والخاصة شرقا وغربا حتى ترجمت رواياته إلى لغات أخرى، إنه نجح في تأثير كتاباته بنفوس القراء من أجل أسلوبه الرصين فشوّه التاريخ، وحاول أن يزيل هيبة زعماء الإسلام ووقار أبطاله من القلوب.

---

[1] دراسات في السيرة النبوية، لمحمد سرور بن نايف زين العابدين، ص: ١٩٣، ط الأولى :١٩٨٦م، دار الارقم للنشر والتوزيع.

[2] جورجي زيدان، لمحمد عبد الغني حسن، ص: ٢٢٢.

رأى بعض الأدباء أنه تأثر ببعض الكتّاب الغربيين ممن اشتهروا بالرواية التاريخية. مثل: إسكندر دوماس الأب ووالتر سكوت الكاتب الإنجليزي، ويقول الدكتور أحمد هيكل في هذا الصدد:

"على أن جورجي زيدان قد خالف هذين الكاتبين في أن كلا منهما متأثر بإحساس القوي تأثرا جعلها يستخدمان التاريخ في إبراز هذا الإحساس أما جرجي زيدان فليس وراء كتابته إحساس قومي، وإنما وراءها تعليم التاريخ بشكل جذاب، ومن هنا جعل الفن القصصي في خدمة التاريخ على عكس الكاتبين الغربيين." [1]

ادعى جورجي زيدان أنه أراد إشعار الناس بالحقائق التاريخية وإخبارهم بها عبر الرواية والقصة، ونحن نرى أنه مصيب في دعواه من ناحية الأسلوب واللغة، أما من ناحية المضمون والفحوى فإنه تصرف بكثير في الحقائق لا نوافقه في دعواه المقدّم بل لا نبالغ إذا قلنا إن رواياته مهما بلغت ذروة الفصاحة والبلاغة والبيان ولكنه قد شوّه التاريخ وأعطى صورة عنه غير مطابقة للواقع ... استعمل عبد الحميد جودة السحار لغة سهلة رقيقة كيلا يمل القارئ من القراءة، بينما لغة معروف الأرناؤوط وعبد الحليم شرر فإنها صعبة ومليئة بالتكلف والتصنع.

ركز جورجي زيدان على التاريخ وإبلاغ الشباب إياه بينما الروائيون الآخرون فقد حاولوا إحياء الماضي وإيقاظ همم الشباب وتنمية الإحساس الوطني لديهم

[1] تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، للدكتور أحمد هيكل، ص: ١٩٥، الطبعة الخامسة: ١٩٨٧م، دار المعارف مصر.

مستلهمين من بطولات مشرقة في التاريخ الإسلامي، ولاسيما تاريخ الأندلس الإسلامي.

معروف الأرناؤوط:

بدأت الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م ضد الاستعمار الفرنسي الذي قضى على اللغة العربية وإحلال اللغة الفرنسية محلها، وظهر أدباء وشعراء نتيجة لذلك، وكان منهم الأديب الكبير معروف الأرناؤوط، كانت لهجته مزيجة من اللبنانية والدمشقية، أما شخصيته فكانت رقيقة الحس، ورفيعة النفس، وما كانت تفارقه الابتسامة حتى وقت المرض والاحتضار، فقد رُوِيَ عنه:

"أنه كان في طفولته معابثاً، صاحب مقالب وحيل ،ومن طرائفه أن الناس من قرائه كانوا يحسبون أنه شيخ وقور معمّم ،فلما مرّ بدمشق وفد من وجهاء الهند وعلمائها من قرائه و معجبين به ،راحوا يسألون عن فضيلته للسلام عليه ،وما زالوا حتى اهتدوا إلى مكتب جريدته ،وهم يتوقعون أن يروا شيخا ملتحيا ،وأدرك معروف حرج موقفه فأخبرهم أن صاحب الفضيلة غائب ،وسوف يستدعيه ليروه ويسلموا عليه ،واستعان بأحد المشايخ من ذوي العمائم الضخمة واللحى الصافية ، ولا تسل عن حسن لقياهم واحتفائهم به، وتبركهم الشديد بتقبيل يديه والتماس دعائه."[1]

ويقول الدكتور سامي الدهان عن أسلوب معروف الأرناؤوط في الروايات التاريخية:

[1] مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ص:٣١٢، المجلد السابع والستون :١٩٩٢م، سوريا.

"كان معروف يكتب على الورق، كما ينسكب الربيع على الطبيعة، فيورق ويزهر ويعطر ويسحر ويضحك ويبتسم ويغني وينشد تشرق من خلال ذلك ألوان زاهية وأنوار مشرقة." [1]

تحدث عنه أديب حلب سامي الكيالي في كتابه "الأدب العربي المعاصر في سورية":

"دخلت مقالات الأرناؤوط السياسية والقومية وعي الناس وأنفسهم بفضل أفكاره الرائعة والشكل الفني من لغته وعنايته الخاصة بتطوير موسيقية الكلمة." [2]

ويقول عبد اللطيف الأرناؤوط:

"رواية طارق بن زياد فيها عالم من السحر الأدبي والجمال ودنيا من المشاعر المتنوعة التي يمتزج فيها حب المرأة بحب الوطن، ويتحد فيها الشعور الديني بالاعتزاز القومي، فهي مدرسة للأجيال يتعلمون على يد كاتبها دروساً في العزة والكرامة، ويقتدون بسير الأجداد لمقاومة المستعمر الغربي الذي كان يريض بشبحه البغيض فوق الأرض العربية، فجهد معروف الأرناؤوط أن يبعث في النفوس المستكينة مشاعر الثورة والتمرد، والأدب هو خير سلاح للتوجيه وأفضل وسيلة

[1] قدماء ومعاصرون، للدكتور سامي الدهان، ص: ٢٤٦.

[2] مجلة الجماهير، يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، حلب للدكتور أحمد منصور، ت ط: ٢٠١١م. (ولم أجد الكتاب الأصلي)

الرواية بسنوات، وكان لمعروف شرف الإسهام مع الشعراء والكتاب الأخرين في تعبئة الرأي العام للمقاومة وحفزه إلى النضال." [1]

ثمة من النقاد الذي عابوا روايات معروف الأرناؤوط قائلين إن رواياته خالية من الارتباط والاحتباك، وأنا أوافقهم في ذلك لأنني وجدت العيب نفسه في روايته "طارق بن زياد" حيث لا يظهر ارتباط وطيد وصلة عميقة في أحداثها.

عبد الحميد جودة السّحّار:

عالج الكاتب عبد الحميد جودة السحار ملحمة من ملامح التاريخ الأندلسي في روايته "أميرة قرطبة" وكشف عما كان يدور في قصور الحكم وما يدبر في جدرانها من الدسائس والمؤامرات للمنصب والجاه والسلطة والسؤدد حتى أدت تلك الأمراض في النهاية إلى سقوط بيت الخلافة وعاصمتها ودولتها.

فالأحداث التي تناولها الكاتب إنها تتوافق مع ما جاء في التاريخ، وهكذا جرت روايات عنايت الله التمش على نحو عرض الحقائق دون انصراف وانحراف عن الصدق والحق فيها، قلما اعتمد هذان الروائيان على الشخصيات الخيالية، فذكراها لربط حوادث الرواية فقط، مثل شخصية هنري في رواية عنايت الله التمش "في معتقل دمشق"... أما الروائيون الآخرون فإنهم اعتمدوا كثيرا على الشخصيات الخيالية.

---

[1] من تراث معروف الأرناؤوط، طارق بن زياد، لعبد اللطيف الأرناؤوط، ص: ١٢٨، العدد: ٤٨، المحرم: ١٩٩٢م، التراث العربي مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب دمشق.

يقول الدكتور شفيع السيد عن رواياته:

"لم يستطع الستّار في رواياته التاريخية بعامة أن يخلق ذلك الخيط الفني الدقيق الذي يربط ما بين التاريخ والواقع. ما يمكن أن يسمي علاقة التنظير، أي تنظير الماضي بالحاضر في براعة وحذق، على نحو ما فعل نجيب محفوظ في رواياته." [1]

ويقول الدكتور حلمي القاعود:

"وإذا كان السحار في فترة الأربعينيات والخمسينيات وفيا للصياغة التقليدية، بما يشوبها من صراع بين الموروث والذاتي، فإنه بلا شك قد تطور بعد ذلك وبخاصة في رواياته الواقعية وكتاباته الإسلامية، إلى مدى أفضل وأبعد." [2]

★ أما الرواية التاريخية في الأدب الأردي:

عبد الحليم شرر:

يشعر القارئ بالطابع العاطفي كثيرا في رواياته، استعمل عبد الحليم شرر هذه الوسيلة في عرض الأحداث وإيجاد الربط بينها ليثير عند القارئ الشوق والرغبة إليها، يقول سيد وقار عظيم عن رواياته:

"إن عبد الحليم شرر يذكر القصص الغرامية بين الأحداث التاريخية لإمتاع القارئ وإحداث التأثير في قلبه لتثبت في ذهنه". [1]

---

[1] اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧م، للدكتور شفيع سيد، ص: ٣٥، ت ط: ١٩٨٧م، مكتبة الشباب مصر.

[2] الرواية التاريخية في أدبنا الحديث، دراسة تطبيقية، للدكتور حلمي محمد القاعود، ص: ٢٣١.

إنه يحمل القارئ على القراءة ويهيّجه إليها ويرغّبه فيها مما يعني مهارته وإتقانه أساليب نسج الأحداث وسردها، إنه فعل ذلك في رواية "فتح الأندلس" حيث ذكر قصة غرامية دارت حول مريم وعيسى بن مزاحم، إنه اعترف بنفسه أن القارئ يمل من القراءة إذا لم يجد أثناء الرواية مثل تلك الأحداث الغرامية، فلأجل إثارة لهفتهم ينبغي للروائي أن يجعلها وسائل سرد الأحداث والوقائع.

ويقول عباس حسيني:

"إن شخصيات روايات عبد الحليم شرر التاريخية تفقد الحيوية ويسيطر عليها الخيال مما يؤدي القارئ إلى أن يشك في الحقيقة...". [٢]

وأنا أوافق هذا الرأي تماما، لأن الكاتب جعل شخصية عيسى بن مزاحم في روايته "فتح الأندلس" شخصية قوية لا يزاحمها أحد، مع أن التاريخ ساكت عنها تماما، وهنا يدب الشك في قلب القارئ ولاسيما إذا كان القارئ غير حاذق أو فطن، ومن أجل هذا الأسلوب يصيب الرواية النقصُ والخللُ.

ويقول ممتاز منكلوري عن هذا النقص والعيب موضحا أكثر مما سبق:

"إن من مواطن الضعف والزلل في روايات عبد الحليم شرر التاريخية أن أبطالها يتمتعون بقوة خارقة، بطل منهم يغلب على أكثر من عشرين بدون سلاح... (فهذا مما يَخْرِقُ حُرْمَتَها)". [١]

---

[١] مجلة تاريخ ادبيات مسلمانان باكستان وهند، اردو ادب، ص: ١٢٦/٤، لسيد وقار عظيم، بجامعة بنجاب لاهور.

[٢] تاريخ الرواية ونقدها، لعلي عباس حسيني، ص: ٣٠٧، ت ط: ١٩٧٥، اردو أكادمي لاهور.

وبالرغم هذا القدر من الضعف في روايات عبد الحليم شرر فإنه برع في تصوير شخصية روائية حتى فاق زملاءه في ذلك.

عند مقارنة بسيطة بين الروايات التاريخية الأردية المشتملة على وقائع العنف والقتل والجريمة والفساد وغيرها التي ظهرت وقت انقسام الهند وانفصال باكستان منها وبين الروايات التاريخية الأردية التي تحتوي على أحداث التاريخ الإسلامي وبخاصة تاريخ الأندلس الضالة يظهر على المقارِن أن النوع الآخر من الروايات أفضل بكثير من النوع الأول، كما نرى ذلك في روايات نسيم حجازي وعبد الحليم شرر... فكلا الروائيين تناولا موضوعا واحدا وهو الأندلس وتاريخها إلا أن الأسلوب مختلف عندهما لاختلاف وجهة نظرهما.

تحدث الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم عن وجهة نظر نسيم حجازي في روايته حول الأندلس قائلا:

"إن هدف نسيم حجازي في رواياته كان تقديم شخصيات وأحداث في التاريخ الإسلامي تمتاز بالجرأة والشجاعة والصدق، حتى يمكن أن يحي هذه الصفات في الشباب المسلم المعاصر، وهنا تطغي المثالية أحيانا ويقل عنصر الواقعية في رواياته."[٢]

---

[١] تأليف الرواية التاريخية عند شرر، لممتاز منكلوري، ص: ٣٥٦، ت ط: ١٩٧٨، مكتبة خيابان أدب لاهور.

[٢] الأدب الأردي الإسلامي، للدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، ص: ٦٧٥، ت ط: ١٩٩١، أشرفت على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بالجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ويقول الدكتور تصدق حسين راجا عنه:

"لا شك أن معظم النقاد يصدرون حكما صارما ونهائيا نظرا إلى نظرية الفن للفن، ولا يبالون في ذلك بقيمة الهدف، هذا ليس بصحيح من وجهة نظرية الأدب الإسلامي الذي يدعو إلى التفكير في الهدف ويفضّله على جميع ما سواه، وهنا نجد الكاتب النبيل نسيم حجازي أنه قد أخذ في الاعتبار في جميع كتاباته ولاسيما كتابة الروايات القيّمة أن يشعل الشرارة الأولى الكامنة في صدور الشبان والشابات لتكون نارا ذات لَهَبٍ تسطع منها حرارة ساطعة تخرج من مشعل البعث الإسلامي فتضيء العالم حولها من جديد... إنه أراد أن يبعث الحيوية الإسلامية وعظمته في أذهان الشباب، ويوطد علاقة حاضرهم بماضيهم الباهر كي يشعروا بثقة في أنفسهم ويتمتعوا بمجد تليد، ويوقظ فيهم الهمم ليقوموا نحو خير فخير... إنه أراد أن يثبت بذورَ الإيمان بالله وحده في قلوب هؤلاء الشباب، ويدعوهم إلى إعادة التاريخ المشرق، ولتحقيق هذا الهدف النبيل إنه يذكّرهم بين فينة وأخرى بعظمة الإسلام وقوته وشوكة المسلمين وهيبتهم... وهذا من الأهداف المنشودة للأدب عنده". [1]

ألمَّ نسيم حجازي إلماما كبيرا بالقضايا الفكرية الإسلامية في رواياته، فردَّ على الأفكار المستوردة من الغرب التي لا صلة لها بالإسلام، وهذه الميزة قد صيَّرَتْه شهيرا بل جعلته أشْهَرَ من نارٍ على عَلَمٍ.

---

[1] نسيم حجازي ايك مطالعة، ذاكر تصدق حسين راجا، ص: ١٤١ وما بعدها.

خلاصة البحث

قمت في هذه الرسالة بدراسة مقارنة بين الأدبين العربي والأردي خلال موضوع " الرواية التاريخية عن الأندلس بين الخيال والواقع "، وفي البداية تحدثت عن تعريف الرواية عموما، والرواية التاريخية خصوصا، من خلال الحديث عن مفهوم الرواية، وبنائها وأنواعها، ونشأة الرواية التاريخية وتطورها في الأدبين :العربي والأردي، وعلاقتها بالتاريخ وأشهر كتابها في الأدبين.

الفصل الأول: عرض للروايات المختارة، وذلك في مبحثين،وقدمت في المبحث الأول منهما عرض للروايات العربية وهي فتح الأندلس لجو رجي زيدان، وطارق بن زياد لمعروف الأرناؤوط، وأميرة قرطبة لعبد الحميد جودة السحار، وذكرت في المبحث الثاني عرض للروايات الأردية وهي يوسف بن تاشفين لنسيم حجازي وفتح الأندلس لعبد الحليم شرر و"دمشق کے قید خانے میں" (في معتقل دمشق) لعنايت الله التمش.

الفصل الثاني: كتبت الحد ث الروائي والحد ث التاريخي في الروايات المختارة من خلال مبحثين، تعلق الأول بالروايات العربية، والثاني بالروايات الأردية.

الفصل الثالث: ذكرت فيها أبعاد الشخصيات وأنواع الصراع والنسيج اللغوي في الروايات المختارة، وذلك في مبحثين،يحتوي الأول على أبعاد الشخصيات وأنواع الصراع، و الثاني على النسيج اللغوي (السرد، والحوار، ومدى التناسب بين اللغة والشخصية والموقف).

الفصل الرابع: قدمت فيه مقارنة بين الروايات العربية والأردية من حيث أوجه التشابه والتباين في مبحثين، كان الأول لمواطن التشابه، وكان الثاني لمواطن الاختلاف.

خاتمة البحث: جمعت فيها أهم النتائج .

مجموعة الفهارس العامة: وهي فهرس الآيات القرآنية الكريمة، وفهرس الأعلام، وفهر س البلاد والمدن، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

ووصلت بعد هذه الجولة الطويلة إلى أن الروائي يجوز له أن يتصرف في أحداث الرواية إذا لم يخالف التاريخ، وإذا أدى تصرفه في الأحداث إلى مخالفة الحقيقة التاريخية فلا بد أن يتجنبه ،ولا يباح له عندئذ أن يتصرف في نسج الرواية التاريخية على قدر الهوى والخيال.

النتائج التي توصلت إليها

أود هنا أن أذكر أهم نتائج البحث في موضوع الرسالة التي توصلت إليها أثناء جولات متتابعة بين بطون الكتب وحجرات المكتبات، وقد قسمتها إلى النتائج العامة والنتائج الخاصة :

ا. النتائج العامة:

- الرواية التاريخية ،لها علاقة بالتاريخ ولكنها ليست بتاريخ ،إنها فن من الفنون التي بينها وبين التاريخ علاقة وطيدة، ويقدم الروائي القصة التاريخية في صورة جذابة التي تحث القارئ على القراءة ولكن لا يجوز للروائي أن يغير الأحداث الرئيسية بل يجب عليه أن يعيش الجو نفسه ويقدمها في صورتها الأصلية دون تصرف.
- حدد الأدباء الروايةالتاريخية بأنها لاتكتب إلا لهدفين :الهدف الأساسي هو تعليم التاريخ ومن أشهر هذا النوع من الأدب العربي الحديث روايات جرجي زيدان ، أما الهدف الثاني فهو متعلق بإحساس قومي أو وطني ،ومن أبرز الكتاب في هذا النوع عبدالحميد جودة السحار ومعروف الأرناؤوط.
- أما الأدب الأردي فبدأت كتابة الرواية التاريخية بيد عبدالحليم شرر،وذكر شرر في هذه الرواية المختارة عن فتح الأندلس ،ويوجد في الرواية أكثر

ضعفا من الناحية التاريخية هو عرض شخصية عيسى بن مزاحم كبطل الرواية ،وتبيان العلاقة الودية بينه وبين مريم ثم عقد قرانهما بعد فتح الأندلس.

☜وكتب نسيم حجازي عن الأندلس أيضا، ولكن نسيم حجازي تناول تاريخ الأندلس من منحى آخر غير المنحى الذي سار به عبد الحليم شرر من قبل، فلم يذكر نسيم حجازي الفتح والفتوحات التي قام بها قواد الجيش الإسلامي في الأندلس قبل دخولهم بها أو بعده، إنه حاول توجيه المسلمين ولاسيما حكام العالم الإسلامي إلى الأعداء الذين يضمرون العداوة ويظهرون الصداقة او يبرزون خلاف ما يبطون ،إنهم أعداء حقيقيون يعيشون السلام ويدبرون المكيدة للآخرين ،ومن أمثل أنموذج في ذلك روايته يوسف بن تاشفين .

☜استمد عنايت الله التمش أحداث روايته من فترة تاريخ الأندلس نحو وقائع الكفاح الإسلامي ضد المسيحيين واليهوديين، ووضع المؤلف اسم الرواية: "في سجن دمشق" بدلا من "فتح الأندلس" كما فعل بعض الآخرين للإشارة إلى الشخصيات التي سجنت لفترة في سجن دمشق، مثل الفاتح الإسلامي محمد بن القاسم الثقفي، والقائد الإسلامي قتيبة بن مسلم، والقائد الفذ موسى بن نصير... إنهم لم يرتبكوا بجريمة سوى قيادة المعارك الكبرى التي خاضوها فافتتحوا تلك البلاد وحرروها من سلطة الاستعمار، واكتسبوا

بذلك حب الشعب، ولعل ذاك الحب جعل الخليفة سليمان بن عبد الملك حاقدا عليهم، ثم لم يستطع الخليفة أن يغلب على ضغينته فقام بقتلهم.

- ☜ وبالنسبة للروايات العربية : جورجي زيدان هو أول من قام ببناء كتابة الرواية التاريخية في الأدب العربي ،وقدّم في روايته المختارة أحوال فتح الأندلس على يد قواد الجيش الإسلامي طارق بن زياد في عهد خليفة الأموي الوليد بن عبدالملك وحوّل الروائي هذه التفاصيل التاريخية إلى لون الرواية بأسلوب سهل ورائع. فشوّه التاريخ وحاول أن يزيل هيبة زعماء الإسلام ووقار أبطاله من القلوب.
- ☜ أمّا االكاتب معروف الأرناؤوط فأدته الظروف السياسية إلى اختيار الرواية كوسيلة للتعبير ،إنه يعدّ رائد الرواية التاريخية السورية .
- ☜ اما عبد الحميد جودة السحار فيظهر تشابه كبير بين أحداث روايته "أميرة قرطبة" وبين أحداث مصر العزيزة التي عاشها الكاتب ساعة الكتابة، حيث كانت الأحزاب السياسية في طرف ورجال الحكم في مصر في طرف آخر كانوا يتنافسون في مصالحهم الشخصية، ولعل ذلك هو الدافع الحقيقي للكاتب الذي حضه على التعبير عن مشاعره الأليمة والحزينة في صورة الرواية.

ب. النتائج الخاصة:

- عند مقارنة بسيطة بين الروايات التاريخية الأردية المشتملة على وقائع العنف والقتل والجريمة والفساد وغيرها التي ظهرت وقت انقسام الهند وانفصال باكستان منها وبين الروايات التاريخية الأردية التي تحتوي على أحداث التاريخ الإسلامي وبخاصة تاريخ الأندلس الضالة يظهر أن النوع الآخر من الروايات أفضل بكثير من النوع الأول، كما نرى ذلك في روايات نسيم حجازي وعبد الحليم شرر... فكلا الروائيين تناولا موضوعا واحدا وهو الأندلس وتاريخها إلا أن الأسلوب مختلف عندهما لاختلاف وجهة نظرهما.
- أما رواية عنايت الله التمش فاهتمت بالواقع التاريخي، وحاولت إقناع القارئ بتوثيق المعلومات، ولذلك يجد القارئ أن معظم الأحداث التي جاءت في رواية هذا الكاتب تتوافق بجملتها مع ما ورد في بطون التاريخ ومصادره، وهذا من شمائل هذا الروائي وخصاله الحميدة.
- عالج الكاتب عبد الحميد جودة السحار ملحمة من ملامح التاريخ الأندلسي في روايته "أميرة قرطبة" فالأحداث التي تناولها الكاتب إنها تتوافق مع ما جاء في التاريخ، وهكذا جرت روايات عنايت الله التمش على نحو عرض الحقائق دون انصراف وانحراف عن الصدق والحق فيها، وقلما اعتمد هذان الروائيان على الشخصيات الخيالية، فذكراها لربط

حوادث الرواية فقط، مثل شخصية هنري في رواية عنايت الله التمش "في معتقل دمشق"... أما الروائيون الآخرون فإنهم اعتمدوا كثيرا على الشخصيات الخيالية.

- الصراع يعني مغزى الرواية، وقد يوجد ذلك في بداية الرواية مثلما نراه في روايات جورجي زيدان، وقد يكون بأنماط مختلفة مثلما يكون في بداية القصة أو الرواية أو وسطها أو في ختامها وهذا ما نجده في روايات عبد الحميد جودة السحار، وقد يكون الصراع معقدا أي، مبهما وغامضا، وهذا النوع من الصراع موجود في روايات معروف الأرناؤوط.

- أما أنواع الصراع في الروايات الأردية فنجدها عند عبدالحليم شرربالدقة ،وعند نسيم حجازي معقد ومبهم، وعند عنايت الله التمش في بداية الرواية.

- ولكل شخصية في الرواية ثلاثة جوانب، وتسمى تلك الجوانب "أبعاد الشخصية" ورسم الروائيون العرب هذه الأبعاد بصورة جميلة، تبدو فكأن القارئ يحس بنفسه هذاالفرح والألم.

- وإذا أمعنا النظر في روايات عبد الحليم شرر ونسيم حجازي وعنايت الله التمش وجدنا أنهم لم يهملوا أي جانب من جوانب تلك الأبعاد الثلاثة، إنهم صاغوا رواياتهم على أنماط معروفة واستفادوا من هذه الأبعاد في تصوير المناظر وتجسيد الصور والأشكال.

☜اللغة من عناصر الرواية وأسسها ومن مقتضيات النسيج اللغوي أن تتناسب اللغة الشخصية والموقف،ولغة جرجي زيدان سهلة وواضحة لا غموض ولاإبهام فيها ولكن يستخدم الكاتب اللغة في الرواية ذات مستوى تركيبي واحد، لأن لغة الذكور مختلفة من لغة الإناث ولابد بينهما اختلاف لاختلاف طبيعة كلا الجنسين ولعل الكاتب لم يراع هذا الفرق الطبيعي.

☜لغة رواية معروف الأناؤوط لغة معقدة وصعبة، إنها مليئة بالتشبيهات والاستعارات حيث لايفهمها المتلقي في بادئ النظر بل يحتاج إلى تمعن وتأن، أما التطابق والتوافق بين الشخصية والموقف فانه وفق في ذلك إلافي بعض المواقف حيث لم يتمكن من توفيق المطابقة بينهما.

☜حاول الكاتب عبد الحميد جودة السحار ان يستعمل اللغة التي تتناسب مع الموقف والشخصية الرئيسة ووجدت فقط بعض الكلمات الغريبة الاستعمال أوبعيدة المنال في الرواية.

☜وبالنسبة للروايات الأردية، اللغة في روايات عبدالحليم شرر مليئة بالمحسنات اللفظية ،بينما أسلوب نسيم حجازي خال من التكلف والتصنع والتعمل وكذلك خال من ألفاظ غريبة بعيدة الفهم، أما أسلوب عنايت الله التمش فإنه ما جاء بتشبيهات كثيرة وثقيلة وكذلك لم يكثر الأمثال والأقوال والحكم ،كما لم يكثر من الكلام والفلسفة والتعقيد.

☜تعرضت الرواية "فتح الأندلس"لجورجي زيدان للأحداث الكبرى والصغرى واتخذت مادته من فترة محدة من تاريخ الأندلس وهي فترة فتح "الأندلس "على يد طارق بن زياد، أما الرواية "طارق بن زياد" لمعروف الأرناؤوط فإنها تدور حول عقبة بن نافع ومغيث الرومي، أما رواية فتح الأندلس لعبدالحليم شررفإنها تدور حول البطل عيسى بن مزاحم. هؤلآء الروائيون اتفقوا في عرض الموضوعات، ولاسيما في صلب الموضوع وهو فتح الأندلس وما يدور حوله حتى توافقت عناوين رواياتهم بعضها مع بعض فحينا وضعوا عنوان الرواية "فتح الأندلس "وحينا "طارق بن زياد" ومع ذلك فإنهم لم يتناولوا بالدقة شخصية البطل الإسلامي طارق بن زياد.

☜أما الرواية الأردية "في معتقل دمشق" لعنايت الله التمش، فإنه تناول الأحداث واحدا تلو الآخر، إنه ذكر في مستهل الرواية أنه وضع عنوان روايته: "في معتقل دمشق" دون "فتح الأندلس" _كما اختاره الآخرون_ لأن هذا الفتح العظيم لم يتحقق بيد طارق بن زياد وحده بل ثمة أبطال آخرون اصطحبوه في تلك الرحلة الشاقة وعانوا ما عانى من العناء والمشقة مثل موسى بن نصير وغيره، فإنه لم يسجن وحده في الأخير بل سجن معه قواد آخرون أيضا مثل محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم... حينما دعاهم الخليفة ودبّر لهم المكيدة.

☜ هذه الروايات تتشابه فيما بينها، وبخاصة وجد الاستطراد فيها بشكل كبير، والمبالغة في سرد الأخبار ووصف الأماكن والأشخاص والأغراض والمواكب وغيرها حتى ينتهي هذا الطول في نهاية أشواط المطاف إلى ملل القارئ وسأمه.

☜ومن ميزات رواية جورجي زيدان أنه يسير على خطوات سرّ كامن في طوايا الرواية حتى يصل إلى نهايته، والقارئ لا يشعر بالاطمئنان لعدم العثور على مفتاح ذاك السر، وببضعة مواقف قبل نهاية الرواية يصرح مفتاح السر أو يشير إليه أو يلمح أو يذكر ما يوحى به، مثل السر في قصة بدر في روايته "فتح الأندلس".

☜الحوار عنصر مهم في بناء الرواية ،فإنه غير دقيق عند جورجي زيدان بل يظهر فيه شيء من خلل او نقص،والسبب في ذلك أنه سار على مستوى واحد في السرد والحوار، أما معروف الأرناؤوط فيذكر الاستطرادات والتفصيلات الطويلة التي تجعل القارئ يملل ويسأم.

☜الحوار في الروايات الأردية طويلة حتى يظن القارئ أثناء القراءة فيها أنها ملحمة وليست رواية .

☜أما المصادفات فإنها من سمات بارزة للرواية التاريخية ،وتوجد هذه السمة في رواية جورجي زيدان كثيرة، إنه يلوى بها أعناق الأحداث ويحاول ان يثبت المستحيل ممكنا أوالممكن مستحيلا.

☜ أما المصادفات في روايات معروف الأناؤوط فإنها مقبولة وعنايت الله التمش لم يأت بكثير من تلك المصادفات لعدم اعتماده على الخيال ،بل إنه حاول ربط خيوط الرواية بالحقائق التاريخية.

فهارس فنية

فهرس الآيات الكريمة الواردة في البحث

رقم التسلسل	الآية	رقم الصفحة
١.	وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۚ (سورة النساء، الآية: ١٥٧)	٩١
٢.	وما دعاء الكافرين الّا في ضلال. (سورة غافر، الآية: ٥٠)	١٤٣
٣.	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ". (سورة الرعد: الآية :٣٨.)	١٨٣
٤.	إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ". (سورة نجم الآية: ٢٣)	١٨٣
٥.	إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۖ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ". (سورة الانفال، الآية: ٤٢)	١٨٤
٦.	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (سورة بقرة، الآية: ١٩٧)	٢٠٤

فهرس الأعلام

رقم التسلسل	الشخصية	رقم الصفحة
.١	إسكندر ديماس	١٣
.٢	حسن بن كنون الإدريسي	٦٢
.٣	خالد بن وليد	٧١
.٤	رفاعة رافع الطهطاوي	١٦
.٥	سليمان بن ملك	٦٨
.٦	طارق بن زياد	٥٤
.٧	طريف بن مالك	٥٤
.٨	عبد الحميد بن محمد شاكر الزهراوي	٢٦
.٩	عبد الرحمن الأول	٧٥
.١٠	عبد الرحمن الناصر	٥٩
.١١	عبد المسيح الأنطاكي	٢٦
.١٢	عقبة بن نافع	٥٣
.١٣	عيسى بن مزاحم	٦٥
.١٤	قتيبة بن مسلم	٦٨
.١٥	كسيلا	٥٣
.١٦	المستنصر بالله	٥٩
.١٧	المصحفي	٦٠
.١٨	المعتمد بن عباد	٧٦
.١٩	مغيث الرومي	٥٤
.٢٠	موسى بن نصير	٦٥
.٢١	مولوي نذير أحمد	١٦
.٢٢	والتر سكوت	١١
.٢٣	الوليد بن عبد الملك	٧٠

فهرس البلاد والمدن

رقم التسلسل	الشخصية	رقم الصفحة
.١	استجة	٤٨
.٢	اشبيلية	٤٨
.٣	الأندلس	٤٧
.٤	بلنسية	٥٨
.٥	الجزائر	٦٨
.٦	سبتة	٥٠
.٧	شذونة	٧٣
.٨	شريش	٥٠
.٩	طبرية	٦٨
.١٠	طليطلة	٤٧
.١١	طنجة	٦٥
.١٢	عسقلان	٦٨
.١٣	غرناطة	٧٥
.١٤	غزة	٦٨
.١٥	الغوطه	٥٧
.١٦	الفسطاط	٦٨
.١٧	قرطبة	٤٨
.١٨	القسطنطينية	٥٧
.١٩	كاشغر	٦٨
.٢٠	مالقة	٧٣
.٢١	المرية	٧٩

المصادر والمراجع العربية
(بعد القرآن الكريم)

١. الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، لأنيس المقدسي، الطبعة السادسة: ١٩٧٧م، دار العلم الملايين.

٢. اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، للدكتور سعيد الورقي، الهيئة المصرية للكتاب الإسكندرية.

٣. اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧م، للدكتور شفيع سيد، ت ط: ١٩٨٧م، مكتبة الشباب مصر.

٤. الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، لعبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة. (ب ت)

٥. الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب، حققه عبد الله عنان، الطبعة الأولى ١٩٧٧، مكتبة الخانجي القاهرة.

٦. الأدب الأردي الإسلامي، للدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، ت ط: ١٩٩١، أشرفت على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٧. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، للدكتور أحمد هيكل، ت ط: ١٩٨٦م، دار المعارف مصر.

٨. الأدب العربي الحديث ومدارسه. لمحمد عبد المنعم الخفاجي، دارا الطباعة المحمدية بالأزهر القاهرة، ت ط: ١٩٠٨ م.

٩. الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، للدكتور طاهر أحمد مكي، دار المعارف القاهرة، ط: ١٩٨٧.

١٠. الأدب وفنونه دراسة ونقد، للدكتور عزالدين إسماعيل، ملتزم الطبع دار الفكر العربي. (ب ت)

١١. الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، لأحمد الشايب، الطبعة الرابعة: ١٩٥٦م، مكتبة النهضة المصرية.
١٢. أعلام العرب جرجي زيدان، لمحمد عبد الغني حسن، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. (ب ت)
١٣. الأعلام قاموس تراجم، لخير الدين الزركلي، دار الملايين بيروت لبنان. (ب ت)
١٤. الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، لابن قتيبة الدينوري، منشورات الشريف الرضي. (ب ت)
١٥. أميرة قرطبة رواية لعبد الحميد جودة السّحّار، مكتبة مصر. (ب ت)
١٦.

ب

١٧. بانوراما الرواية العربية الحديثة، لسيد حامد النساج، بمكتبة غريب الفجالة. (ب ت)
١٨. البداية والنهاية للحافظ ابن كثير السابعة :١٩٨٨م، مكتبة المعارف بيروت لبنان.

ت

١٩. تاريخ ابن خلدون، للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت. (ب ت)
٢٠. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، للدكتور حسن إبراهيم حسن، ت ط: ١٩٦٥م، مكتبة النهضة المصرية.
٢١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي، المكتبة التوفيقية القاهرة مصر. (ب ت)
٢٢. تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن حرير الطبري، وقائع سنة ٢٧، ت ط: ١٩٧٩م، المطبعة الحسينية المصرية.
٢٣. التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، للدكتور عبد الرحمن علي الحجي، ط: الثالثة ١٩٨٧م، دار القلم دمشق.

٢٤.تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الطبعة الرابعة: ١٩٦٤، دار المعارف مصر.

٢٥.تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، لمحمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية ١٩٧٠م، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٢٦.تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، للدكتور أحمد هيكل، الطبعة الخامسة: ١٩٨٧م، دار المعارف مصر.

ج

٢٧.جرجي زيدان، لأحمد حسين الطماوي، ت ط: ١٩٩٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٨.جورجي زيدان في الميزان، لشوقي أبي خليل، ط: الثانية ١٩٨٢م، دار الفكر دمشق.

د

٢٩.دراسات في السيرة النبوية، لمحمد سرور بن نايف زين العابدين، ط: الأولى ١٩٨٦م، دار الارقم للنشر والتوزيع.

٣٠.دولة الإسلام في الأندلس، لمحمد عبد الله عنان، الطبعة الرابعة ١٩٦٩م، مكتبة الخانجي بالقاهرة مصر.

ر

٣١.رجال من التاريخ، لعلي الطنطاوي، المكتبة الاموية دمشق. (ب ت)

٣٢.الرواية التاريخية في أدبنا الحديث، للدكتور حلمي القاعود، دار الاعتصام. (ب ت)

٣٣.الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث للدكتور قاسم عبدة قاسم، ت.ط:١٩٧٩، دار المعارف مصر.

٣٤. الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ودراسات أخرى، لأكناتي كراتشكو فسكي، تقديم وترجمة: عبد الرحيم العطاوي، ت ط: ١٩٨٩م. دار الكلام للنشر والتوزيع.

٣٥. الرواية التاريخية لجورج لوكاش، ت ط: ١٩٧٨م. دار لطباعة للطباعة والنشر بيروت.

س

٣٦. سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الطبعة السابعة :١٩٩٠م، مؤسسة الرسالة بيروت.

ص

٣٧. صبح الأعشى في صناعة الانشاء، شهاب الدين أحمد بن على القلقشندي، ت ط: ١٣٣٦هـ، دار الكتب المصرية.

٣٨. صورة المرأة في الرواية المعاصرة، للدكتور طه وادي، ط: الثانية ،١٩٨٠، دار المعارف مصر

ط

٣٩. طارق بن زياد، رواية ،لمعروف الأرناؤوط، ط: الثانية، مطبعة فتى العرب دمشق. (ب ت)

ف

٤٠. فتح الأندلس، رواية، لجورجي زيدان، ت ط: ١٩٦٦م، دار الطباعة بيروت لبنان.

٤١. الفن القصصي في الأدب المصري الحديث، لمحمود حامد شوكت، دار الفكر العربي. (ب ت)

٤٢. فن كتابة القصة، لحسين القباني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. (ب ت)

٤٣. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة الأدبية الحديثة، لأنيس المقدسي، الطبعة الثانية: ١٩٧٨م، دار العلم الملايين بيروت لبنان.

٤٤. في الأدب الأندلسي، للدكتور جودت الركابي، مكتبة الدراسات الأدبية دار المعارف مصر.

ق

٤٥. قدماء ومعاصرون، للدكتور سامي الدهان، دار المعارف بمصر، ت ط: ١٩٦١م.

٤٦. القصة في الأدب العربي الحديث، للدكتور يوسف نجم، ت ط: ١٩٦٦، دار الثقافة بيروت لبنان.

٤٧. القصة من خلال تجاربي الذاتية. مكتبة مصر القاهرة. (ب ت)

٤٨. القصة والرواية لعزيزة مريدن، الطباعة: ١٩٨٠، دار الفكر بدمشق.

٤٩. القصص في الحديث النبوي دراسة فنية موضوعية، للدكتور محمد بن حسن الزير، ت ط: ١٩٨٥م، الرياض.

ك

٥٠. الكامل في التاريخ، لأبي الحسن على بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، ت ط:١٩٧٨م، دار الفكر بيروت.

٥١. كتابات جورجي زيدان دراسة تحليلية في ضوء الإسلام، للدكتور محمود الصاوي الطبعة الأولى :٢٠٠٠م، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع.

م

٥٢. محاولات جديدة في النقد الإسلامي، عماد الدين خليل. ت ط :١٩٨١م، مؤسسة الرسالة.

٥٣. مدخل إلى تحليل النص الأدبي، لعبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق، دارالفكر للنشر والتوزيع. (ب ت)

٥٤. معجم الأدباء: لياقوت الحموي، ت ط:١٩٨٨، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٥٥. معجم البلدان لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى بيروت. (ب.ت)

٥٦. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى بيروت لبنان. (ب ت)

٥٧. معجم مصطلحات نقد الرواية، عربي، انجليزي، فرنسي، للدكتور لطيف زيتوني، مكتبة لبنان دار النهار للنشر لبنان.

٥٨. الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة.

٥٩. الموسوعة الميسرة والموسعة، للدكتور ياسين صلواتي، مؤسسة التاريخ العربي.

٦٠. الموسوعة التاريخية الجغرافية ،لمسعود الخوند ،ت ط:١٩٩٤،داررواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع .بيروت .لبنان

٦١. موسوعة ألف مدينة إسلامية ،لعبد الحكيم العفيفي، دارالطبع والنشر والتوزيع ،ت ط:٢٠٠٠م،بيروت ،لبنان.

٦٢. موسى بن نصير الفاتح الذي لم تهزم له راية. ليحي شامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، دار الفكر العربي بيروت لبنان.

٦٣. موقف كسيلة من الفتح الإسلامي للمغرب، لمحمد بن ناصر أحمد الملحم، جامع الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ن

٦٤. نظرية الأدب في ضوء الإسلام، لعبد الحميد بوزوينه، الطبعة الأولى دار البشير أردن.

٦٥. نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب، للشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني، ت ط:١٩٩٥، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٦٦. النقد الأدبي أصوله ومناهجه، لسيد قطب الطبعة السادسة ١٩٩٠، دار الشروق القاهرة.

٦٧. النقد الأدبي الحديث للدكتور غنيمي هلال، دار النهضة مصر للطبع والنشر الفجالة القاهرة. (ب ت)

و

٦٨. الوجديّة وأثرها في الأندلس، للدكتور جورجي انطونيوس طربية، ت ط: ١٩٨٠م، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة بيروت لبنان.

٦٩. وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان لمحمد بن أبي بكر بن خلكان، ت ط:١٣٦٤م، مطبعة امير قم إيران.

٧٠. وقفة مع جورجي زيدان، للدكتور عبد الرحمن العشماوي، ت ط: ١٩٩٣م، مكتبة العبيكان الرياض.

المصادر والمراجع الأردية

٧١. اردو ادب کی مختصر تاریخ، ڈاکٹر انور سدید، ت ط: ١٩٩٨، عزیز بک ڈپو لاهور.

٧٢. اردو ادب کی مختصر ترین تاریخ، سلیم اختر، ت ط: ١٩٩٨، عزیز بک ڈپو لاهور.

٧٣. اردو جامع انسائیکلو پیڈیا، مولانا حامد علی خان، لاهور پاکستان.

٧٤. اردو میں تاریخی ناول، ڈاکٹر رشید احمد گوریجه، ت ط: ١٩٩٤ اردو بازار لاهور.

٧٥. اردو ناول کی تاریخ اور تنقید، علی عباس حسینی، ت ط: ١٩٧٥، اردو اکیڈمی لاهور.

٧٦. انسائیکلو پیڈیا پاکستانیکا، سید قاسم محمود، ت ط: ١٩٩٣، شاهکار بک فاؤنڈیشن، لاهور.

ت

٧٧. تاریخ ہسپانیه، ڈاکٹر نصیر احمد ناصر، ت ط:١٩٤٩م، علمی کتب خانه لاهور.

د

٧٨. داستان سے افسانے تک، وقار عظیم، دوسرا ایڈیشن: ١٩١٦م، اردو مرکز کینٹ روڈ.

ش

٧٩. شرر کی تاریخی ناول نگاری، ممتاز منگلوری، ت ط: ١٩٧٨، مکتبة خیابان ادب لاهور.

ع

٨٠. عبد الحلیم شرر بحیثیت ناول نگار، ڈاکٹر علی احمد فاطمی، انجمن ترقی اردو پاکستان.

م

٨١. مجلة تاریخ ادبیات مسلمانان پاکستان وهند، اردو ادب، سید وقار عظیم، جامعه پنجاب لاهور.

ن

٨٢. ناول دمشق کے قید خانے میں، عنایت الله التمش، ت ط،٢٠٠٩م، مکتبة داستان لاهور.

٨٣. ناول فتح اندلس، عبد الحلیم شرر، ت ط: ١٩٩١م، مکتبة القریش لاهور.

۸۴. ناول کیا ہے؟ محمد احسن فاروقی، مقدمة، ت ط: ۱۹۷۰ لاهور.

۸۵. ناول یوسف بن تاشفین، نسیم حجازي، ت ط: ۲۰۰۵، مکتبة جهانگیر لاهور.

۸٦. نسیم حجازي ایک مطالعه، ڈاکٹر تصدق حسین راجا، ت ط: ۱۹۸۷، قومی کتب خانه لاهور.

۸۷. نسیم حجازي کتابیات، ڈاکٹر تصدق حسین راجا، ت ط: ۱۹۸۷، مقتدره قومی زبان.

الدوريات

٨٨. مجلة الدراسات الإسلامية الفصلية، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، اسلام آباد، الإسلام والمسلمون في الأندلس عبر التاريخ، عدد: ١١، ١٢، المجلد السادس والعشرون ١٩٩١م.

٨٩. مجلة الجماهير، يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، حلب للدكتور أحمد منصور، ت ط: ٢٠١١م.

٩٠. مجلة الحرس الوطني، الرواية التاريخية الفكرية، لمحمد كامل حسين، العدد:١٢٢، ت ط: أكتوبر:١٩٩٢، مملكة السعودية.

٩١. مجلة الدراسات الإسلامية الفصلية، الإسلام والمسلمون في الأندلس عبر التاريخ، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، اسلام آباد، عدد: ١١، ١٢، المجلد السادس والعشرون ١٩٩١م.

٩٢. مجلة الفيصل، تجربة محمد فريد أبو حديد في الرواية التاريخية، العدد:١٨٣، السعودية:١٩٩٢.

٩٣. مجلة الموقف الأدبي، نظرة جديدة في الرواية التاريخية (أحمد بن طولون)، العدد: ٢٢٩، مجلة أدبية دمشق.

٩٤. مجلة النقد الأدبي فصول، رواية الرواية التاريخية تسلية الماضي: لفيكتور شكلوفكسي، العدد:١٢، ت.ط:١٩٩٣، مصر.

٩٥. مجلة تاريخ العرب، العصامي الموهوب جرجي زيدان، لطاهر الطناحي، العدد:١٢٠، ت ط:١٩٨٨، بيروت لبنان.

٩٦. مجلة دعوة الحق، المعتمد بن عباد في المغرب، العدد: ٦٠. مجلة الشهرية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.

٩٧. مجلة فصلية التراث العربية، من تراث معروف الأرناؤوط، طارق بن زياد، العدد: ٤٨، ت ط: ١٩٩٢م، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب دمشق.

٩٨. مجلة فصلية محكمة، واردة الملك عبد العزيز، الرواية التاريخية حول صدر الإسلام في بلاد الشام بين الفن والتاريخ، للدكتور إبراهيم السعافين، العدد الثاني، ١٩٨٨، السعودية.

٩٩. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، لعبد اللطيف أرناؤوط، رمضان ١٤١٢هـ، العدد: ٦٣ سوريا.

١٠٠. الفيصل، مجلة شهرية، العدد:١٨١، ت ط: رجب١٩٩٢، السعودية.

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الرقم الصفحة
	المقدمة	ز
	التمهيد: ا. نشأة الراوية التاريخية وتطورها في الأدبين العربي والأردي.	
	☜ المدخل	٢
	☜ مفهوم الرواية	٣
	☜ بناء الرواية	٥
	☜ أنواع الرواية	٨
	☜ نشأة الرواية التاريخية العربية وتطورها	١١
	☜ نشأة الرواية التاريخية الأردية وتطورها	١٤
	☜ علاقة الرواية التاريخية بالتاريخ	١٧
	ب: أشهر كتّاب الرواية التاريخية في الأدبين	
	☜ أشهر الروائيين في الرواية التاريخية في الأدب العربي	٢٢
	☜ سليم البستاني	٢٢
	☜ يعقوب صروف	٢٣
	☜ أمين ناصر الدين	٢٣
	☜ جورجي زيدان	٢٤
	☜ محمد فريد أبو حديد	٢٨
	☜ علي الجارم	٢٩
	☜ محمد سعيد العريان	٢٩
	☜ نجيب محفوظ	٣٠
	☜ عبد الحميد جودة السّحّار	٣١
	☜ معروف الأرناؤوط	٣٣

	☜ أشهر الروائيين في الرواية التاريخية في الأدب الأردي	٣٧
	☜ عبد الحليم شرر	٣٨
	☜ نسيم حجازي	٤١
	☜ عنايت الله التمش	٤٣
	☜ رئيس أحمد جعفري	٤٥
	☜ صادق سردهنوي	٤٥
	الفصل الأول: عرض للروايات المختارة	
	المبحث الأول: عرض للروايات العربية	٤٧
	☜ "فتح الأندلس" لجرجي زيدان	٤٧
	☜ "طارق بن زياد" لمعروف الأرناؤوط	٥٣
	☜ "أميرة قرطبة" لعبد الحميد جودة السَحّار	٥٩
	المبحث الثاني: عرض للروايات الأردية	
	☜ "فتح اندلس" لعبد الحليم شرر	٦٥
	☜ "دمشق کے قید خانے میں (في معتقل دمشق)" لعنايت الله التمش	٧١
	☜ "یوسف بن تاشفین" لنسيم حجازي	٧٦
	الفصل الثاني: الحدث الروائي والحدث التاريخي في كل من الروايات المختارة	
	المبحث الأول: الحدث الروائي والحدث التاريخي في الروايات العربية	٨٣
	المبحث الثاني: الحدث الروائي والحدث التاريخي في الروايات الأردية	١١٨
	الفصل الثالث: أنواع الصراع وأبعاد الشخصيات والنسيج اللغوي في كل من الروايات	
	المبحث الأول: أنواع الصراع في الروايات العربية	١٤٩
	☜ أنواع الصراع في الروايات الأردية	١٥٨
	☜ أبعاد الشخصيات في الروايات العربية	١٦٢

	☜ أبعاد الشخصيات في الروايات الأردية	١٧٤
	المبحث الثاني: النسيج اللغوي (السرد والحوار ومدى مناسبة اللغة بالشخصية والمواقف)	١٨٠
	☜ في الروايات العربية	١٨٣
	☜ في الروايات الأردية	٢٠٠
	الفصل الرابع: أوجه التشابه والتباين بين الروايات العربية والأردية	
	المبحث الأول: أوجه التشابه بين الروايات والروائيين	٢٠٨
	المبحث الثاني: أوجه الاختلاف بين الروايات والروائيين	٢١٩
	خلاصة البحث	٢٣٠
	النتائج التي توصلت إليها	٢٣٢
	فهارس فنية	٢٤١
	المصادر والمراجع	٢٤٥
	فهرس الموضوعات	٢٥٦